

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

بانياس الجولان في العصرين الزنكي والأيوبي

في القرنين 6-7هـ/ 12-13م

رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد

الطالبة: صفاء مرعي العلي

إشراف

الدكتورة: نهى فضل الله حميد

1437هـ/2016م

إهداء

إلى من علمني الصبر والنجاح، إلى أنشودة الكفاح التي لاتنتهي (أبي الحبيب)

إلى السحابة التي أمطرت عمري حناناً ، وروت بساتيني تضحية (أمي)

إلى سندي وقوتي، إلى من أمدوني بالأمل وتعلمت منهم الوفاء (أخوتي)

إلى أصدقائي وأحبائي ورفاق دربي (أصدقائي)

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الصراع بين المسلمين والفرنجة على بانياس

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بانياس

- المقدمة:

شهد المشرق العربي الإسلامي أحداثاً تاريخية، سياسية واقتصادية وعانى من حروبٍ وويلاتٍ وتصدى لصعابٍ وأزماتٍ، أثارت اهتمام العالم في الشرق والغرب في العصور الوسطى وتمثلت تلك الأحداث بالغزو الفرنجي القادم من الغرب الأوروبي490هـ/ 1096م؛ الذي أُتْلِيَ بالغزو المغولي القادم من شرق آسية 656هـ/ 1258م، إذ كان خلالها المشرق العربي الإسلامي يعاني من التمزق السياسي والعقائدي، والجبهة في بلاد الشام تعاني انقساماً خطيراً، نتيجة الأزمة السياسية والعقائدية الحادة التي لم تُحْسَّم بين الخلافتين العباسية والفاطمية. وقد شغلت بلاد الشام ومدنها دوراً أساسياً في قيادة الجهاد ضد الفرنجة في حقبة كانت فيها منطقة المشرق العربي الإسلامي بأمس الحاجة للوحدة كي تقف في وجه غزو الفرنجة.

في خضم هذه الأحداث كان لبعض المناطق دوراً مميزاً شغلته في حينها، من بينها بانياس الجولان[1]. التي تتمتع بموقع استراتيجي على الطريق الواصل بين دمشق وفلسطين إلى مصر، اذ تم اختيارها لتكون موضوع بحث لهذه الرسالة. إذ تأتي أهمية البحث حولها من:

- مكانة بانياس كمركز متقدم للدفاع عن دمشق وحمايتها من غزو الفرنجة، ودور قلعتها في حفظ الطرق الرئيسية بين بلاد الشام الوسطى والجنوبية، ومعرفة خفايا الصراعات الكثيرة التي دارت حولها من قبل القوى الإسلامية من جهة، وغزو الفرنجة من جهة أخرى. ومن هذه القوى الأسرتين الزنكية والأيوبية اللتين برز دورهما الواضح في القرنين 6-7هـ/ 12-13م في تحقيق الوحدة الإسلامية والتصدي لغزو الفرنجة.

- الرغبة في إلقاء الضوء على الأهمية التاريخية الدينية، المدنية، السياسية والعسكرية لبانياس التي أثرت في حركة التحرير، وما شهدته من تطورات سياسية في حقبة غزو الفرنجة؛ وعلى الرغم من وجود دراسات أشارت في طياتها إلى بانياس، إلا أنه لا توجد دراسة تاريخية علمية تدرسها بشكلٍ خاص.

---

[1] . تدعى بانياس الحولة تمييزاً لها عن بانياس اللاذقية على ساحل البحر المتوسط، وستقتصر التسمية على بانياس على مدار البحث، الطالبة الباحثة.

فهي في الواقع لم تأخذ حقها من الاهتمام والبحث، حيث تكاد تخلو المكتبة العربية من كتابٍ أو بحثٍ يُعَرِّفُ بتاريخها وأهميتها بالذات، لا سّيما أيام حروب الفرنجة، فكان ذلك من الأسباب المهمة التي أوجبت اختيار هذه المنطقة كي تكون موضوعاً للبحث بعنوان " بانياس الجولان في العصرين الزنكي والأيوبي في القرنين 6-7هـ/ 12-13م". حيث سيتم إبراز أهمية هذه المنطقة، الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، والدور المهم الذي شغلته إبان حروب الفرنجة.

إلى جانب ذلك أيضاً أهمية المرحلة الزمنية لموضوع البحث، إذ توحدت فيها بلاد الشام ومصر في ظل الأسرتين الزنكية والأيوبية ـ إذ تحققت الوحدة الإسلامية ونشط الجهاد ضد الفرنجة ـ وتجسد فيها أمل المسلمين للوقوف في وجه غزو الفرنجة. وضرورة تبيان الدور الذي شغلته العلاقات الزنكية والأيوبية مع الدول والإمارات الإسلامية من جهة، ومع الفرنجة من جهة أخرى، كون بانياس تحتل موقعاً مهماً ومتقدماً لحماية دمشق التي كانت السيطرة عليها الدافع الأساسي للفرنجة للوصول إلى بيت المقدس.

وقد واجه البحث العديد من الصعوبات التي تمثلت بـ:

- ندرة المادة الخاصة ببانياس في المصادر المتوفرة وتبعثر المعلومات، عنها بين ثنايا المصادر العربية والأجنبية. وفقدان الاهتمام بالأمور الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية عند المؤرخين العرب المسلمين.

- صعوبة؛ لابل استحالة الوصول إلى أراضي الجولان المحتل ومن ضمنها بانياس، للاطلاع على واقع تلك المنطقة، ودراستها ميدانياً ومحاولة اسقاط ما ورد عنها في المصادر والمراجع من معلومات على أرض الواقع.

- بالإضافة إلى الظروف والأحداث الأمنية في بلدي العظيم والحبيب سورية.

وقد تم تقسيم البحث إلى:

1- **المقدمة:** تضمنت تبيان أهمية البحث وأسباب اختياره والصعوبات التي واجهت انجازه والنتائج التي تم التوصل إليها.

وأتليت المقدمة بقائمة المختصرات والتعريف بأهم المصادر والمراجع.

2- **الفصل الأول:** يتناول دراسة الجغرافية التاريخية لبانياس والأوضاع السياسية في المشرق الإسلامي قبيل حملات الفرنجة، حيث تضمن توضيح التسمية والتعريف بالواقع الجغرافي والتضاريس والمناخ والنبات والمياه، وكذلك لمحة تاريخية عن بانياس الجولان قبل الإسلام بالإضافة إلى توصيفها عند الجغرافيين المسلمين. واستعراض أوضاع كل من الخلافة العباسية، والسلاجقة، والخلافة الفاطمية وسقوطها على يد صلاح الدين الأيوبي، وأوضاع الفرنجة في المشرق العربي الإسلامي.

2- الفصل الثاني بعنوان: العلاقات الزنكية والأيوبية مع الدول والإمارات الإسلامية والقوى الأخرى المعاصرة . حيث تضمن تعريف الدولة الزنكية ثم علاقاتها مع كل من: الخلافة العباسية، الخلافة الفاطمية، الاسماعيلية، سلاجقة الروم، مع بلاد الشام والجزيرة والأناضول بالإضافة إلى البيزنطيين والفرنجة. وتعريف الدولة الأيوبية ثم علاقاتها مع كل من : الخلافة العباسية، السلاجقة، الخوارزمية، الاسماعيلية، وكذلك العلاقات مع كل من المغول والبيزنطيين والفرنجة.

3- الفصل الثالث بعنوان: الصراع بين المسلمين والصليبيين (الفرنجة)[1]. على بانياس حيث تناول بانياس في زمن الدولة البورية ودور كل من آل طغتكين والاسماعيلية والفرنجة في السيطرة عليها. كذلك في العصر الزنكي وتبادل السيطرة على بانياس بين الزنكيين والفرنجة ثم تتبع أوضاع بانياس في العصر الأيوبي واستعادتها من قبل الأيوبيين، والتعريف ببعض حكامها وولاتها.

4- **الفصل الرابع:** يبحث في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بانياس، حيث تناول الحياة الاقتصادية بركائزها الثلاث الزراعة والصناعة والتجارة، ورصد واقع الحياة الاجتماعية بين فئات المجتمع ومكانة المرأة ودورها الاجتماعي. وكذلك دور العلماء والأدباء والمؤسسات

---

[1] . اختلفت التسمية بين العديد من المصادر والمراجع ما بين الفرنجة والصليبيون وستقتصر التسمية على الفرنجة، الطالبة الباحثة.

الاجتماعية، وأخيراً الحياة الثقافية والفكرية بكل مؤسساتها العلمية، والهيئة التدريسية فيها والعلوم الأدبية والطبية التجريبية بأنواعها.

5- **الخاتمة:** حيث تم فيها استعراض لأهم النقاط التي تم تحليلها وأهم النتائج التي تم التوصل إليها، نتيجة البحث والاطلاع على المصادر والمراجع حول بانياس في أيام حروب الفرنجة في العصرين الزنكي والأيوبي.

لعلَّ هذه الدراسة تكون إضافة إلى المكتبة العربية ذات فائدة لتاريخ الأمة العربية والإسلامية، بإلقائها الضوء على مرحلة مهمة من مراحل تاريخ العلاقات الإسلامية مع الفرنجة خلال قرنين من الزمن.

ختاماً لا يسعني إلا أن أقدم شكري وعظيم امتناني وعرفاني إلى الدكتورة نهى فضل الله حميد التي رعتني وأشرفت على بحثي وأرشدتني إلى الطريقة المثلى للدراسة، فضلاً عن تشجيعها الدائم لي في مواصلة البحث، وصبرها على ظروفي الصعبة التي مررتُ بها، وتزويدي بتوجيهاتها الحكيمة، فلها مني كل التقدير والاحترام، وجزاها الله عني وعن العلم الخير الجزيل.

قائمة المختصرات:

ص: صفحة

ط: طبعة

ت: توفي

تر: ترجمة

تح: تحقيق

د. م: دون مكان

د.ت: دون تاريخ

ج: الجزء

ق: قسم

م: ميلادي

هـ: هجري

P: صفحة

التعريف بأهم المصادر:

اعتمد البحث على مصادر ومراجع متعددة، كان أكثرها إفادة لموضوع البحث، المصادر التاريخية والجغرافية، وقد ساهمت هذه المصادر في رسم صورة أقرب إلى الوضوح لبانياس ودورها في حقبة الدراسة، وقد تفاوتت هذه المصادر في معلوماتها، فكانت كل فئة منها تتناول بالتركيز جانباً أو أكثر من جوانب البحث وتهمل الباقي، وفيما يلي عرض لأهم المصادر التي أفادت البحث مرتبةً وفق سنوات وفاة المؤلِّفين:

1- ابن القلانسي ت. 555هـ/1160م:

حمزة بن أسد التميمي، من أسرة دمشقية، عاصر حكم الدولة البورية منذ بدايتها حتى سقوطها على يد نور الدين الزنكي، ويعد شاهد عيان على مرحلة من ذلك العصر، إضافة إلى أنه كان من كبار رجالات الدولة البورية[1]. ساعده عمله في ديوان الإنشاء (الرسائل)[2]. على معرفة الوقائع والأحداث والاطلاع على الوثائق الرسمية على مختلف أنواعها، ولهذا رقَت رواياته ومواده إلى الدرجة الوثائقية العالية، وكتابه " المذيل في تاريخ دمشق " [3] الذي يعرف خطأ باسم " ذيل تاريخ دمشق ". وجعله على النظام الحولي للحوادث منذ سنة 441هـ/1050م حتى وفاته، وقد أفاد البحث في التعرف على تاريخ بانياس وقلعتها قبل الإسلام، وأهم الأحداث في حياة نور الدين الزنكي وصراعه ضد الفرنجة.

2- ابن عساكر الحافظ أبي القاسم ت. 572هـ/1176م:

---

[1] . الدولة البورية: سلالة من أصل تركي، حكمت دمشق مايزيد على خمسين سنة وامتد سلطانها إلى حوران(بصرى) وصرخد وبعلبك وخضعت حمص وحماة وصور وبانياس ورفنية لسلطانهم مدداً متفاوتةً ، مؤسس هذه السلالة طغتكين الملقب بظهير الدين، خماش، نجدة: البوريون، الموسوعة العربية، دمشق، 2001م، ج5، ص523.

[2]. ديوان الإنشاء: هو ديوان يضع المراسيم السلطانية، مثل مناشير الإقطاعات للأمراء والجند التي تصدر بناءً على الوثائق المحالة من ديوان الجيش، ويميز صاحب ديوان الإنشاء عن غيره من الموظفين، مثوله أمام السلطان في أي وقت شاء، الظاهري، غرس الدين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تح: بول رافنسي، باريس، 1895م، ص100.

[3]. تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1983م.

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي، نشأ في دمشق، وسمع الكثير من شيوخها، إلى أن أصبح شاباً، ثم ارتحل طلباً للعلم وسماع الحديث، فزار بغداد ونيسابور وغيرهما من البلاد، وقد أخذ الكثير عن شيوخها حتى بلغ عدد شيوخه الذين أخذ عنهم بالسماع ألفاً وثلاثمائة شيخ وستة وأربعين شيخاً، وعدَّ مائتين وتسعين شيخاً بالإجازة (جميعهم في معجم شيوخه). وبضع وثمانون امرأة لَهُنَّ معجم صغير، وقد أشار إليه الذهبي، ثم عاد ابن عساكر بعد رحلته العلمية الطويلة إلى دمشق وبرع في علم الحديث، واشتهر أمره في البلاد وولي مشيخة دار الحديث النورية[(1)]، ودرس وصنف تاريخاً لمدينة دمشق[(2)] في ثمانين مجلد ويعد هذا الكتاب من أضخم ما صنف في هذا المجال، فقد ساهم في التعرف على العلماء بمختلف فنونهم والآثار العلمية التي خلفوها، فكان كتابه من المصادر المهمة التي أغنت البحث.

3- الشيزري ت. 589هـ/1193م:

عبد الرحمن بن نصر، الذي يعد كتابه "الرتبة في طلب الحسبة "[(3)]. نبع من منابع المعرفة في أصول المجتمع العربي الإسلامي عامة، والأيوبي خاصة، وقد جاء على ذكر ما كان يقوم به أصحاب الحرف والصناعات، من أنواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم، وأحوال التجارة في عصره، وفيه معلومات جمة ووافية عن الأسواق والموازين والنقود والمكاييل والصناعات المختلفة، كذلك أحكام البيع والشراء والوساطة، فكانت معلوماته موثقة، وقد أغنت الموضوع من جميع جوانبه.

4- العماد الأصفهاني ت. 597هـ/1200م:

ولد في أصفهان في سنة 519هـ/1125م وهو بعمره المديد كان شاهد القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، انحدر من أسرة رفيعة المكانة، اشتهرت بسعة الثقافة، عمل

[(1)]. دار الحديث النورية: أنشأها نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر التركي، من أشهر مدرسيها الحافظ ابن عساكر، تاج الدين الفزاري، جمال الدين النابلسي. النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس، تح: جعفر الحسني، دمشق، 1984م، ج1، ص75-76.

[(2)]. تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1997م.

[(3)]. تح: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1962م.

بعض رجالها في الإدارة، وأتقنوا العربية والفارسية، وفي سنة 549هـ/1154م توجه إلى بغداد حيث تولى بعض الأعمال الإدارية، وتمتع بالسلطة ثم انتقل إلى دمشق في سنة 562هـ/1166م وكان على معرفة بنجم الدين أيوب، وعدة شخصيات في دولة نور الدين الزنكي، مما هيأ له السبل للعمل في إدارة نور الدين وتسلم ديوان الإنشاء في دمشق، وظل يعمل فيه حتى وفاة نور الدين، وإثر هذا بأمدٍ وجيز استخدمه صلاح الدين، وظل مرافقاً لهذا السلطان العظيم وقريباً منه حتى وفاة صلاح الدين. ومن أهم مؤلفاته " الفَتْح القَسّي في الفَتْح القُدّسِي "[1]. وقد أرخ العماد فيه من سنة 583هـ/1187م حتى 589هـ/1193م السنة التي توفى فيها صلاح الدين، وتتبع أهمية الكتاب من ذكر أخبار فتح بيت المقدس بشكلٍ تفصيلي لكون المؤرخ قد رافق صلاح الدين في حروب التحرير هذه، وقد ساعد هذا الكتاب في مجال العادات والتقاليد الاجتماعية ودور المرأة في الحرب، وكذلك فيما يخص أخلاقية صلاح الدين ومعاملته لأعدائه، وأيضاً بتقديم بعض التراجم للأشخاص والأسماء والمصطلحات التاريخية.

له أيضاً " البرق الشامي "[2]، وقد أرخ العماد في هذا الكتاب منذ بداية قيام حروب الفرنجة حتى وفاة صلاح الدين، وتأتي أهمية الكتاب من كون مؤلفه من رجال الإدارة في عهد صلاح الدين وأحد كُتَّابِه المقربين، والمطلعين على كل مراسلاته ووثائقه، تم الاعتماد على هذا الكتاب في البحث فيما يتعلق بالأحداث السياسية والاجتماعية في حقبة صلاح الدين الأيوبي. ومن آثاره النثرية أيضاً "جريدة القصر وخريدة العصر"[3] وهو من المصنفات المهمة بين كتبه، ويتألف من عشرة مجلدات وقد قسمه إلى أربعة أقسام، ترجم فيه للشعراء الذين كان أصلهم من العراق والشام ومصر والجزيرة والمغرب والأندلس، في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد زود القسم الثاني (شعراء الشام) البحث، بمعلومات عن الشعراء سواء في الجانب الاجتماعي أو الفكري.

5- ابن مماتي ت. 606هـ/1209م:

---

[1]. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

[2] . مؤسسة شامان، الأردن، 1987م.

[3] . قسم الشام، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1955م.

الأسعد بن المهذب، أحد وزراء الدولة الأيوبية، وكتابه " قوانين الدواوين "[1]، من الكتب الفريدة في بابها، العظيمة في مضمونها، قدم فيه معلومات مهمة جداً، قلما توفرت في المصادر الأخرى، ومع أن الكتاب خصص للديار المصرية، إلا أن المعلومات التي أوردها في البابين الثامن والتاسع التي تحدث فيها، عن الاقتصاد والاقطاع تنطبق على بلاد الشام ومصر، لأن البلدين يكملان بعضهما اقتصادياً، وبذلك أضاف معلومات في مختلف جوانب البحث.

6- ابن جبير ت. 614هـ/1217م:

محمد بن أحمد، بلنسي الأصل، غرناطي الموطن، ولد في بلنسية في الأندلس وتلقى علومه فيها، وكان شاعراً، أديباً، وفقيهاً من علماء الأندلس، أخذ العلم من علماء عصره في الأندلس والحجاز والشام والعراق، وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق، كان أولها في سنة 578هـ/1182م، وهي التي أودع مشاهداته خلالها في كتابه المسمى " رحلة ابن جبير "[2] الذي يعد أشبه بمذكرات يومية سجل فيه ملاحظاته ومشاهداته، وأورد معلومات عن علاقة العرب المسلمين بالفرنجة، متناولاً لبلاد المناصفات[3]. بين الطرفين وأحوال السكان العرب في ظل غزو الفرنجة، وأورد معلومات اقتصادية عن البلاد التي زارها، ويعد الكتاب من المصادر المهمة لأن مؤلفه شاهد عيان عما ذَكر، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية بين العرب المسلمين والفرنجة، وقد قدم للبحث معلومات جيدة، إضافة لوصفه الدقيق لبانياس.

7- ياقوت الحموي ت. 626هـ/1228م:

شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، جغرافي، رحالة، أديب وله مؤلفات عديدة أهمها " معجم البلدان "[4]. وهو معجم جغرافي طبع في خمس مجلدات، مرتب حسب حروف

---

[1]. تح: عزيز سوريال، مصر، 1943م.

[2]. دار صادر، بيروت، 1959م.

[3]. بلاد المناصفات: هي مناطق متنازع عليها بين المسلمين والفرنجة، ولم يستطع أي منهم السيطرة العسكرية عليها بشكل نهائي، وحتى يستفيد الطرفان اتفقا على السماح بعمارة الأرض واقتسام منتوجها مناصفة أو مثالثة، وقد اجتاز ابن جبير في رحلته بطرف إحدى هذه المناصفات وهي أراضي بانياس، ابن جبير: الرحلة، ص60.

[4]. دار صادر، بيروت، 1979م.

المعجم، يتحدث عن المناطق والمدن والقرى والوديان والجبال والأنهار وغيرها، مما اشتملت عليه البلدان العربية والإسلامية، ويورد ياقوت موقع المدينة وأحداثها المهمة. وقد ساهم هذا الكتاب في تثبيت العديد من المواقع الجغرافية.

8- ابن الأثير ت. 630هـ/1232م:

عز الدين محمد بن عبد الكريم الشيباني، ولد في جزيرة ابن عمر من أعمال الموصل، في أسرة عملت في خدمة الملوك الأتابكة، وقد انتقل مع والده وأسرته إلى الموصل في سنة 579هـ/1183م، وكان والده من الأعيان العاملين في الدولة الأتابكية في الموصل، حصل على معارف واسعة، خاصة في ميدان التاريخ. ومن كتبه البارزة " الكامل في التاريخ "[1]. الذي استهله بنشأة الخليقة من أول الزمان حتى الحقبة التي سبقت وفاته، ويعد كتابه خير ما ألف في الحوليات، لغزارة مادته وجمعه أخبار الشرق والغرب معاً، وتبويبه الحسن وأسلوبه الشيق ولغته الواضحة.

لقد أورد هذا الكتاب معلومات وفيرة عن علاقة الفرنجة بالمسلمين. أما عن الأحداث التي عاصرها ابن الأثير فإن كتابه يعد مصدر ثقة، وتتمتع معلوماته بالأصالة، خاصة أنه كان شاهد عيان لبعض الأحداث التي كتب عنها، فلم يكن مجرد راوٍ لتاريخ الأحداث التي عاصرها، بل كان صاحب رأي وناقد لبعض الذين نقل عنهم من المؤرخين، وأيضاً بعض الشخصيات التي تحدث عن أعمالها، وليس غريباً إذاً أن يكون كتابه مصدر معلومات رئيسي بالنسبة لكل من جاء بعده من المؤرخين المسلمين، وقد رافق هذا الكتاب أغلبية فصول هذه الرسالة نظراً لما قدمه من معلومات ثمينة تغطي كافة الجوانب.

وأفرد ابن الأثير كتاباً مستقلاً لتاريخ الدولة الأتابكية، سماه " التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية "[2]. وقد ألفه لملوك أسرة عماد الدين الزنكي بين سنتي 569-607هـ/1173-1210م ووضح في مقدمة كتابه، علاقة أسرته الوثيقة بملوك الموصل وسرد أخبار هذه الدولة، وكان والده مصدراً لكثير من معلوماته وكذلك كانت مشاهداته وما سمعه من معاصريه، وبحكم

---

[1]. دار الفكر، بيروت، 1987م.

[2] . تح: عبد القادر طليمات، دار الكتب لحديثة، القاهرة، 1995م.

الانتماء إلى الأتابكة، أقبل على الثناء عليهم جميعاً، ولدى تأريخه للصراع بين صلاح الدين وأتابكة الشام والموصل، تحزب للأتابكة وحرم صلاح الدين من الثناء، حتى أنه انتقد أفعاله. يبقى كتابه من أهم مصادر حروب الفرنجة. إذ زود البحث بالكثير من المعطيات فيما يخص الحقبة الأيوبية سواء كانت السياسية ،الاقتصادية أو الاجتماعية.

9- ابن شداد بهاء الدين ت. 632هـ/1234م:

أبو المحاسن، بهاء الدين يوسف بن رافع، أديب، فقيه ومؤرخ، ولد في الموصل، وتلقى علومه فيها، وسافر إلى بغداد، وعمل أربع سنوات معيداً في المدرسة النظامية[1]، ثم رجع إلى الموصل، فعين مدرساً في مدرسة القاضي الشهرزوري [2]، علت مكانته، لدى الحكام، لما عرف عنه من الحكمة، ورجاحة العقل كان سفيراً بين أتابكة الموصل والخليفة العباسي، في بغداد وإلى صلاح الدين، وغيرهم، من الحكام المجاورين. وفي سنة 584هـ/1188م التحق بخدمة صلاح الدين، فعينه قاضياً لعسكره[3]، وللقدس الشريف، وبقي خمس سنوات – إلى أن توفي صلاح الدين – ملازماً له، لا يفارقه ليلاً، أو نهاراً، واستوطن في حلب، بعد وفاة صلاح الدين، وأنشأ بها مدرسةً وداراً للحديث، وعلى يديه تتلمذ كثير من المؤرخين الذين أرخوا للدولة الأيوبية، كابن خلكان وابن العديم، وابن واصل، وغيرهم. له مؤلفات عديدة من أهمها " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" [4]، المعروف بسيرة صلاح الدين، وقسم كتابه إلى قسمين:

الأول: في حياة صلاح الدين، مولده ونشأته، وأخلاقه.

الثاني: في تاريخه، ووقائعه، وفتوحاته.

---

[1] . المدرسة النظامية: أول من أنشأها نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي. المقريزي، تقي الدين أحمد ابن علي: الخطط المقريزية، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج4، ص50.

[2] . القاضي الشهرزوري: محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر كمال الدين أبو الفضل الشهرزوري، الموصلي، ثم الدمشقي، ولد في سنة491هـ/1097م، تولى القضاء لنور الدين في دمشق، ت.572هـ/ 1176م، ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1983م، ج2، ص295.

[3] . قاضي العسكر: هو الشخص المسؤول عن القضاء في العسكر، وكان يكلف من قبل السلاطين والملوك بمهام عديدة إضافة لمنصبه، ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، 1971م، ج6، ص348.

[4] . تح: جمال الدين الشيال، دار النهضة، القاهرة، 1964م.

تأتي أهمية هذا الكتاب من كون ابن شداد اعتمد في الجزء الأول فيما يرويه على من يثق به من الرجال، وفي الجزء الثاني ذكر ما شاهده بنفسه، أو أخبره به من يثق به خبراً يقارب العيان، لهذا يعد كتابه أوثق المصادر لتاريخ صلاح الدين، وقد اشتمل على وصفٍ دقيقٍ للأحداث التاريخية، والمعارك الحربية بالإضافة إلى إشاراتٍ كثيرة تتعلق بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكذلك فيه معلومات عن الإقطاعات التي منحها صلاح الدين لأقاربه وقادته وغيرهم، وقد تمت الإفادة من كل هذه المعلومات لتزيد البحث غنى وتوثيقاً.

10- البنداري ت. 643هـ/1245م:

الفتح بن علي محمد، مؤرخ ذو ثقافة عربية وفارسية، كان مولعاً بالتاريخ، أوجز كتاب البرق الشامي للأصفهاني، بكتابٍ أسماه " سنا البرق الشامي " [1]، والكتاب سجل كامل للأحداث التي وقعت في عهد صلاح الدين والقسم المنشور، يمثل المجلد الأول وحوادثه من سنة 563هـ/1168م، والمعلومات الاقتصادية ضئيلة لذلك كانت الإفادة منه قليلة.

11- ابن نظيف الحموي ت. 644هـ/1246م:

أبو الفضائل محمد بن علي الحموي، كان مؤرخاً كبيراً وسياسياً شغل دوراً مهماً في أحداث القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وفي الصراعات الأيوبية خاصة، فقد عمل كاتباً لدى المجاهد شيركوه [2]، صاحب حمص كما عمل لدى غيره، وصنف ابن نظيف عدة كتب في التاريخ أهمها كتاب " الكشف والبيان في حوادث الزمان ". وكان كتاباً جامعاً وافياً وهو الآن بحكم المفقود يدلل على مكانته وأهميته اعتماد ابن الفرات عليه اعتماداً كبيراً، ونقله عنه تفاصيل واسعة حول العصر الأيوبي، ومختصر هذا الكتاب أعده ابن نظيف بنفسه وحمل اسم "

---

[1] . مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

[2] . أسد الدين شيركوه: هو الملك المنصور شيركوه بن شاذي، أبو الحارث، أسد الدين عم صلاح الدين من كبار قواد جيش نور الدين الزنكي لقبه الخليفة الفاطمي العاضد بالله بلقب المنصور، ولاه الوزارة وتوفي بالقاهرة 574هـ/1178م، ابن خلكان، شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م، ج2، ص479؛ الزركلي، خير الدين محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ج3، ص183.

تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان " اشتهر باسمه " التاريخ المنصوري " [1] ، وفي هذا الكتاب معلومات وافية تتعلق بالتأريخ للدولة الأيوبية في أواخر حكمها، وقد تمت الإفادة منه في علاقات الأيوبيين مع الدول والإمارات الإسلامية المجاورة لها وخاصة الأراتقة[2] ، وكذلك في الحياة الاقتصادية.

12- سبط ابن الجوزي ت. 654هـ/1256م:

هو يوسف بن قزأوغلي، ولد في بغداد في سنة 581هـ/ 1185م، ثم رحل إلى دمشق بعد سنة 602هـ/1205م، وعاش فيها قرابة النصف قرن واتصل بملوكها، أشهر مؤلفاته " مرآة الزمان في تاريخ الأعيان " [3]. ويتألف من أربعين مجلداً، بدأ فيه من أول الزمان حتى سنة وفاته، ورتب ما بعد الهجرة بالسنين يذكر الحوادث ثم الوفيات، ويتضمن الجزء الثامن منه معلومات عن الأحداث بين سنتي 495-654هـ/1101- 1256م. ويعد هذا الكتاب من التواريخ العامة التي قدمت معلومات وافية عن أحداث القرن الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين في بلاد الشام بشكلٍ عام، وقد أسهم في تقديم المعلومات، فيما يتعلق بالأحداث الداخلية والخارجية وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في معظم فصول الرسالة.

13- ابن العديم ت. 660هـ/1261م:

أبو القاسم، عمر بن أحمد، الصاحب كمال الدين، المعروف بابن العديم، ولد في مدينة حلب في سنة 588هـ/1192م، وفيها نشأ وتعلم، ونظراً لمنزلة والده، ولما تمتعت به أسرته من مكانه، نال ابن العديم حظاً وافياً من معارف عصره الدينية والدنيوية وقد رافق والده في رحلاته إلى دمشق والقدس والعراق والحجاز وعندما بلغ سن الشباب، وجد ابن العديم السبل أمامه كلها

---

[1]. مطبعة الحجاز، دمشق، 1981م.

[2] . الأراتقة: اسم دولة إسلامية تنسب لمؤسسها أرتق بن أكسب التركماني، نشأت عند نهاية القرن الخامس الهجري/ نهاية الحادي عشر الميلادي، كانت ماردين عاصمة لها، استمرت إلى سنة 812هـ/ 1409م، الخطيب، مصطفى: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص23.

[3]. طبع في حيدر آباد، 1952م.

مفتوحة لمستقبلٍ لامعٍ. وكان لمواهبه وثقافته وأسرته الفضل الأكبر في تحقيق نجاحاته، إذ شارك في الحياة السياسية والعلمية في حلب إلى أن ارتفعت مكانته إلى مرتبة الوزير، ومع ذلك فقد استمر في النظر والبحث العلمي، فقد كانت تحت تصرفه محتويات المكتبات العامة والخاصة مع السجلات ووثائقها الرسمية في حلب، وقد مكنته رحلاته من مراجعة محتويات معظم مكتبات بلاد الشام ومصر والعراق. وهكذا صنف ابن العديم عدداً كبيراً من الكتب، ولعل أشهر كتبه كتاب " زبدة الحلب من تاريخ حلب " [1]. الذي لم يقتصر على تاريخ مدينة حلب وحكامها المسلمين فحسب، بل تناول الحديث عن أحوال المسلمين في العراق وآسيا الصغرى، وبلاد الشام ومصر وعلاقة هؤلاء بحكام حلب، وكتابه مرتب على السنين، وبالنسبة لموضوع الرسالة، فقد ساعد البحث بشكل كبير بما جاء فيه من معلومات عن السلاجقة، وعن الانقسام الذي حصل بعد وفاة تتش، والأحداث في بلاد الشام في ظل الأيوبيين، وكذلك بما قدمه من إشارات كثيرة إلى النواحي الاقتصادية فيما يخص زمن الأيوبيين.

14- أبو شامة ت. 665هـ/1266م:

شهاب الدين بن اسماعيل المقدسي، كان متقناً للقراءات واللغة والفقه، حافظاً للحديث وله مصنفات كثيرة جُلَّهَا في علوم الدين، وقد صنف كتابه " الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية " [2]. وفق التأريخ الحولي، وقد سجل فيه جهاد وأعمال كل من عماد الدين الزنكي وابنه نور الدين ثم إنجازات صلاح الدين ضد الفرنجة، حيث لم يكن معاصراً للأحداث التي كتب عنها، فقد اعتمد مصادر مفقودة مثل ابن أبي طيء إلى جانب نقله عن العماد الأصفهاني وابن شداد (بهاء الدين).

يتضمن كتابه العديد من رسائل القاضي الفاضل، وقد أحسن النهل والاختيار واستوفى الروايات، وأبدى رأيه في ترجيح بعضها على بعض أحياناً، وقد أورد معلوماته بإسهابٍ عن

---

[1]. المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1954م.

[2]. أبو شامة، شهاب الدين بن اسماعيل المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية، تح: أحمد البيسومي، وزارة الثقافة، دمشق، 1991م.

أحداث حروب الفرنجة، وهو سجلٌ غنيٌ بالمعلومات الاقتصادية والاجتماعية، وقد كان هذا الكتاب خير معينٍ في كل مراحل البحث.

15- ابن أبي أصيبعة ت. 668هـ/1269م:

موفق الدين أبو العباس، ولد في سنة 600هـ/1203م، في دمشق لوالدٍ من أشهر الكحالين (أطباء العيون) فيها، وانصرف إلى تلقي علم الطب عن والده ثم سافر إلى القاهرة والتحق فيها بالبيمارستان الناصري[1]. يُدَرِّسْ ويَتمَرَّنْ، وقد اشتهر بمهارته للدرجة التي استدعاه فيها أمير بلدة صرخد[2] الأيوبي الملك الظافر[3]. فرحل إليه فأعجبه مناخ البلد الجبلي، وبقي هناك حتى وفاته، من مؤلفاته " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " [4]، وهو بين كتب الفلاسفة الأطباء ورجال الحكمة، أوفرها مادة وأوسعها أخباراً، أورد فيه حوالي أربعمائة ترجمة، بدأها بمقدمة عن تاريخ الطب وأصله، ثم أورد تراجم كبار الأطباء الإغريق والرومان وغيرهم.

كما تناول تراجم الأطباء من أول ظهور الإسلام مروراً بالعصر الأموي، ثم ذكر الأطباء السريان الذين كانوا في بداية ظهور دولة بني العباس، ثم الأطباء الذين ترجموا الكتب الطبية إلى العربية، وأطباء العصر الإسلامي في الأقاليم المختلفة في بلاد العجم والهند والمغرب العربي ومصر وبلاد الشام، كل ذلك حتى زمنه، تميز ابن أبي أصيبعة بالحس الأدبي فقد أدخل على كتابه الكثير من الطرافة، وقد ساهم هذا الكتاب في البحث، خاصة في ميدان العلوم الطبيعية والطبية.

16- ابن خلكان ت. 681هـ/1282م:

---

[1]. البيمارستان الناصري: أنشأه السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي في سنة 572هـ/ 1176م، شحادة، كمال: الموسوعة العربية، ج5، 2001م، ص784.

[2]. صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران، من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة، وولاية حسنة، الحموي: معجم البلدان ج3، ص401. الأمير ا

[3].الملك الظافر(568- 627هـ/1172- 1229م): أبو العباس خضر بن يوسف بن أيوب، مظفر الدين، شقيق الملك الأفضل، صحب عمه الأشرف في حرب الخوارزمية، الصفدي، خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ج13، ص329.

[4]. دار الثقافة، بيروت، 1978م.

شمس الدين أحمد بن أبي بكر، كان قاضي دمشق لمرتين، دَرَّسَ في مختلف مدارسها، يعد كتابه " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " [1] من كتب التراجم المهمة، وقد أفاد البحث في التعريف ببعض الشخصيات التاريخية.

17- ابن شداد عز الدين بن علي ت. 684 هـ/1285م:

عز الدين بن علي، عاش في كنف السلطان الظاهر بيبرس، وهو صاحب كتاب " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة " [2]. وقد اعتمد فيه روايات موثوقة، وعاصر الأحداث التي وقعت في أواخر عصر الدولة الأيوبية، قسم ابن شداد الكتاب إلى ثلاثة أقسام فجعل الأول لدمشق والثاني لحلب والثالث للجزيرة الفراتية، والفصول التي أوردها عن دمشق وحلب تكاد تجمع كل ما في الكتب العربية المتوفرة حتى اليوم، فيه دراسة شاملة عن الأسواق والتجارة، والإقطاعات والنباتات والجبال، وقد زود البحث بما يحويه من رواياته الموثقة بمعلومات عن النواحي الاقتصادية.

18- ابن واصل ت. 697هـ/1297م:

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم الحموي، كان واسع المعرفة، تنقل بين بلدان الشام والعراق والحجاز ومصر، وقد عاصر احتضار الدولة الأيوبية، وقيام دولة المماليك، عمل لدى الأيوبيين في أكثر من مكان وقد صنف أعظم كتاب في تاريخ بني أيوب " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " [3]. وهو كتاب قيم بمعلوماته عن الحياة السياسية، والاجتماعية والعلمية والأدبية للعصر الأيوبي، إذ أضاف للبحث معلومات مهمة، خاصة في النواحي السياسية والإدارية والاجتماعية.

19- أبو الفداء ت. 732هـ/1331م:

[1]. تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م.

[2]. تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، تح: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، 1962م، ج2.

[3] . تح: جمال الدين الشيال، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، 1953م.

عماد الدين اسماعيل، من أهم مؤلفاته كتاب " تقويم البلدان " [1]، وهو معجم بلداني يتحدث فيه عن كل بلد وصفاً، ويضبط الأسماء ويحدد المصدر الذي اعتمد عليه، وقد ساعد كمصدر مهم في التعريف بالمدن، ووصفها وكل مايتعلق بتاريخها من النواحي السياسية، الاقتصادية والزراعية والصناعية وشهرتها التجارية، أما كتاب " المختصر في أخبار البشر " [2]، ففيه إشارات عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية.

20- الدواداري ت. 736هـ/1335م:

أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك، من المؤرخين الذين كتبوا عن الدولة الأيوبية وأهم مؤلفاته كتابه الشهير " كنز الدرر وجامع الغرر "، حيث أفرد فيه جزءاً خاصاً – الجزء السابع – أسماه " الدر المطلوب في أخبار بني أيوب " [3]، وقد تضمن معلومات جغرافية وافية عن مدن الشام والمنشآت العسكرية والمعوقات الاقتصادية، وعن الزلازل، والطواعين، وقطاع الطرق والصراعات الداخلية، كما تحدث عن العملات، والأسعار والمبيعات، وقد تم الاعتماد عليه بشكل كبير.

21- الذهبي ت. 748هـ/1347م:

شمس الدين محمد بن أحمد، الحافظ والمحدث والمؤرخ، أعظم المؤرخين الدمشقيين بعد ابن عساكر، من مؤلفاته " تاريخ الإسلام " [4] في اثني عشر مجلداً، جمع فيه الحوادث والوفيات، وقف فيه عند سنة 700هـ/1300م، وكتاب " سير أعلام النبلاء " [5]. و" دول الإسلام " [6] وقد أسهمت كتبه في معظم فصول البحث وفي التعريف بالتراجم.

22- ابن كثير ت. 774هـ/1372م:

---

[1]. دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

[2]. دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

[3].. القاهرة، 1977م.

[4] . تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، 1992م.

[5]. تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.

[6] . تح: محمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية للكتاب،1974م.

اسماعيل بن عمر، صاحب كتاب " البداية والنهاية "، جاء في أربعة عشر مجلداً أهمها وأغناها بالمعلومات الخاصة بالبحث الأجزاء: العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، حيث وردت تراجم للسلاطين والأمراء مع إشارات واضحة إلى المعوقات الاقتصادية وبخاصة الأوبئة والزلازل، ويتضمن أيضاً معلومات عن أنواع الملبوسات وبعض الزراعات، وفيه تفاصيل عن الأحداث السياسية وخاصة النزاع بين أبناء البيت الأيوبي، إذ كان من أهم المصادر في توثيق المعلومات السياسية والاقتصادية.

23- ابن بطوطة ت. 779هـ/1377م:

أبو عبد الله محمد، مغربي الأصل، ولد في طنجة، ورحل إلى جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك، مدة تسع وعشرون عاماً، وكتابه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " [1] المشهور برحلة ابن بطوطة، وهو سجل جغرافي عظيم الثراء في مادته، ووفرة ملاحظاته، ودقة معلوماته عن البلاد التي مرَّ بها، فهو يذكر البلد ويشير إلى تاريخه وأهم معالمه وأحداثه واقتصادياته، لذا كانت معلوماته مكملة لمعلومات ابن جبير وبخاصة في الأمور الاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية.

24- ابن الفرات ت. 807هـ/1404م:

ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، صاحب التاريخ المسمى باسمه[2] الذي أورد فيه معلومات كثيرة عن النواحي الإدارية والإقطاع، وفيه إشارات إلى الأوزان والمكاييل وأنواع الثياب، كما ورد فيه ذكر للعملة والنقود والزلازل، وقد استفاد البحث من كل هذه المعطيات لصلتها الوثيقة بالموضوع.

25- القلقشندي ت. 821هـ/1418م:

---

[1]. دار التحرير، القاهرة، 1966م.

[2]. تاريخ ابن الفرات، العراق، 1967م.

أحمد بن علي، حيث يعد كتابه " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " [1] موسوعة ضخمة للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية، وهو يقع في أربعة عشر مجلداً، وفيه الكثير من المعلومات الاقتصادية عن الصناعات والمتاجرات، وملكية الأراضي والزراعات.

26- المقريزي ت. 845هـ/1441م:

تقي الدين أحمد بن علي، شيخ المؤرخين وصاحب مدرسة تاريخية تنوعت مادتها وتعددت، فكتب في التاريخ والسياسة والعمران، وعالج الأزمات الاقتصادية ومشكلاتها. أشهر مؤلفاته: " السلوك في معرفة دول الملوك " [2]، وقد أورد فيه معلومات أوفى بكثير مما كتبه معاصروه عن الأيوبيين، فهو يذكر المعلومات عن الدولة الأيوبية بشيءٍ من التفصيل ويشير إلى فتوحات صلاح الدين وأعماله العسكرية، ونسب الأيوبيين، وقد تمت الاستفادة بشكل خاص من الإشارات التي أوردها حول الأمور الاقتصادية.

أما الكتاب الثاني للمقريزي فهو " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " [3]، المعروف بالخطط المقريزية، ويشتمل على معلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية بكل أشكالها، وعن الناحية المالية وأحوالها، وعلى الرغم من أن الكتاب خاص بمصر، فإن الأوضاع في مصر كانت مشابهة لمثيلاتها في بلاد الشام، وقد شكلت وحدة جهادية في ظل العصر الأيوبي. و تعد كتب المقريزي مصدراً مهماً من مصادر دراسة الحقبة الأيوبية، وكان لها أهمية كبيرة في التعريف بالإقطاع العسكري وكذلك في دراسة النقود والموازين والأحداث السياسية والعلاقات التجارية وغيرها.

27- ابن تغري بردي الأتابكي ت. 874هـ/1469م:

---

[1]. المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913م.

[2]. تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.

[3]. تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ج2، بيروت، 1998م.

أبو المحاسن جمال الدين يوسف، من أصل مملوكي، عمل أبوه أتابكاً للعسكر، وأتاح له هذا المنصب فرصة الاطلاع على الكثير من تفاصيل أخبار عصره: السياسية والإدارية والعمرانية، إضافة إلى اطلاعه على محتويات عدد من المصادر العربية الخاصة، مثل كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وغيره. من أهم مؤلفاته " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة "[1]، وقد زود البحث بمعلومات عن الناحية السياسية فيما يخص أوضاع الخلافة الفاطمية وسقوطها على يد صلاح الدين الأيوبي، كذلك عن تأسيس السلطنة الأيوبية وعلاقتها بالخوارزمية.

28-الحنبلي ت. 876هـ/1471م:

أحمد بن إبراهيم، صاحب كتاب " شفاء القلوب في مناقب بني أيوب "[2]، وهو من أهم المصادر التي أرخت سيرة بني أيوب منذ تأسيس دولتهم، حتى سقوطها، ويورد إشارات عن الإقطاع والمعوقات الاقتصادية والكوارث كالطاعون مثلاً.

29- النعيمي ت. 927هـ/1520م:

عبد القادر بن محمد، اشتهر بعلمي الحديث والتاريخ، وكتابه" الدارس في تاريخ المدارس" يأتي من حيث الأهمية بعد تاريخ ابن عساكر، إذ جمع المؤلف فيه تاريخ دور القرآن، الحديث المدارس، الخوانق، الربط والزوايا[3]، ومن ميزاته ومحاسنه أنه جمع ما هو مشتت في كتب التراجم فهو فريد من نوعه، وقد اختصره ابنه يحيى وأضاف عليه وسماه " تنبيه الطالب وإرشاد الدارس"، وقد أغنى البحث من ناحية الجانب الفكري والثقافي خصوصاً فيما يتعلق بالمدارس، وطرائق التدريس والأوقاف التي أوقفت لها...الخ.

---

[1]. المؤسسة المصرية العامة، ج5، ج6، القاهرة، 1971م.

[2]. تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1996م.

[3] . الخوانق: مفردها خانقاه، كلمة فارسية معناها البيت، تطلق على المكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة. الرباط: هو المكان المخصص للمرابطة في الثغور للجهاد، أو المكان الذي يجتمع فيه الزهاد للتعبد. الزوايا: وهي أشبه ما تكون بالمسجد الصغير أو المصلى، ابن جبير: الرحلة، ص199.

كذلك كان لابد لانجاز البحث من الاستعانة بالعديد من المصادر الجغرافية التي وثقته من النواحي الاقتصادية والاجتماعية، ككتاب الإدريسي[1]، والمقدسي[2]، والأحكام السلطانية للماوردي[3]، والموسوعة الشامية[4]، لسهيل زكار بأجزائها التي تخص موضوع البحث، وكذلك العديد من كتب التراجم، التي أسهمت في التعريف ببعض الشخصيات وأهمها،" الوافي بالوفيات " للصفدي[5]، وكتاب الأعلام للزركلي .

إضافة إلى ماسبق تمت العودة إلى بعض المراجع مثل "النظم المالية" [6] لأنور الرفاعي " النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى " [7] لإبراهيم طرخان ،" وتاريخ الأيوبيين في مصر والشام وإقليم الجزيرة " [8]، كتاب محمد سعيد عاشور[9] ومحمد كرد علي[10] إلى جانب بعض الكتب الأجنبية المترجمة مثل زامباور[11] وهاملتون جب[12]، وآشتور[13].

[1]. الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتاب، بيروت، 1989م.

[2]. أبو عبدالله محمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.

[3]. علي محمد بن حبيب، دار الحرية، بغداد، 1990م.

[4]. دمشق، 1993م.

[5]. خليل بن أيبك بن عبد الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.

[6]. دار الفكر، دمشق، 1973م.

[7]. القاهرة، 1968م.

[8]. طقوش، محمد سهيل، دار النفائس، دمشق، 1999م.

[9]. الأيوبيون في مصر والشام، دار الأفاق، القاهرة، 1970م.

[10]. خطط الشام، مؤسسة الأعلمي، ج3، بيروت، 1983م.

[11]. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: زكي محمد حسن بك، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م.

[12]. دراسات في حضارة الإسلام، تر: أحمد يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

[13]. التاريخ الإقتصادي والاجتماعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، 1985م.

الفصل الأول

الجغرافية التاريخية لبانياس والأوضاع السياسية في المشرق العربي الإسلامي:

أولاً : الجغرافية التاريخية لبانياس:

1. التسمية
2. الموقع الجغرافي والتضاريس
3. المناخ والنبات والمياه
4. لمحة عن تاريخ بانياس وقلعتها قبل الإسلام
5. بانياس عند الجغرافيين المسلمين

ثانياً : الأوضاع السياسية في المشرق العربي الإسلامي :

1. الخلافة العباسية
2. الأتابكيات السلجوقية في بلاد الشام
3. الخلافة الفاطمية وسقوطها على يد صلاح الدين
4. السلطنة الخوارزمية وانهيارها
5. ممالك الفرنجة
6. الاسماعيلية

أولاً . الجغرافية التاريخية لبانياس

1 . التسمية:

هي بانيس القديمة، يرجع تاريخها إلى زمن الكنعانيين وقد اشتق اسمها من بانيوم أو بانيونpanion أو بانيس الاسم المنسوب إلى pan الإله اليوناني، الإله الراعي، إله المواشي الذي كان يمارس الصيد، وهو نصف إنسان ونصف ماعز، المسيطر على الغابة ورُوَّادَهَا، إذ كان صوت مزماره يُرَوِّح عن الناس ويسلي حوريات الماء والحيوانات، وكانت عبادته تقام في الهواء الطلق. وحسب تفسير المؤرخ اليهودي أفلافيوس Aflavius [1]، سميت المدينة العظيمة أو مدينة الله[2].

حين زار الإمبراطور الروماني أغسطس Augustus [3] سورية وفلسطين في سنة 20 ق.م أقطع بانياس لهيرودوس Herodos[4]، فقام هذا الأخير بتجميلها وتوسيعها وأقام هيكلاً من المرمر لأغسطس، ثم سماها ابنه فيلبس Feleps [5] ، قيصرية فعرفت باسم قيصرية فيلبي، ثم

---

[1] . أفلافيوس: هو يوسف بن ماتياس ولد في سنة 37-38 م في أورشليم، ومات على الأرجح في روما سنة100م. الزين، محمد: أفلافيوس، الموسوعة العربية، دمشق،2001م، ج22، ص609- 613.

[2]. مجموعة من المؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج3، ص316.

[3] . أغسطس 63 ق.م-14م: ولد في روما، وهو مؤسس النظام الامبراطوري الروماني، عرف بأسماء عديدة، غايوسgaius، أوكتافيوسoctavius، ومنذ27 ق.م طغى لقبه الرسمي أغسطس، درس الخطابة والأدب والحقوق وتدرب على الحياة العسكرية، الزين: أغسطس، الموسوعة العربية، ج2، ص832-834.

[4] . هيرودوس الأدومي 73- 4 ق.م: المعروف باسم هيرودوس الكبير، مؤسس السلالة الهيرودية التي دام حكمها حتى سنة 70م تحت السيادة الرومانية، كان جده أنتيباس Antipas حاكم على أدوم ايدوميا Idumaea في الجنوب الشرقي من فلسطين، الزين: هيرودوس، الموسوعة العربية، ج22، ص37- 38.

[5] . فيلبس: ابن هيرودوس الكبير، عينه والده على المنطقة الشرقية الشمالية من فلسطين توفي34م، الزين: فيلبس، الموسوعة العربية، ج22، ص38.

أصبحت تعرف باسم قيصرية بانياس تمييزاً لها عن قيصارية (قيسارية) فلسطين[1]. وفي العصر الروماني كانت إحدى مدن الديكابوليس (اتحاد المدن العشرة)[2].

في القرن الرابع الميلادي غدت بانياس مقراً لمقاطعة فينيقية الرومانية من ولاية سورية، وأقيمت قلعة الصُّبَيْبَة[3]– بضم الصاد وفتح الباء; تصغيراً للصُّبَّة والصُّبَّة: جماعة من الخيل(مربض الخيل)– حيث كان من عادة العرب في بعض الأحيان اطلاق أسماء الخيل على القلاع والحصون– قد دار الجدل بين المؤرخين والباحثين فيما يخص بناء هذه القلعة فذكر تيسير خلف، بأن العرب المسلمين، قد بنوها في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي على يد الملك العزيز عثمان بن الملك العادل الأيوبي، لإحكام السيطرة على الأقاليم المحيطة بها من الجولان وبلاد صفد ووادي التيم[4] وبلاد بشارة [5]، لكن عز الدين بن شداد أول من ذكر مدينة بانياس وينسب بناؤها للفرنجة بقوله:" وهي مدينة الجولان ولها قلعة تسمى الصُّبَيْبَة بناها الفرنج بعد الخمسمائة طولها ثمان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، عرضها ثلاث وثلاثون درجة" [6] لكن أكثر التصاميم والتحصينات والمباني في هذه القلعة عربية إسلامية، تشهد بذلك الآثار

---

[1] . قيسارية: بلدة على ساحل المتوسط من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، الحموي: معجم البلدان ج4، ص421؛ الحياري، مصطفى: حصن بيت الأحزان، مجلة البحث العلمي، العدد الرابع، الجامعة الأردنية، 1975م، ص163.

[2]. المدن العشرة هي: فيلادلفيا (عمّان)، أبيلا (أحرثا)، جراسا (جرش)، جدارا (أم قيس)، كانثا (أم الجمال)، دايون (أيدون)، هيبوس (الحصن)، سكثيبوليس، بيت شان (بيسان)، دمشق.https://ar.m.wikipedia.org

[3]. الملحق رقم /2/، ص164.

[4] . وادي التيم: من أعمال بعلبك على السفح الغربي لجبال الحرمون في الأراضي اللبنانية، النحال، سلامة: جغرافية سورية ولبنان، بيروت، 1973م، ص21.

[5]. بلاد بشارة : جبل عامل أو جبل الجليل أو جبل الخليل أو بلاد بشارة، تلك هي الأسماء المتعددة التي عرف بها قديماً جبل عامل من لبنان الجنوبي، وبلاد بشارة نسبة إلى أحد الزعماء الذي تعددت الأراء حول نسبه وذكر بعض المؤرخون أنه الأمير بشر بن معن، وقال أخرون أنه بشارة بن مقبل القحطاني، لكن الأقرب إلى الصحة هو الأمير حسام الدين بشارة بن أسد الدين بن سلامة العاملي، الزين، علي: البحث عن تاريخنا في لبنان، بيروت، 1973م، ص25؛ خلف، تيسير: قلعة الصبيبة، مجلة مهد الحضارات، العددان الثالث والرابع، المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م، ص 71 – 75، ص 72.

[6]. الدرجة: عند أهل الهيئة تطلق على جزء من 360 جزء من محيط الدائرة، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج2، ص 225.

والكتابات الماثلة حتى الآن[1]، وقد ذكرها ابن جبير بقوله: " بانياس بلدة صغيرة لها قلعة تحيط بها الأسوار التي يجري نهر بانياس حولها ويخرج من أحد أبواب المدينة ويدير طواحينها " [2].

2 . الموقع الجغرافي والتضاريس:

لابد لفهم تاريخ أمة من الأمم أو منطقة من المناطق، من معرفة بيئتها الطبيعية حيث أنها من الأسس المهمة في تكوينها فهي تؤثر في السكان ونشاطهم [3]، ومنجزاتهم الحضارية على كافة الأصعدة في مختلف الحقب التاريخية.

تقع بانياس في إقليم الجولان جنوب غرب بلاد الشام، الذي بقي محتفظاً بوجوده كوحدة جغرافية إقليمية يحده جبل الشيخ[4] شمالاً ، ووادي نهر اليرموك جنوباً [5]، وشرقاً حوض نهر الأعوج ووادي نهر الرقاد[6] ومن الغرب نهر الأردن(الشريعة)، وبحيرة طبرية وسهل الحولة[7]. ويقع الجولان بين خطي الطول 35 درجة و6 دقائق و35 درجة و56 دقيقة شرق غرينتش، وبين خطي عرض 32 درجة و40 دقيقة و33 درجة و15 دقيقة شمال خط الاستواء، أي أنه يدخل في نطاق العروض المدارية للنصف الشمالي من الكرة الأرضية مشكلاً هضبة متطاولة محصورة بين البحر المتوسط غرباً والبادية شرقاً، وبين جبل الشيخ شمالاً وهضاب ومرتفعات عجلون جنوباً [8].

---

[1]. الملحق رقم /5/، ص167-170.

[2]. ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص 34.

[3]. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص46.

[4]. جبل الشيخ: هو عبارة عن كتلة كلسية جرداء ترتفع عند القمة إلى 2814م. الحسكير، عبد المنعم: الجولان مفتاح السلام في الشرق الأوسط، دار بيسان، بيروت، 1999م، ص 38.

[5] . وادي اليرموك: وادي بناحية الشام، يصب في نهر الأردن ثم بحيرة طبرية. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص434.

[6]. الأعوج: نهر ينبع من جبل الشيخ في سورية يخترق الكسوة ويصب في الهيجانة جنوب شرق دمشق. شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد،1986م، ص25. وادي الرقاد: وادٍ سيلي غزير في فصل الشتاء، وجاف في فصل الصيف، يصب في وادي نهر اليرموك، شرقي قرية الدبوسية. الحسكير: الجولان، ص 64.

[7]. الحسن، أحمد محمود: الجولان تاريخ وجذور، دار الأوائل، دمشق، 2006م، ص 21.

[8]. عبد السلام، عادل: جغرافية الجولان وآثار إعماره، مجلة مهد الحضارات، العددان الثالث والرابع ص 53-57، المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م.

لاستكمال الصورة عن الجولان لابد من الإشارة إلى تضاريسه، فهو يتمتع بتضاريس بركانية كثيرة التموج، تلونها الحجارة البازلتية باللون الأسود المائل للزرقة أحياناً، وهي عبارة عن تلال أصل معظمها مخاريط بركانية مبعثرة تتواجد في كل مكان بالإضافة إلى تأثر هذا الإقليم بالانهدام الإفريقي الآسيوي، فقد ظهرت صخور من طبقات كلسية جيرية وصخور غضارية ممزوجة بالرمل، تتوزع إلى الغرب من مدنية بانياس وصخور لحقية نتيجة الحت المائي والانزلاقات والانهيارات بالنسبة للتربة فقد نتجت عن تفكك الصخور البازلتية وتآكلها، وقسم منها نجم عن الحت المائي بسبب الأمطار الغزيرة وحفر السيول لوديانها[1].

إن الموقع المتميز للجولان ومدنه ومنها بانياس، يجعله مركز مواصلات يربط الطرق الرئيسية التي تصل بين البلدان العربية المجاورة، وهي نقطة ازدحام القوافل التجارية القادمة من الحجاز واليمن والحيرة، ومن مرافئ البحر المتوسط ومصر. مما جعله مركز تفاعل حضاري وثقافي منذ أقدم العصور التاريخية [2]، وتبرز أهمية موقعه من ناحية المواصلات والعبور بربطه أهم مركزيين سكانيين في بلاد الشام، وهما مدينتي دمشق والقدس[3]، حيث أثر موقعه بشكل واضح كمفترق للطرق على تاريخه كساحة للحرب زمن الحرب وطريقاً تجارياً في زمن السلم.

يضم الجولان العديد من المدن والمراكز الحضارية التي تضم (قاعات رياضية، مسارح، أديرة) وتتصل مع بعضها البعض، وأهم هذه المدن في تاريخ الجولان مدينة بانياس التي تقع على ارتفاع 329م شمال غرب الجولان عند نهاية سفوح جبل الشيخ الغربية، والتي تنحدر بشدة مشكلة ودياناً وتلالاً حصينة، ينفجر عند أقدامها أهم روافد نهر اليرموك وهو نهر بانياس بالإضافة إلى مجموعة من الينابيع والأقنية التي تدير الطواحين المائية وتروي الأراضي الخصبة، وتشرف على سهل الحولة في الغرب بينما يحمي ظهرها الشرقي من الرياح الشمالية الباردة تلال جبل الشيخ [4].

---

[1]. الحسكير: الجولان، ص 38 . 39.

[2]. السيد، عبد الله مرعي: الآثار في الجولان، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م، ص 30 –32.

[3]. الحسن: الجولان تاريخ وجذور، ص 19 . 20.

[4]. الشيشكلي، عصام: الجولان، د. م، د. ت، ص122.

3 . المناخ والنبات والمياه:

أ . المناخ:

يعرف باسم المناخ الجولاني، حيث يحمل خصائص نمطين من أنماط المناخات المعروفة هما المناخ المتوسطي الرطب، والمناخ المتوسطي الجبلي[1]، حيث يخضع خضوعاً تاماً لصفات المناخ المتوسطي بكل ما فيه من تقلبات في درجات الحرارة وهطول الأمطار، ويتميز بشتاء أطول نسبياً من شتاء المناطق الداخلية، وصيف جاف تبدو فيه السماء صافية.

ب . الرياح:

هي شرقية ذات أصل قاري، جافة باردة جداً شتاءً، غربية رطبة تهب من جهة البحر المتوسط تحمل الأمطار في فصل الشتاء[2] ، وحارة تحمل الغبار والرمال صيفاً .

ج . المياه:

يتمتع الجولان بثروة مائية هائلة لاحتوائه على مصدر ثلجي ضخم في جبل الشيخ بالإضافة إلى مياه بحيرة مسعدة، ونهر الأردن وروافده، ونهر اليرموك وروافده، ومئات الينابيع في كل مكان من أرضه، حيث يعتمد السكان على هذه المياه في زراعتهم الصيفية والشتوية، ويعد نهر بانياس أحد روافد نهر الأردن وأكبر أنهار فلسطين، حيث ينبثق من مدينة بانياس شمال غرب هضبة الجولان على ارتفاع 914م عن سطح البحر، وعلى مسافة 19كم من سهل الحولة ويبلغ طوله 9كم ومردوده السنوي 157مليون م^3، ويرفده عدة روافد أهمها وادي العسل، ووادي الخشبي ووادي السَّعر[3].

---

[1]. السيد: الآثار في الجولان، ص 30.

[2]. الحسكير: الجولان، ص 50 . 51.

[3]. **وادي العسل:** ينبع من جبل الشيخ ويجري إلى الغرب من بانياس، ويلتقي بنهر بانياس في سهل الحولة؛ **وادي الخشبي:** يهبط من جبل الشيخ ويلتقي بنهر بانياس في القرية ذاتها؛ **وادي السَّعر:** ينبع من جنوب شرق مجدل شمس ويتخذ اسم كانيا ويلتقي بنهر بانياس بالقرب منها من جهة الغرب، باغ، أديب: الجولان دراسة في الجغرافية الإقليمية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983م، ص 199.

د . النبات:

تغلب على الغطاء النباتي في منطقة بانياس أشجار السنديان والبلوط والصنوبر وشجيرات الزيتون والبطم[1]، كما لا تخلو من الشجيرات الصغيرة والنباتات البصلية الجذور والحشائش والنباتات السهبية –الرعوية – بينما يتواجد في الوديان أشجار الصفصاف والحور والأكاسيا[2]، أما ضفاف الأنهار كنهر بانياس فغنية بأشجار الدلب والدردار[3]، لكن هذا الغطاء النباتي لا يستطيع تجاوز هضبة الجولان نحو الشرق من مجرى وادي الرقاد، حيث تتواجد الأعشاب المحتملة للجفاف وهي أعشاب تشبه المراعي لكنها أقصر وأكثر تلاؤماً مع الجفاف تمتد على التخوم الشرقية للجولان بحيث تتجاوز بادية الشام فتظهر نباتات السوس والخرنوب والعيصلان[4].

مما **تقدم** يتبين: يمتلك الجولان ثروة مائية كبيرة من الينابيع والأنهار والأودية بالإضافة إلى ثروة نباتية متمثلة في السهول الزراعية الخصبة من الحبوب والبقول والخضار والأشجار الغابية والمثمرة من حمضيات وغيرها، أضف إلى ذلك موقعه الاستراتيجي المميز الذي جعله نقطة ربط للطرق الرئيسية منذ أقدم العصور.

---

[1]. البطم: شجرة ترتفع من 2 – 6 م، أوراقها ساقطة محورها شبه اسطواني أو مضلع غير مجنح، أوراقها بيضوية مثلثية الشكل وتنتهي بشفرة يزهر في نيسان ويرافق هذا النوع السنديان من جهة والبلوط من جهة أخرى، وزارة الدولة لشؤون البيئة: أطلس التنوع الحيوي في سوريا، دمشق، 2002م، ص 115.

[2]. الأكاسيا: أو الأقاقيا شجرة من الفصيلة القرنية منه العربي، الذي يستخرج منه نوع من الصمغ ويستخرج أيضاً بالتقطير عطر العنبر المشهور، الباشا، عفت القاضي: معجم رموز ودلالات الأزهار والنباتات، مكتبة لبنان، بيروت، 2005م، ص 14.

[3]. الدلب: أشجار كبيرة الحجم، فصيلة الدلبيات، منتصبة الساق، أوراقها متعاقبة معنقة، تزرع في المواقع الرطبة وعلى ضفاف الأنهار والجداول. الدردار: شجيرات برية وتزينية طولها من 2 – 6 أمتار أوراقها مركبة بيضية الشكل، أزهارها كثيرة يميل لونها إلى البياض، ثمارها صغيرة مستطيلة، الباشا: معجم رموز ودلالات الأزهار والنباتات، ص 64 . 65.

[4] . العيصلان: سيقان هذا النبات مائلة وأزهاره بيضاء، وتصدر الزهرة صوتاً يشبه هرير القطة عندما تتعرض للضغط، ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1995م، ج4، ص 384.

4 . لمحة عن تاريخ بانياس وقلعتها قبل الإسلام:

يعد الجولان، جنة بروعته وخصب سهوله الفسيحة الرابضة في أحضان جبل الشيخ اشتهر بوفرة خيراته وغنى أراضيه وأهميته الاستراتيجية، فكان عبر التاريخ هدفاً لهجوم الفاتحين ومطامح الغازين، فمتى سُكن الجولان؟ وما التطورات التاريخية التي شهدها، وما الدول التي تعاقبت على حكمه؟

- بانياس قبل الإسلام:

إن أقدم الوثائق التاريخية التي تشير إلى إقليم الجولان هي مراسلات تل العمارنة[1] المكتشفة في قصر الفرعون- أمنحوتب الرابع- في صعيد مصر وتعود إلى القرن 14 ق.م، وقد ازدهرت منطقة الجولان في العصر الآرامي في مجالات التجارة والعمارة والزراعة، في العصر الآشوري اجتاحت المنطقة جيوش آشور بانيبال في سنة 633 ق.م[2]، أما في العصر الكلداني فقد انتشرت الاضطرابات وهدِّمت المدن وخاصة في عهد الملك بختنصر 605- 562 ق.م[3] وتعرض سكان الجولان للأذى والضرائب المرتفعة وأعمال السُّخرة، وفي زمن سيطرة الفرس 539- 331 ق.م استمر الجمود وبقي الإهمال يسود الزراعة وأقنية الري، إلى أن جاء العصر اليوناني الإغريقي، إذ ازدهرت الحضارة الهلنستية 331- 64 ق.م[4]، وأصبحت مدينة بانياس ذات شأن متميز في العصر السلوقي، وهنا بدأت تنعم بالتقدم والبناء؛ فقد ظهرت القصور والهياكل والمتاحف كما أقيمت المسارح الكبرى، ولأهمية موقعها الاستراتيجي شيدت بنمط المدن

---

[1] . مراسلات تل العمارنة: رقم طينية مكتوبة بالخط المسماري واللغة الاكادية، عثرت عليها إمرأة مصرية في سنة 1294هـ/ 1877م، ثم تبين أنها الرسائل التي بعثها أمراء سورية إلى الملك أخناتون وإلى ابيه الملك امنحوتب الثالث، بلغ عددها 377 رسالة كتبها أمراء جبيل وصور وصيدا وقطنا والقدس. وتل العمارنة كانت عاصمة للدولة المصرية الحديثة في عهد مؤسسها أخناتون الذي حكم مصر بين 1367- 1350ق.م، زهدي، بشير: تل العمارنة، الموسوعة العربية، ج13، ص455- ص456.

[2]. آشور بانيبال: آخر ملوك آشور، هو الولد الثالث للملك أسرحدون، حكم مابين 668- 626 ق.م، وبلغت آشور في عهده ذروة مجدها في الفن والعمارة والأدب والعلوم، أبو عساف، علي: آشور بانيبال، الموسوعة العربية، ج2، ص590.

[3]. بختنصر: هو الملك الثاني من سلالة بابل الحادية عشرة، أقام حكم هذه السلالة ذات الأصل الآرامي في عام 626 ق.م، بعد نجاح تمرده على الحكام الأشوريين. حنون، نائل: بختنصر، الموسوعة العربية، ج2، ص453.

[4]. الحسكير: الجولان، ص 15 - 16.

والمستعمرات اليونانية، وأصبحت مركز مراقبة للقرى المجاورة وتضمنت كل المؤسسات المدنية والثقافية المعهودة من قاعات رياضية ومسارح، وكان سكانها وثنيِّين ثم انتشرت المسيحية في القرن الرابع الميلادي ببطء، بسبب الضغوط الوثنية واضطهاد الأباطرة والحكام المحليين والولاة الرومانيين، تحول الجولان برمته من الوثنية إلى المسيحية وقد حافظ عليها أمراء الغساسنة وشجعوا على انتشارها. فبنيت الكنائس والأديرة العديدة مثل دير سرجيس، دير فيق، دير بانياس، دير سراني، بيت تيما، ودير السرس[1].

كان السكان في بلاد الشام ينتظرون الخلاص من الحكم البيزنطي الجائر وكانت الأوضاع المضطربة في هذه المناطق من العوامل التي مهدَّت للفتح العربي الإسلامي، وكان الجولان البوابة الجنوبية لدخول جيوش الفتح الإسلامي إلى بلاد الشام بعد معركة اليرموك13هـ/634م[2].

بانياس في العصر الإسلامي:

- **في العصر الأموي:** توزعت أراضي الجولان بين جند[3] دمشق وجند الأردن، وكان لتسامح الأمويين مع المسيحيين وعدم تشجيعهم على دخول الإسلام بغية الاستمرار في دفع الجزية والخراج، لكن زلزال سنة 132هـ/749م أتى على هذه المدينة مثلما فعل بالكثير من مدن الجولان.

- **في العصر العباسي:** بدأت مرحلة حالكة من تاريخ الجولان وبلاد الشام عموماً بتحولها من مركز الدولة العربية الإسلامية إلى طرف من أطرافها، ولكن أثناء الصراع الفاطمي العباسي على بلاد الشام وقعت معركة الأقحوانة في سنة 420هـ/1029م[4]، جنوب غرب الجولان بين القائد

---

[1] . اثناسيو، متري هاجي: سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، 1997م، ص 468.

[2]. هناك خلاف بين المصادر في ذكر تاريخ معركة اليرموك، البعض يذكرها في سنة 13هـ/ 634م، والبعض الأخر في سنة 15هـ/ 636م، حبيب، مالك: دليل سوريا السياحي، دار الجمهورية، دمشق، 2008م، ص 786 - 687.

[3] . جند: هي المدينة وجمعها أجناد، وخص أبو عبيدة الجراح به مدن الشام، وهي خمس: دمشق، حمص، قنسرين، الأردن، فلسطين، ويقال لكل مدينة منها جند. ابن منظور: لسان لعرب، ج3، ص132.

[4]. الأقحوانة: من أعمال دمشق وبلاد الأردن على شاطئ بحيرة طبرية، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 308.

الفاطمي أنوشتكين الدزبري[1]، الشهير بمنتجب الدولة، و التحالف الشامي[2]، بقيادة صالح بن مرداس أمير بني كلاب، وحسان بن مفرج الطائي وسنان بن عليان الكلبي. وانتهت بانتصار الفاطميين وقتل صالح بن مرداس، وكانت هذه المعركة فاصلة في وضع حد للعبث والتخريب الذي ساد عموم بلاد الشام.[3]

- **في العصر الفاطمي:** أما أخبار مدينة بانياس في حقبة حكم الدولة الفاطمية(358-568هـ/968-1172م) فلا تتعدى إشارات قليلة، إذ تمثل مرحلة انتقالية من تاريخ بلاد الشام الجنوبية من سيطرة الفاطميين عليها إلى سيطرة السلاجقة. ففي سنة 460هـ/1067م تعرضت لهزة شديدة امتد تأثيرها إلى بانياس فهدمت بعض بيوتها ومات تحت الردم نحو مئة نفس من أهلها[4]. وفي أواخر سنة 467هـ/1074م هرب والي دمشق الفاطمي المعلى بن حيدرة [5]. من مركز ولايته إلى بانياس فأقام فيها أربع سنوات، ولما استولى أتسز بن أوق السلجوقي[6] على دمشق في سنة 468هـ/1075م،عوض الوالي الفاطمي فيها إقطاعاً تمثل بمدينة بانياس بعد أن

---

[1] .أنوشتكين الدزبري: هو الأمير المظفر أمير الجيوش مشرف المعالي، أبو منصور أنوشتكين الدزبري ولد بختن من بلاد الترك وسبي منها إلى بغداد ومنها إلى دمشق في سنة 400هـ/1009م ومن هناك أهدي إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله 403هـ/1012م، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج59، ص 390.

[2] . التحالف الشامي: تحالفت فيه قبائل الشام الرئيسية وهي كلب وكلاب وطيء على طرد الفاطميين من البلاد، وإقامة ثلاث دول عربية، واحدة في دمشق (لكلب) والثانية في الرملة(لطيء) والثالثة في حلب(لكلاب)، ابن الأثير: الكامل،ح8، ص69.

[3]. خلف: المرجع في الجولان، مركز الشرق للدراسات، د. م، د.ت، ص 275 . 276.

[4]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 94 . 96.

[5] . المعلى بن حيدرة بن منزو: تغلب على دمشق في سنة 461هـ/ 1068م في أيام الخليفة المستنصر الفاطمي، فأساء السيرة في أهلها وأطلق يده في مصادرتهم وأخذ أموالهم، وبسط العقوبة عليهم، وادعى أن التقليد وصله. بعد ذلك خربت في عهده دمشق وجلا عنها أكثر أهلها، فوقعت بينه وبين أهلها وحشة فخاف على نفسه، وهرب إلى بانياس بوابة دمشق الغربية في سنة 467هـ/1074م. وأراح العباد من ظلمه وتعديه، ثم خرج من بانياس سنة472هـ/1079م، خوفاً من عسكره، فتوجه إلى مصر ثم صور ومنها إلى طرابلس فقبض عليه وأُخذ إلى مصر وبقي معتقلا ، حتى مات في سنة481هـ/ 1088م، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 59، ص375؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص158.

[6]. أتسز بن آوق: هو أحد القادة الرؤساء التركمانيين، وأول من ملك دمشق من الأتراك في سنة 468هـ/ 1075م، وأزال حكم الفاطميين عنها وقطع الخطبة للمستنصر الفاطمي، فأقامها للخليفة العباسي القائم بأمر الله، احتل بيت المقدس والرملة وغيرها، شفيق، غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، 1959م، ج1، ص248.

هرب المعلى منها، فسار من دمشق الى بانياس ودخلها في السنة نفسها[1]. أما عن بانياس في العصرين الزنكي والأيوبي سيتم تناول هاتين المرحلتين لاحقاً في الفصل الثالث.

قلعة الصُّبَيْبَة[2]:

في الشمال الشرقي من مدينة بانياس تقع قلعة الصُّبَيْبَة. يبلغ ارتفاعها عن مدينة بانياس 300م وطولها حوالي 550م، وأكبر عرض فيها لا يزيد عن 30م، يليها مباشرة بحيرة الحولة وسلسلة جبال عامل وجبل الشيخ في الشمال. كانت أكبر قلاع المنطقة وأمنعها، نظراً لوقوعها على منطقة ضيقة من الجبل، ولإحاطة الأودية العميقة بها من جهتي الشمال والجنوب[3] والجبال العالية من الغرب، وانحدار في الجهة الوحيدة التي توصل إليها من الشرق، لذلك كانت السيطرة على المدينة لا تدوم إلا إذا تم الاستيلاء على قلعتها.

ويؤدي مدخل القلعة إلى باحة مستطيلة مليئة بأنقاض المباني المختلفة مثل: مهاجع المقاتلين ومستودعاتهم، وصهاريج مياههم وفي منتصف هذه الباحة يوجد مبنى مربع الشكل مسجد مخصص للعبادة[4]، و يحيط بباحة القلعة سور ضخم يتألف من ستة أبراج ضخمة، منها المستدير، ونصف المستدير ومربع الشكل أيضاً، حيث ترتبط مع بعضها البعض بجدران ضخمة تدعى باسم سجوف[5]، خط الدفاع تبلغ سماكتها أربعة أمتار، مهمة هذه الأبراج الدفاع عن القلعة من الجهة الشرقية، لها فتحات (الرواشن)[6]، خُصصت لرماية السهام، مما يدل على استخدام مختلف المهارات القتالية في الدفاع عن المدينة، من الجهة اليمنى لمدخل القلعة يوجد برج مربع الشكل، له درج وثلاثة طوابق دفاعية[7].

---

[1]. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص10.

[2]. الملحق رقم /4/، ص166.

[3] . غوانمة، يوسف: إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، 1982م، ص55.

[4] . الحسن: الجولان تاريخ وجذور، ص165.

[5] . سجوف: جمع سجف، وهو السّتر، وكل باب سُتر بمسترين مقرونين فكل شق منه سجف، ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص280.

[6] . الرواشن: جمع روشن، فارسية الأصل وهو الرُّف، الفتحة أو النافذة، أو المشربيات، دهمان، محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت،1990م، ص84؛ ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص181.

[7]. الملحق رقم /6/، ص171.

وفي الجهة الشرقية للقلعة أربعة أبراج حيث يوجد بين البرجين الثاني والثالث خمس كوات عمقها2,5م فيها فتحات مخصصة للرماية باتجاه الطريق الواصل إلى القلعة، ويتميز البرج الثالث بشكله النصف دائري ويستخدم للدفاع عن المدخل الرئيسي للقلعة، أما البرج الرابع فقد كان يحتوي على فتحات للرماية للدفاع عن القلعة.

شيدت الواجهة الشمالية للقلعة على طرف منحدر سحيق، له شكل عمودي وسور بسيط يدعمه ثلاثة أبراج، البرج الأول يقع أسفل القلعة يحمي جدار السور، والثاني شيد في منتصف السور الشمالي والثالث في الطرف الغربي للسور[1]. مهمة هذه الأبراج حماية السور من الأعداء.

كما أضيفت إلى هذه القلعة أجزاء مهمة من قبل الفرنجة والمسلمين كل على حده، فقد أنشأ الفرنجة في النهاية الشرقية للقلعة برجاً محصناً أحاطوه بفناء صغير وسور، كما نظم الدفاع عن باقي الموقع بخط واحد من سور ساتر غير منتظم الشكل لكونه يتماشى مع حافة الهضبة وكان الساتر الغربي مزوداً بأربعة أبراج برج واحد على كل طرف من طرفيه، والبرجان الآخران يتوسطان السور، وكانت هذه الأبراج إما مربعة أو مستطيلة الشكل وتبرز على مسافات تتراوح بين 20 – 30 قدماً[2] خلف الساتر.

إلى الشمال كانت القلعة محمية بشكل جيد وذلك نتيجة انحدار المرتفع وبالسور الواقي الذي يحمي قسماً منها، أما الجهة الجنوبية، فقد كان فيها ست منشآت بارزة مستطيلة الشكل مدمجة مع السور، ولكنها لا تتيح إمكانية تحقيق تحصين فعال من هذا الجانب، لذلك بنيت الأبراج الدائرية التي تؤمِّن مثل هذا الدفاع على يد المسلمين الذين زادوا في بروز الأبراج المربعة عن السور الشرقي، وكانوا يرون أن الفرنجة لم يعطوا هذا النوع من الدفاع حقه [3].

برزت أهمية هذه القلعة السياسية والعسكرية بعد احتلال القدس من قبل الفرنجة في سنة 495هـ/1101م، حيث أصبحت محوراً للصراع بين المسلمين والفرنجة للسيطرة عليها، نظراً

---

[1] . الحسن: الجولان، ص165 – 166.

[2]. القدم الواحدة = 30,48سم، حميد، رمضان: الأوزان والمقاييس والمكاييل عند العرب المسلمين، دار الملاح بيروت، 2000م ص15.

[3]. المزيني، إبراهيم بن محمد: التحصينات الحربية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، 1995م، ص 132؛ سميل، د. س: فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثالث عشر، مركز الدراسات العسكرية، تر: محمد وليد الجلاد، دمشق، 1985م، ص 65.

لموقعها الاستراتيجي الذي يتحكم بطرق المواصلات بين دمشق والجليل وساحل صور وصيدا [1] والبقاع الغربي، ولأنها كانت تشكل مركز الدفاع الأول عن دمشق ضد مملكة بيت المقدس [2]. مما أدى إلى وقوعها تارة بيد المسلمين وتارة أخرى بأيدي الفرنجة كما أن تاريخ هذه القلعة مشترك مع تاريخ بانياس وله عدة وظائف منها:

- بشرية للإقامة فيها.
- البعد العسكري للدفاع والهجوم والتحصن والحماية.
- البعد الديني بوجود المسجد داخل بانياس وخارجها.
- البعد الاقتصادي حيث ربطت الطرق الرئيسية التي تصل البلدان العربية الإسلامية المجاورة فشكلت هذه الأبعاد الأهمية الاستراتيجية لبانياس.

5 . بانياس عند الجغرافيين المسلمين:

حظيت بانياس باهتمام المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب، حيث توجد فيها الآثار التي يرجع بعضها إلى ما قبل الميلاد، منها المدخل الأثري للمدينة ثم أبراجها القديمة وكذلك بقايا الأبنية ذات الأعمدة المتنوعة والقواعد والتيجان المزخرفة والحجارة المنحوتة ذات النقوش الجميلة.

فيصفها المقدسي 380هـ/ 990م: "على طرف الحولة وحَدّ الجبل أرضى وأرفق من دمشق وإليها انتقل أكثر أهل الثغور لما أخذت طرسوس، وزادوا فيها وهي كل يوم زيادة، لهم نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل الثلج وينبع من وسط المدينة" [3].

ويذكر القرماني 410هـ/1019م: " بانياس بليدة صغيرة ذات أشجار حمضٌ وغيرها، وأنها على مرحلتين من دمشق ولها حصن منيع" [4].

---

[1].صور : مدينة مشهورة من ثغور المسلمين، على ساحل البحر المتوسط، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص856، صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام، من أعمال دمشق، شرقي صور بينهما ستة فراسخ، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص437.

[2]. الحياري: حصن بيت الأحزان، ص169.

[3]. المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص 140.

[4]. القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتاب، بيروت، د. ت. ج3، ص 320.

أما **ابن جبير** 614هـ/1217م فقد وصفها بقوله: " هذه المدينة ثغر بلاد المسلمين، ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر يفضي إلى أحد أبواب المدينة ولها مصب تحته أرحاء، كانت بيد الفرنج فاسترجعها نور الدين رحمه الله، ولها محرث واسع في بطحاء متصلة يشرف عليها حصن للإفرنج يسمى هونين بينه وبين بانياس مقدار ثلاثة فراسخ[1]، وعِمَالَةُ [2] تلك البطحاء بين الإفرنج والمسلمين، لهم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة فهم يتشاطرون الغلة على استواء ومواشيهم مختلطة ولا حيف يجري بينهما فيها" [3].

أما **ياقوت الحموي** 626هـ/1228م فيذكر قائلاً :" كورة من نواحي دمشق فيها قرى، وهي شمال حوران" [4].

كما يذكرها **شيخ الربوة** 727هـ/1326م بقوله: " بانياس مدينة حصينة كثيرة الحوامض وهوائها، وبيء وترابها كذلك، بها مياه غزيرة وآثار لليونان قديمة" [5].

يقول **أبو الفداء** 732هـ/ 1331م:" بانياس اسم لبلدة صغيرة ذات أشجار محمضات وغيرها وأنهار، وهي على مرحلة ونصف [6] من دمشق من جهة الغرب، والصبيبة اسم لقلعتها، وهي من الحصون المنيعة" [7].

يصفها **البغدادي** 739هـ/1338م بقوله:" اسم لقرية أو بلدة قرب دمشق، تحت الجبل الذي في غربي دمشق يُرَى عليه الثلج وفيها الليمون والأترج" [8].

---

[1] . الفرسخ: ثلاثة أميال هاشمية، وقيل 12 ألف ذراع (يعادل 8 كم تقريباً) وهو مقياس لطول المسافات، التونجي، محمد: معجم المعربات الفارسية، مكتبة لبنان، بيروت، 1998م، ص 138.

[2] . عمالة: تعني أجرة العامل، وقيل: هي العامل أو الأجير. القاضي عياض، عياض بن موسى: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار التراث، د.ت، ج2، ص87.

[3]. ابن جبير: الرحلة، ص 273.

[4]. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص210 .

[5] . شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص 201 – 202.

[6]. المرحلة: هي المسافة التي يقطعها السائر في يوم، القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص79.

[7]. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 348–349.

[8]. الأترج: نوع من الحمضيات، دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص12؛ البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج1، ص37.

من خلال هذا الوصف لمدينة بانياس يتبين أن معلومات هؤلاء المؤرخين والجغرافيين الذين عاشوا بين 380 – 739هـ/990 – 1338م قد احتوت على العديد من الإشارات حول هذه المدنية من حيث موقعها وقلعتها المشهورة ومياهها وتربتها، وزراعتها ومنتجاتها ومناخها وسكانها وهذا يعني بأن المدينة لم تبقَ محتفظة بأبنيتها وآثارها، وقلعتها الحصينة كوسيلة للدفاع عنها بل تغيرت معالمها الحضارية، إما بفعل العوامل الطبيعية أو بسبب تعرضها للحروب عبر تاريخها منذ وجودها حتى دخول الفرنجة إليها حيث كانت موضع نزاع دائم بين مختلف القوى وعُدَّت مركزاً للدفاع عن مدينة دمشق، فما هو الدور الذي شغلته بانياس أيام حروب الفرنجة؟ وكيف كانت الأوضاع السياسية في المشرق الإسلامي آنذاك؟

ثانياً: الأوضاع السياسية في المشرق العربي الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي:

إن دراسة الجبهة العربية الإسلامية في عصر حروب الفرنجة تعني تبيان أوضاعها العامة، وإبراز عوامل الضعف التي كانت تحيط بها، والتي أسهمت في تمكين غزو الفرنجة وفرض وجوده واستمراره لعدة أجيال على حسابها، وتحديد عوامل القوة التي أخذت تكتسبها ومنحتها القدرة على التصدي للعدوان الفرنجي، والصمود في وجهه، إلى أن اندحر في النهاية وأُسدل الستار عليه.

في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كان العالم الإسلامي يخضع للخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة، وفي الأندلس لورثة الخلافة الأموية في قرطبة من دول الطوائف. وكان الوهن قد أخذ يتفشى في هذه الدول التي كانت تحكم العالم العربي الإسلامي، وتفاقم خطر الدول المستقلة، فكلما كانت تظهر دولة في تلك الأرجاء تعود لتختفي وتزول بسرعة وتخلفها دولة أخرى، حتى أصبحت البلاد العربية والإسلامية، نهباً مقسماً بين الأمراء والحكام والمتسلطين [1].

1 . الخلافة العباسية:

أ . العراق:

---

[1] . برجاوي، سعيد أحمد: الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1984م ص 58؛ كرد علي: خطط الشام، ج3، ص 234.

أخذ الضعف يدب في جسد الدولة العباسية منذ زمن الخليفة المعتصم 232هـ/ 846م حيث انتقلت الدولة من المركزية إلى اللامركزية في نظام الحكم وقامت دول مستقلة استقلالاً تاماً أو جزئياً عنها مع الاعتراف بسلطان الخلافة الروحي، ودخل الأتراك في المجتمع الإسلامي وتمكنوا من الوصول إلى الحكم، ووقع الخلفاء تحت تأثير نفوذهم، مما أدى إلى تحجيم دورهم السياسي الفاعل ففقدوا الاحترام الذي كان يتمتع به أسلافهم خلفاء العصر العباسي الأول 132 – 232هـ/ 749–846 م[1].

بذلك أصبحت الخلافة العباسية تعيش عصر انحلال وتشرذم، وباتت عاجزة عن التصدي لأي خطر خارجي يهددها، فقد أهملت الجهاد، وحماية حدودها وثغورها لدرجة أنها أصبحت غائبة وغير قادرة على صد الفرنجة، ومن بعدهم المغول، ورغم ذلك كان المسلمون لا يجدون خيطاً يتمسكون به عند كل كارثة تحل بهم سوى الخليفة العباسي القابع في بغداد، تحت حماية العناصر الغريبة التي استولت على السلطة ـ الأتراك ثم البويهيين ـ وبعدهم السلاجقة الذين ظهروا في أواسط القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فكان الخليفة العباسي بدوره يلجأ إلى السلطان السلجوقي لعله يتحرك لدرء الأخطار المحيطة بالخلافة العباسية.

لم تجد نفعاً المحاولات التي قام بها بعض الخلفاء لاسترجاع هيبة الخلافة العباسية التي دخلت مرحلة الشيخوخة، وإن سمحت لها بشغل دور جديد باستعادة قوتها وكان ذلك في زمن المسترشد بالله 512– 529هـ/1118–1134م[2]، حتى وصل به الأمر إلى حد إبداء الاستعداد لمواجهة السلاجقة وتحرير بغداد، من نفوذهم فاصطدم بالسلطان السلجوقي محمود في سنة 521هـ/1127م [3]. ثم بالسلطان مسعود[4]، لينتهي الأمر بقتله في سنة 529هـ/1134م،

---

[1]. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، 2001م، ص176 – 177.

[2] . المسترشد بالله: أبو المنصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر بالله، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، أول خليفة يكون جيشاً خاصاً بالخلافة، ويحاول استعادة ما كان للخلافة من سلطة ونفوذ ولكنه قتل على أيدي الباطنية، ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص195؛ أبو الفداء: المختصر: ج2، ص230.

[3] . السلطان محمود: أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، الملقب مغيث الدين، تولى السلطنة بعد وفاة والده وخطب له بها في مدينة بغداد في سنة 512هـ/ 1118م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص182–183.

[4] . السلطان مسعود: أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، الملقب غياث الدين، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص200–202.

وعندما حاول الراشد بالله 529- 530هـ/1134. 1135م[1]، السير على خطى المسترشد تمَّ خلعه ليخلفه المقتفي لأمر الله 530-555هـ/1135-1160م[2].الذي سنحت له الفرصة والظروف بوفاة السلطان السلجوقي مسعود في سنة 547هـ/ 1152م فحرر بغداد والحلة وواسط في العراق، من نفوذ السلاجقة، لكنه بالطبع كان عاجزاً عن تحقيق أكثر من ذلك، فأخفق في دخول الموصل أمام قوة عماد الدين زنكي[3]، الذي استهل حركة الجهاد ضد الفرنجة ليخلفه ابنه نور الدين زنكي[4]، الذي عرف كيف يضفي على شخصه وسياسته الصبغة الشرعية، بالحصول على استرضاء الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله، الذي وجد بدوره في نور الدين القوة العسكرية القادرة والمؤهلة والمستعدة لإسقاط الخلافة الفاطمية وإعادة مصر إلى سلطة الخلافة العباسية[5].

ب . بلاد الشام:

كانت بلاد الشام تعاني من الاضطراب والفوضى، ذلك أن الحمدانيين كانوا أصحاب نفوذ تركز في أرض الجزيرة واتخذوا من الموصل قاعدة لإماراتهم في شمال العراق، ثم اتجهت أنظارهم في عهد سيف الدولة الحمداني إلى شمال الشام حيث نجحوا في مد سلطانهم إلى حلب، ما بين 334- 402هـ/945-1011م[6].

وزاد من الفوضى التي تعرضت لها بلاد الشام، الدور الذي شغلته القبائل العربية الموجودة آنذاك على حساب القوى السياسية المتنافسة، ومحاولتها التحرر من سيطرة الخلافة

---

[1] . الراشد بالله: المنصور بن المسترشد، لم تدم خلافته إلا سنة واحدة، وذلك بسبب خلاف وقع بينه وبين السلطان السلجوقي مسعود، فتم خلعه، وخرج من بغداد، وما لبث أن قتل في أصفهان على يد الباطنية، ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص222؛ ابن الأثير: الكامل، ج11، ص27.

[2] . المقتفي لأمر الله: أبو عبد الله الحسين بن المستظهر، بويع بالخلافة بعد خلع ابن أخيه الراشد بيومين، ويعد أول خليفة تمكن من استعادة الكثير من هيبة الخلافة ونفوذها، ابن الأثير: الكامل، ج11، ص42؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص525.

[3] . عماد الدين زنكي: ابن آق سنقر قسيم الدولة من مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه، الذي ولاه السلطان حلب في سنة 478هـ/1085م لم ومؤسس دولة عرفت بأتابكية الموصل والجزيرة والشام، خماش، نجدت: عماد الدين زنكي، الموسوعة العربية، ج10، ص419.

[4] . نور الدين زنكي: أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر، الملقب بالملك العادل نور الدين، كان متمسكاً بالشريعة مائلاً إلى أهل الخير، مجاهداً في سبيل الله تعالى، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص184.

[5]. شبارو، عصام محمد: السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة، بيروت، 1994م، ص232- 233.

[6]. النخيلي، درويش: فتح الفاطميين للشام، الإسكندرية، 1979م، ص 60-66.

العباسية وتحقيق استقلالها الذاتي. فسيطرت القبائل اليمنية على جنوب الشام ووسطها حيث أصبحت الغلبة في فلسطين لبني طيء، وفي وسط الشام لبني كلب، أما القبائل القيسية (المضرية)، فقد سيطرت على شمال الشام والجزيرة، حيث ظهر فيها بنو كلاب في شمال الشام وبنو نمير وعقيل في الجزيرة [1].

هكذا كانت أراضي الخلافة العربية الإسلامية في الشام والعراق في نهاية القرن الخامس ومطلع القرن السادس الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين، تخضع لقوى متعددة ومتنافرة وقع بينها الخلاف وعملت كل منها على التوسع على حساب الأخرى، ومن بين هذه القوى السلاجقة فكيف كانت أوضاعهم؟ وما الدور الذي قاموا به للوقوف في وجه الغزو الفرنجي؟ وهل استطاع العرب على الرغم من الخلافات السياسية والعقائدية رأب الصدع فيما بينهم للوقوف في وجه غزو الفرنجة؟

2 . الأتابكيات السلجوقية في بلاد الشام:

تسجل المرحلة التاريخية التي بدأت في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تغييراً جذرياً في جميع أرجاء العالم الإسلامي، تجلى في ظهور السلاجقة على مسرح الأحداث واعتناقهم الإسلام، الذين استطاعوا أن يضعوا حداً لتلك الفوضى السياسية والعسكرية التي كانت تعم أرجاء العالم العربي في المشرق العربي الإسلامي [2].

ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغزية[3]، وينتسبون إلى أحد أجدادهم وهو سلجوق بن دقاق [4]، وهي من أوائل القبائل الغزية التي اعتنقت الإسلام [5]، وأسست دولة شملت خراسان، ما وراء النهر، فارس، العراق، بلاد الشام، وآسية الصغرى [6].

---

[1]. الحويري، محمود محمد: بناء الجبهة الإسلامية وأثرها في التصدي للصليبيين، دار المعارف، القاهرة، 1992م، ص 11- 12.

[2]. برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق، ص 59-60.

[3]. الغز: مجموعة من القبائل التركمانية التي بلغ عددها 23 قبيلة، استقروا في منطقة ما وراء النهر والتي نسميها اليوم (تركستان)، والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غرباً، ومن السهول السيبيرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، وعرفوا بالترك أو الأتراك. الصلابي، علي: دولة السلاجقة، دار إقرأ، القاهرة، 2006م، ص19.

[4]. ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج2، ص 125؛ ابن الأثير: الكامل، ج8، ص 21.

[5]. الحسيني، صدر الدين بن علي: أخبار الدولة السلجوقية، دار اقرأ، بيروت، 1986م، ص1.

[6]. شبارو: السلاطين، ص 17.

توسعت سلطة السلاجقة، حتى شملت أغلب مناطق الخلافة العباسية الشرقية وسيطروا على الخلافة العباسية بعد أن قضوا على السلطة البويهية، وأصبحوا سلاطين بغداد، ونهضوا في عهد سلاطينهم طغرل بك، وألب أرسلان وملكشاه بحماية أراضي الخلافة العربية الإسلامية، ووضعوا نصب أعينهم تحقيق هدفين هما:

- الوصول إلى حدود بيزنطة، والعمل على القضاء عليها؛ إذ توج السلطان ألب أرسلان نضاله ضدهم في معركة ملاذكرد 463هـ/1071م[1].

- توحيد العالم العربي الإسلامي تحت سلطة خلافة واحدة هي الخلافة العباسية.

بلغت الدولة السلجوقية أوج اتساعها في عهد السلطان ملكشاه 465-485هـ/1072 - 1092م الذي خلف أباه السلطان ألب أرسلان، وأصبحت تمتد من خوارزم شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غربا [2]. لم تستمر قوة السلاجقة في الصعود، بل أخذت قوتهم بالانحلال إثر وفاة السلطان ملكشاه في سنة 485هـ/ 1092[3]، فانقسموا على أنفسهم ووقعت الحرب بينهم، فأدى ذلك إلى تفتيت الدولة السلجوقية إلى دويلات صغيرة هي:

سلطنة خراسان وما وراء النهر وعلى رأسها سنجر، سلطنة فارس وعلى رأسها بركياروق سلطنة العراق وعلى رأسها محمود بن محمد بن ملكشاه، سلطنة سلاجقة الروم وعلى رأسها عز الدين كيقباذ بن كيخسرو[4]، سلطنة دمشق وعلى رأسها دقاق بن تتش، وسلطنة حلب وعلى رأسها رضوان بن تتش[5]، ونتيجة لذلك فقد السلاجقة حماسهم المتدفق للتوسع الخارجي

---

[1] . تلك المعركة فتحت أبواب آسية الصغرى أمام السلاجقة، ودحرت القوات البيزنطية باتجاه الغرب، وأعطت فرصة للسلاجقة لتأسيس دولة سلاجقة الروم، كما كانت في ذات الوقت سبباً من أسباب توحيد الكنيسة ضد المشرق العربي الإسلامي، إثر استنجاد إمبراطور القسطنطينية – الكسس كومنين – بالبابوية لرد خطر السلاجقة الذين أخذوا في اجتياح ممتلكاته، ابن الأثير: الكامل، ج10، ص 60- 86.

[2] . ابن خلدون: المقدمة، ج5، ص 27.

[3] . بيطار، أمينة: تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق، 1982م، ص6.

[4] . سلاجقة الروم: اسم يطلق على جماعة من الأتراك، ينحدرون من قتلمش بن إسرائيل أرسلان يبغو بن سلجوق، وقد أسس هذه الدولة سلمان الأول بن قتلمش في سنة 470هـ/1077م وحكم بعده سبعة عشر سلطاناً، ولبعض سلاطينهم دور بارز في مقاومة الفرنجة وقد عاصر الدولة الأيوبية، في زمن صلاح الدين، وأخيه العادل ستة من السلاطين أولهم قليج أرسلان الثاني خامس ملوكهم الذي اعتلى العرش في سنة 551هـ/1156م، عطا، زبيدة محمد: الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الأمين، القاهرة، 1993م، ص 43.

[5]. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص 265.

ومحاولة بسط نفوذهم على أقاليم جديدة بسبب انتشار الفوضى وفساد الإدارة، وحاول كل أمير سلجوقي أن يضم إلى صفه حلفاء يمنحهم الأموال والإقطاعات، الأمر الذي أدى إلى إضعاف نفوذه وقوته[1]، فبدأوا يتناحرون وأصبح الظفر بالعرش أو الوزارة أو القيادة هدفاً في حد ذاته، وأخذت السلطنة السلجوقية تضعف منذ ذلك الحين[2]، و تنحسر قوتها سريعاً بسبب الخلاف بين ولدي تتش رضوان صاحب حلب 488 – 507هـ/1095– 1113م، ودقاق صاحب دمشق 488 – 508هـ/1095–1114م.

أ– دول الأتابكة:

لعل أكبر مظهر لانحلال سلطان السلاجقة في بلاد الشام والعراق وغيرها ظهور عدد كبير من البيوت الحاكمة التي لا رابط بينها إلا الاتصال بالبيت السلجوقي، ومن تلك البيوت ظهرت وحدات سياسية أطلق عليها اسم الأتابكيات، وعلى أصحابها الأتابكة[3]، وقد نشأت هذه الأتابكيات على أيدي أمراء وملوك من المماليك الأتراك الذين عملوا في خدمة السلاجقة، فعرف المشرق العربي الإسلامي معهم تحولاً جديداً للسلطة بعد أن انقلبوا على أسيادهم السلاجقة وتقاسموا أملاكهم في الشام والعراق، وشكلوا دويلات هي الأخرى متناحرة ومتنافسة من أهمها:

1 . الأراتقة:

ينتسب الأراتقة إلى جدهم أرتق بن أكسب[4]، وينتمون إلى قبيلة الدقر التركمانية[5] وهي إحدى البيوت الكبيرة التي تنتمي إلى الغز[6]، انتظمت هذه القبيلة في صفوف القوات السلجوقية بفعل استقطاب زعماء السلاجقة للقبائل التركمانية عن طريق منحهم الإقطاعات والاستقلال الذاتي داخل نطاق الدولة السلجوقية.

---

[1] . العريني، السيد الباز: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة، 1963م، ج1، ص 9.

[2]. حسنين: عبد النعيم: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة، القاهرة، 1959م، ص 25.

[3] . الأتابك: لفظ تركي مركب من أتا المربي وبك أي الأمير ومعنى ذلك أنه مربي الأمير أو الملك، فكان آل سلجوق يطلقون لفظ أتابك على الكثير من أمرائهم ويولونه الوصاية والرعاية والاهتمام من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر وصغير من أبنائهم ، وكثيراً ما يتزوج الأتابك من أم الموصى به فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبوية، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص877؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، ص 18.

[4] . ابن الأثير: الكامل، ج8، ص 134. يذكر أن اسمه أكسب.

[5]. Setton, Kenneth, The History of the Crasades wiscon sin, 1969, p 158

[6] . Rice, Tamara Talbot: The Seljukes in Asia Minor, London,1963, P 54.

حيث خدم أرتق السلطان السلجوقي ملكشاه، وأدى دوراً بارزاً في بداية حياته السياسية فسح له إمكانية الحصول على مناصب قيادية وإقطاعات عديدة في العراق وبلاد الشام، مما أهّله للبروز على المسرح السياسي والعسكري، ففي سنة 470هـ/ 1077م أرسله ملكشاه إلى البحرين لقتال القرامطة [1]، وإخضاعهم للسلطنة السلجوقية كما ولاه حلوان [2]، وأعمالها والجبل[3]، بعد نجاحه في ضمها إلى الأملاك السلجوقية.

ترك أرتق بعد وفاته ولدين هما: سقمان(سكمان) وإيلغازي، وقد تولى الأخير منصب الشحنكية[4] في بغداد في سنة 495هـ/1101م، وأسس سقمان أول الإمارات الأرتقية في ديار بكر 496هـ/1102م[5]، وقد ساعدته الظروف السياسية في الاستيلاء على أهم مدنها مثل ماردين502-811هـ/1108-1408م [6]. وحصن كيفا495 -629هـ/1101- 1231م[7]، ثم ما لبث كل من سقمان وإيلغازي أن وجدا نفسيهما مدفوعين للمشاركة في أحداث الصراع الذي نشب بين رضوان ودقاق أبناء تتش السلجوقي، فتحالف رضوان مع صاحب مدينة سروج[8]، سقمان الأرتقي وتحالف دقاق مع إيلغازي الأرتقي وصاحب انطاكية.

---

[1]. القرامطة: حركة دينية سياسية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ التاسع الميلادي، وهي استمرار للدعوة الإسماعيلية الشيعية وتنسب إلى حمدان قرمط وسمي أتباعه بالقرامطة، خليل، عماد الدين: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م ص 24.

[2]. حلوان: هي آخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 290.

[3]. الجبل: يقع ما بين أصفهان إلى زنجان، وهمذان، وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجبلية، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 99.

[4] . الشحنكية: أطلقت على رئاسة الشرطة أو الأمير المشرف على حراسة البلد، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص 422؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص35-36.

[5] . ديار بكر: تقع غرب دجلة بالقرب من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه إلى حصن كيفا وآمد وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني ،الحموي: معجم البلدان، ج2، ص494.

[6] . ماردين: قمة جبل في الجزيرة الفراتية، تشرف على دارا ونصيبيين. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص39.

[7]. حصن كيفا: قلعة عظيمة مشرفة على نهر دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر في ديار بكر، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص265؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص235.

[8]. سروج: قرية قريبة من حران، من ديار مضر بأرض الجزيرة، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص710؛ الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 216؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص810.

تم الاتفاق بين الطرفين على الاجتماع على نهر قويق[1] ، وإجراء محادثات هناك للوصول إلى حل سلمي يجنبهم القتال إلا أن المفاوضات بين الطرفين لم تسفر عن أي نتيجة، وكان اللقاء في 5 ربيع الآخر في سنة 490هـ/1096م، حيث أبلى سقمان بلاءً حسناً واستمرت المعركة حتى آخر النهار وأسفرت عن هزيمة أنطاكية ودمشق وهروب قادتها وعودة رضوان وحلفائه إلى حلب، وتم عقد اتفاق بين الأخوين ينص على أن يُخطبَ لرضوان في دمشق وأنطاكية قبل دقاق[2].

هكذا انقسمت الإمارات الأرتقية بعد وفاة سقمان في سنة 498هـ/1104م في ديار بكر إلى قسمين: حيث وضع إيلغازي يده على ماردين وبعض الحصون الأرتقية الأخرى كرأس العين[3]، وسيطر إبراهيم بن سقمان على حصن كيفا وما لبثت هذا الأخير أن توفي فخلفه أخوه داوود[4].

ظهرت إمارة أرتقية جديدة هي خرتبرت[5]، في أقصى الشمال من ديار بكر أسسها أحد أشقاء نور الدين محمد أمير حصن كيفا وآمد[6]، الذي توفي في سنة 581هـ/ 1185م[7]. نتيجة لهذا التوزيع السياسي كانت الإمارات الأرتقية، تتسع وتتقلص حسب قوة الأراتقة وضعفهم من جهة، أو حسب الظروف العامة في المنطقة العربية الإسلامية من جهة أخرى.

2- الدولة البورية:

من الأتابكيات التي ظهرت في دمشق واستمرت حوالي نصف قرن 497-549هـ/1103-1154م. حيث تنسب إلى ظهير الدين طغتكين أحد قواد الجيش السلجوقي الذي

---

[1] . قويق: نهر في مدينة حلب، مخرجه من قرية تدعى سبتات، الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 473؛ الحميري: الروض المعطار ص 486.

[2]. خليل: الإمارات الأرتقية، ص 74.

[3]. رأس العين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص14؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص 135.

[4]. حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1964م، ج4، ص 81-82.

[5]. خرتبرت: اسم أرمني للحصن المعروف باسم حصن زياد الذي يقع في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 407.

[6]. آمد: بلد قديم مبني بالحجارة السوداء على نهر دجلة، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص14.

[7] . خليل: الإمارات الأرتقية، ص 153.

كان مملوكاً للسلطان تتش بن ألب أرسلان والي دمشق، وعندما قتل تتش في سنة 488هـ/1095م خلفه ابنه دقاق الذي اتخذ طغتكين أتابكاً له، فحكم طغتكين البلاد باسمه وبعد أن توفي دقاق في سنة 497هـ/ 1103م، انفرد طغتكين بالحكم مؤسساً بذلك أتابكية دمشق[(1)] التي تحولت إلى قاعدة لتحريك المواجهة العسكرية ضد الفرنجة، ومنها أرسل طغتكين قواته إلى صور متعاوناً مع حاكمها الفاطمي وأهالي جبل عامل فاندفعوا من قراهم للدفاع عن المدينة[(2)] أثناء حصار الفرنجة لها في سنة 505هـ/ 1111م وأصبحت صور تحت حماية طغتكين، كما أنه استنجد بأمير الموصل شرف الدين مودود الذي لبى الدعوة، وقامت قواتهما المشتركة بإنزال الهزيمة بالفرنجة على مقربة من طبرية .

كما وقع على عاتق دمشق التصدي للعمليات الحربية والاستعداد للمواجهة بعد أن طمع الفرنجة في احتلالها في سنة 520هـ/ 1126م. إذ سار بلدوين الثانيBaldwin II[(3)]، ملك القدس إلى مرج الصفر[(4)]، حيث التقى بطغتكين ودارت معركة لم تسفر عن انتصار أي من الفريقين[(5)]. بعد وفاة طغتكين في سنة 523هـ/1129م، تولى الحكم ابنه تاج الدين بوري 523-526هـ/1128-1131م فعرفت أتابكية دمشق بالدولة البورية[(6)]، وفي أيامه حاول بلدوين الثاني ملك بيت المقدس احتلال دمشق، واستدعى لمساعدته روجرRoger صاحب أنطاكية[(7)]، وبونز

---

(1) . أبو الذهب، لينة صلاح الدين: تاريخ وحضارة العرب والإسلام، د. م، د. ت، ج2، ص 114.

(2) . ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 284.

(3) . بلدوين الثانيBaldwin II : ملك بيت المقدس وحفيد بلدوين الأول وخليفته، رافق جودفري بلدوين في الحملة الصليبية الأولى وأسره المسلمين وأطلق سراحه في 502هـ/ 1108م، قضى معظم عهده وهو ملك بيت المقدس يحارب المسلمين في شمال سورية، غربال: الموسوعة الميسرة، ج1، ص384.

(4). مرج الصفر: من أعمال دمشق، وهو سهل واسع يمتد شمال دمشق على بعد 33كم منها، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص101؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج3، ص 154.

(5). شبارو: السلاطين، ص 107.

(6). الملحق رقم /11/، ص187.

(7) . روجرRoger: هو ابن تانكرد ملك صقلية، ولد في سنة 431هـ/1040م، وحكم صقلية، وأقام فيها مملكة 490-549هـ/1097-1154م، وخلفه روجر الثاني. غربال: الموسوعة الميسرة، ج1، ص889.

أنطاكية: من أعيان البلاد وأمهاتها، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية بينها وبين حلب مسيرة يوم، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 266.

ابن برتراند(Bons Ben Bertrand) صاحب طرابلس[1]، فزحف عليها في سنة 523هـ/1128م، لكن تاج الملوك بوري استطاع أن يردهم على أعقابهم ومع ذلك كانت فكرة الجهاد ضد الفرنجة لم تتضح بعد، لأن المطامع الشخصية لمعظم الأمراء المسلمين في الشرق عطلت حركة المقاومة الإسلامية وهذا ما فعله آخر حكام الدولة البورية مجير الدين آبق، الذي طلب المدد من الفرنجة للحفاظ على منصبه، لكن هذه المطامع أخذت بالتضاؤل مع ظهور الزنكيون في الموصل بزعامة عماد الدين الزنكي وابنه نور الدين.

الجدير بالذكر أن السلاجقة حتى في أيام قوتهم لم يتمكنوا من حكم معظم بلاد الشام حكماً مباشراً، بل قبلوا بوجود أسر محلية قدمت لهم الولاء في بعض المناطق [2].

ب- الأسر المحلية:

1 . أسرة بني مرداس 415-472هـ/1024م-1079م:

قامت في حلب واتسمت سياستها بالمد والجزر تارة باتجاه الخلافة الفاطمية وأخرى باتجاه السلاجقة والخلافة العباسية، لكن السلاجقة استولوا على إمارة حلب وقضوا عليهم في سنة 472هـ/1079م [3].

2 . أسرة بني عمار 463-503هـ/1070-1109م:

أسس أمين الدولة أبي طالب بن عمار إمارة بني عمار في طرابلس التي سقطت بيد الفرنجة في سنة 503هـ/1109م[4].

3 . أسرة بني منقذ 474- 552هـ/1081- 1157م:

---

[1]. بونز بن برتراند(Bons Ben Bertrand) : هو أمير من الأمراء البروفنسيين من الأسرة التولوزية، حكم طرابلس في سنة 505هـ/1111م، وقتل أثناء مهاجمة التركمان لطرابلس في سنة 531هـ/1136م، عرف في المصادر العربية باسم بنص، القلقشندي: صبح الأعشى، ج6، ص450؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 181، طرابلس: مدينة ساحلية حصينة، الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 25.

[2]. زكار، سهيل؛ بيطار، أمينة: تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد، جامعة دمشق، 1990م، ص163.

[3]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج1، ص 227-229.

[4]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 163.

هي إمارة عربية صغيرة قامت في شيزر[1]، على يد سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ وخلف سديد الملك ابنه نصر بن علي بن منقذ 475-492هـ/1082-1098م، الذي لم ينضم إلى القوى الإسلامية لصد هجوم الفرنجة على بلاد الشام في سنة 491هـ/1097م، ولما توفي خلفه أبو العساكر سلطان بن علي بن منقذ 492- 495هـ/1098-1101م، الذي اتبع سياسة سلمية مع الفرنجة خوفاً منهم، كما عرض عليهم تقديم المشورة والنصح مقابل عدم المساس بإمارته[2]، كانت نهاية هذه الأسرة بعد تدمير شيزر بسبب الزلزال الذي حدث في سنة 552هـ/1157م.

3 . الخلافة الفاطمية وسقوطها على يد صلاح الدين:

دخلت الخلافة الفاطمية منذ منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في دور الضعف والانحلال، الذي حال بينها وبين القيام بأي عمل حربي فعال ضد الفرنجة الأمر الذي مهد للقضاء على الخلافة الفاطمية، حيث تضافرت عوامل عديدة أسهمت في اختلال أحوال تلك الدولة، وفي مقدمتها:

أ- **ازدياد نفوذ الوزراء:** حيث أصبحت الأمور كلها بأيدي وزراء مستبدين منذ عهد المستنصر بالله 427-487هـ/1035-1094م[3]، وفي ذلك يقول ابن الأثير: " كانت الوزارة في مصر لمن غلب، والخلفاء وراء الحجاب، والوزراء كالمتكلمين وقَل أن وليها أحد بعد الأفضل[4]ــ الوزير الفاطمي ــ إلا لحرب وقتل، وما شاكل ذلك" [5].

ب- **أسهم اضطراب الاقتصاد** في إضعاف الدولة الفاطمية ولاسيما في سنة 457هـ/1064م في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله، نتيجة لانخفاض مستوى مياه نهر النيل حيث استمرت سبع

---

[1]. شيرز: مدينة بالشام من أعمال حمص، الحميري: الروض المعطار، ص 352.

[2]. الشيخ، محمد: الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، دار المعرفة، الإسكندرية، 1980م، ص 91.

[3] . المستنصر بالله 427- 487هـ/ 1035- 1094م: أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله الملقب بالمستنصر الفاطمي، امتد حكمه ستين عاماً ، وهو أطول الحكام الفاطميين عهداً، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص229.

[4]. الأفضل بن بدر الجمالي 458-515هـ/ 1065-1121م: أبو القاسم شاهنشاه أحمد ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الارمني، شارك الفضل أباه في بعض أعماله، ثم عين وزيراً للمستنصر بالله الفاطمي بعد وفاة أبيه، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص448.

[5]. ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 41.

سنين متتابعة – عُرِفَتْ في التاريخ بالشدة المستنصرية العظمى – فقد انعدمت الأقوات، وارتفعت الأسعار، واشتد بلاؤها على أهل مصر، مما حمل الكثير منهم على مغادرتها والرحيل عنها[1].

ج- **الانشقاق الذي حصل بين أنصار المذهب الإسماعيلي،** عمل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بعد وفاة المستنصر بالله الفاطمي في سنة 487هـ/1094م على إبعاد ابنه وولي عهده الأكبر نزار عن الخلافة، وبايع ابنه الأصغر المستعلي الذي كانت أمه ابنة بدر الجمالي وأخت الأفضل، وقد أدى إقصاء نزار إلى فراره إلى الإسكندرية [2]، حيث دعا لنفسه بالخلافة والإمامة، فانحاز الناس إليه وبايعوه بالخلافة[3].

د- استبداد طلائع بن زريك [4]، بأمور الخلافة الفاطمية حيث أصبح صاحب النفوذ المطلق وفي ذلك يقول ابن تغري بردي: " ضايق القصر طمعاً في سن الخليفة، فتعب الناس معه" [5]، كما أنه عامل كبار رجال الدولة وأعيانها معاملة سيئة. وفي سنة 556هـ/1162م قتل طلائع بن زريك على يد شاور بن مجير السعدي [6]،حاكم قوص[7]، فأدى مقتله إلى فتح باب الصراع بين القوى المتنافسة على السلطة في مصر، وتدخل كل من نور الدين الزنكي والفرنجة في شؤون الخلافة الفاطمية.

كانت الحملة الأولى التي أرسلها نور الدين على مصر في سنة 559هـ/ 1163م، حيث أقام أسد الدين شيركوه في ضواحي القاهرة، حسب اتفاق شاور مع نور الدين، لكن شاور نقض

---

[1]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 15-17؛ ابن ميسر، محمد بن يوسف بن جلب: أخبار مصر، القاهرة، 1919م، ج2، ص 34.

[2]. الإسكندرية: من مدن مصر وأكبر موانئها، تقع على البحر المتوسط غربي الدلتا على مصب فرع رشيد من نهر النيل، العابد، مفيد: الاسكندرية، الموسوعة العربية، ج2، ص331؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص113؛ الحميري: الروض المعطار، ص 54.

[3]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 142-143.

[4]. طلائع بن زريك 495-556هـ/1101-1160م: الملك الصالح، أصله من الشيعة الإمامية في العراق، قدم مصر، ووزّر للخليفتين الفاطميين: الفائز، والعاضد، الزركلي: الأعلام، ج5، ص228.

[5] . النجوم الزاهرة، ج5، ص 313.

[6]. أبو شجاع، شاور بن مجير السعدي، الهوازني ت. 564هـ/1168م، وزير العاضد، الذي استعان بالفرنج ضد نور الدين الزنكي، المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1972م، ج3، ص 265؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج16، ص 95.

[7]. قوص: مدينة بالصعيد على حافة النيل من البر الشرقي، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 111.

الاتفاق وطلب مساعدة الفرنجة فأرسل عموري الأول(Amory I) ملك بيت المقدس قواته التي حاصرته مدة ثلاثة أشهر، حتى تم الاتفاق على انسحاب أسد الدين شيركوه والفرنجة[1]، ولعل أهم نتائج هذه الحملة تعرف شيركوه على أحوال الفاطميين السيئة عن كثب، وضعف امكانياتهم الدفاعية، وتطلع للقضاء عليهم والسيطرة على ثروات مصر[2]، وفي سنة 562هـ/ 1166م قام أسد الدين شيركوه بحملته الثانية ومعه ابن أخيه صلاح الدين، فاستنجد شاور مرة أخرى بالفرنجة الذين أسرعوا لنجدته تحت قيادة عموري الأول، في هذه المرة تمكن شيركوه من الانتصار على التحالف الفاطمي الفرنجي في معركة البابين[3]، ودارت المفاوضات بشأن عقد الصلح وقدم الفاطميون والفرنجة لشيركوه خمسين ألف دينار واقطاعاً بمصر على أن يرجع هو والفرنجة كلٌّ إلى بلاده[4].

كان من نتائج الحملة الثالثة على مصر في سنة 564هـ/1168م دخول أسد الدين شيركوه القصر الفاطمي، فخلع عليه العاضد بخلع الوزارة ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش وأصدر العاضد منشوراً بذلك يقول: " هذا عهد لم يعهد لوزير مثله، فتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلاً لحملها، وخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة، واسحب ذيل الفَخار بأن اختزت خدمتك إلى نبوة النبوة " [5]، لكن شيركوه بعد أن أمضى شهرين وخمسة أيام في الوزارة، أدركه الموت في 23 آذار 564هـ/1168م[6]، فخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين ولقب بالناصر [7].

---

[1] . أبو شامة: الروضتين، ص132.

[2] . ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص130-131.

[3]. البابين: قرية تقع إلى الجنوب من مدينة المنيا، عند أطلال مدينة هرموبوليس القديمة، ابن ظافر الأزدي، جمال الدين: أخبار الدول المنقطعة، تح: أندريه فربيه، القاهرة، 1971م، ص115؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص123.

[4] . الحنبلي: شفاء القلوب، ص30؛ ابن قاضي شهبة، بدر الدين: الكواكب الدرية في السيرة النبوية، تح: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م، ص169.

[5] . ابن الوردي، سراج الدين: تتمة المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، 1970م، ج2، ص 116.

[6]. ابن العماد، شهاد الدين بن محمد الدمشقي الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق 1989م، ج4، ص 211؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص167-168؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص348.

[7]. الحنبلي: شفاء القلوب، ص 68.

كانت أولى المتاعب الحقيقية التي واجهت صلاح الدين، المؤامرة التي تزعمها جوهر مؤتمن الخلافة أحد طواشية[1] القصر الفاطمي –هو نوبي وقائد الجند السودانيين– فأرسل صلاح الدين إلى جوهر جماعة من أصحابه بقيادة أخيه توارنشاه، تمكنوا من قتله في سنة 564هـ/1168م[2]، وقضي على نفوذهم نهائياً في سنة 572هـ/ 1176م، كذلك فعل صلاح الدين بحرس الخليفة من الأرمن، حيث قام بإشعال النار في معسكراتهم، وقبض عليهم حتى لا يعطيهم فرصة القيام بما قام به السودانيين[3]، ولم يبق أمامه إلا كبار الإقطاعيين وملاك الأراضي، الذين دفعهم الحرص على ممتلكاتهم الواسعة إلى مساندة الأوضاع القائمة فتخلص صلاح الدين منهم، وأحل محلهم في إقطاعاتهم جماعة من رجال أهل الشام[4].

واجه صلاح الدين أزمة أخرى تمثلت بتحالف – البيزنطيين والفرنجة– لمهاجمة مصر واقتسامها براً وبحراً عن طريق دمياط[5]، في سنة 565هـ/1169م[6]، لكن هذه الحملة عادت إلى عسقلان [7]، دون أن تحقق شيئاً من أهدافها بسبب النقص الحاد في مؤن أقوات قوات بيزنطة والفرنجة.

تعد هذه الحملة نقطة تحول مهمة في تاريخ صلاح الدين، وتاريخ حملات الفرنجة في مصر، لأن انتصار صلاح الدين، اقنع الخلافة الفاطمية المتداعية والباقين من رجالها بأنه يستطيع حماية الدولة من أي خطر يهددها، كما أن هذه الحملة كانت آخر عمل مشترك بين الفرنجة والبيزنطيين في تاريخ حروب الفرنجة، وأول نصر حربي أحرزه صلاح الدين ضد الفرنجة

---

[1] . طواشية: هم الخصيان الذين استخدموا لخدمة الحريم السلطاني، وكانت لهم حرمة وافرة، وكلمة نافذة، ويعد شيخهم من أعيان الناس، المقريزي: الخطط، ج4، ص219؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص927؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص183–184.

[2]. البنداري: سنا البرق الشامي، ص 43–44.

[3]. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص313؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 450–451.

[4]. عاشور، محمد سعيد: الأيوبيين في مصر والشام، دار الآفاق، القاهرة، 1970م، ص 24–25.

[5]. دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر، على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 472؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص 536.

[6]. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 41–43؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص 179–181.

[7]. عسقلان: هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، الحموي: معجم البلدان، ج4، ص137.

بعد حصوله على الوزارة [1]. فبدأ صلاح الدين في خطته الرامية إلى القضاء على رسوم الدولة الفاطمية ومعالمها، فأبطل من الآذان حي على خير العمل، ووضع يده على القصور الفاطمية، وجرد الخليفة العاضد 555-567هـ/1160-1171م، وجميع أفراد أسرته من أموالهم وأمتعتهم، وضيق على سائر أهل القصر[2]، وألقيت أول خطبة للخليفة المستضيء بنور الله في سنة 567هـ/1171م، وكان الخليفة العاضد في وقتها مريضاً، فأخفى أهله ذلك حتى توفي في العام نفسه [3]، دون أن يعلم بأمر هذا القرار الذي أطاح بالخلافة الفاطمية.[4]، فأرسل الخليفة المستضيء بنور الله الخلع الثمينة لنور الدين وصلاح الدين ومعها الأعلام السوداء شعار العباسيين، وهذا ما أكده ابن الأثير بقوله: " أرسل لنور الدين طوق الذهب وزنه ألف مثقال[5] وحصانان، وسيفان قلد بهما إشارة إلى الجمع له بين مصر والشام" [6].

مما تقدم **يُستنتج:** كانت هذه الكيانات السياسية المتصارعة الغارقة تماماً في الحروب والمنازعات على مدى قرن كامل قبل قدوم الفرنجة، وبعد قدومهم إذ لم يكن لدى الحكام منها سوى ميراث طويل من الشك والمرارة كل منهم تجاه الآخر، وأن بلاد الشام عانت كثيراً من فقدان الأمن والاضطراب، وعدم الاستقرار تحت حكم السلاجقة، إذ لم تقتصر على الفوضى السياسية، بل شملت الفوضى العقائدية أيضاً [7].

4. السلطنة الخوارزمية:

---

[1]. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص44-45.

[2]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 20؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 88.

[3]. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، العراق، 1967م، ج1، ص161-163؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص85.

[4]. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج1، ص 178.

[5] . المثقال: اسم لما له ثقل، سواء كبر أو صغر، وغلب عرفه على الصغير، وسار في عرف الناس اسماً على الدينار، إذ جعل المثقال وحدة للذهب، ووزن الدينار مثقالاً واحداً أي 4,25 غ، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص880.

[6]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص157.

[7]. قاسم، قاسم عبده: ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة، د. ت، ص 101 .

ظهرت الدولة الخوارزمية على أنقاض الدولة السلجوقية وبسطت سلطانها على إقليم خوارزم مؤسسها أنوشتكين[1]، الذي شغل وظيفة الطشت دار[2] ، (الساقي) في بلاط السلطان ملكشاه السلجوقي[3] إلى أن قام السلطان السلجوقي بركياروق[4]، بتنصيبه حاكماً على إقليم خوارزم، ولقبه خوارزم شاه في سنة 490هـ/1096م، مكافأة له على خدماته للبيت السلجوقي[5].

بعد وفاته خلفه ابنه قطب الدين محمد، الذي تمكن من تثبيت حكمه وتأسيس الأسرة الخوارزمية التي حكمت بين 490- 627هـ/1096-1229م. وبعد وفاته في سنة 521هـ/1127م، خلفه ابنه أتسز، وبعد وفاته خلفه ابنه إيل أرسلان الذي أنهى ـ عملياً ـ سلطان السلاجقة على العراق [6]، وبعد وفاته في سنة 589هـ/1193م خلفه أخوه علاء الدين تكش الذي سيطر على معظم البلاد، التي كانت خاضعة لنفوذ سلاجقة العراق وأهمها همذان وأصفهان والري[7].

توفي تكش في سنة 596هـ/1099م، وخلفه ابنه علاء الدين محمد الثاني خوارزم شاه الذي حاول بسط نفوذه على بغداد، وطلب من الخليفة العباسي الناصر الدين الله 557هـ/

---

[1]. أنوشتكين: يرجع نسبه إلى بلتكين أحد مماليك السلطان ألب أرسلان بن جغري بك الذي كان له ولاية ملك خوارزم من جهة السلاطين السلجوقية، ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص35.

[2]. الطشت دار: لفظ فارسي معناه: الخادم الذي يسكب الماء لغسيل اليدين والمشرف على المغاسل بشكل عام. دخل العربية في العصر الإسلامي ليصبح لقباً لحامل الإناء الذي كان يقوم بصب الماء على مخدومه السلطان، الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص306.

[3]. حمدي، حافظ: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949م، ص23.

[4]. بركياروق: أبو المظفر بركياروق الملقب ركن الدين بن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، ولي مملكة سلاجقة الروم بعد موت أبيه، ودخل سمرقند وبخارى، وغزا بلاد ما وراء النهر، توفي في سنة 498هـ/1104م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص 268.

[5]. صبره، عفاف سيد: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1997م، ص36.

[6]. الراوندي، أبو بكر محمد بن علي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تح: محمد الشواربي، دار القلم، القاهرة، 1960م، ص 513؛ الحايك، منذر: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، دار النفائس، دمشق، 2001م، ص 434-435.

[7]. همذان: مدينة من عراق العجم، من كور بلاد الجبال، كثيرة المياه والبساتين والزروع، الحميري: الروض المعطار، ص596؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 414، أصفهان: أو أصبهان من بلاد فارس، وأخصب مدن الجبال وخراسان، الحميري: الروض المعطار، ص 43؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص224، الري: مدينة من بلاد الديلم، قريبة من خراسان وطبرستان، الحميري: الروض المعطار، ص 278.

1161م أن يعينه سلطاناً على البلاد الشرقية وعلى بغداد كما كان الحال مع السلاجقة العظام[1] لكنه رفض، فاشتدت العداوة بين الطرفين، وألغى علاء الدين الخطبة للخليفة على منابره، وأعد جيوشه لدخول بغداد، لكن الظروف لم تساعده فعاد ليجد المغول قد غزوا بلاده في سنة 615هـ/1218م فانهزم أمامهم ولم يتمكن من صدهم، وعهد المُلك لابنه جلال الدين منكبرتي الذي سقطت السلطنة الخوارزمية بمقتله في سنة628هـ/ 1230م.

في الحقيقة لم يكن الخوارزمية(بقايا جيش جلال الدين بعد مقتله)، الذين تحركوا نحو بلاد الأناضول، والجزيرة والشام يملكون جيشاً نظامياً كبير العدد أو العتاد، إلا أن حالة التمزق السياسي التي أسهمت فيه كل القوى المعاصرة لهم في المشرق العربي الإسلامي، وعلى رأسها سلاجقة الروم، الأيوبيون، الأراتقة، والخلافة العباسية نفسها. جعلت من هؤلاء الخوارزمية قوة عسكرية، استراتيجية، ذات ثقل سياسي مؤثر، ومن ثم تسابقت كل هذه القوى على اجتذابهم إليها كمرتزقة ليكونوا سنداً لها في مواجهة القوى الأخرى.

5 . الفرنجة:

تعد حروب الفرنجة التي قامت بها أوروبة الغربية ضد المشرق العربي الإسلامي في القرنين ـ الخامس السادس الهجريين/ الحادي عشر لثاني عشر الميلاديين ـ انعطافاً خطيراً في تاريخ أوروبة في العصور الوسطى، لأنها كانت في الظاهر مشروعاً لتخليص بيت المقدس وقبر المسيح عليه السلام، هدفها الاستيلاء على الأرض المقدسة وبلاد الشام [2].

في الواقع تضافرت مجموعة من الأسباب المهمة في الغرب الأوروبي، أدت بمجملها إلى قيام حروب الفرنجة وهي:

- **الأسباب الإقتصادية:** حيث عاش آلاف الفلاحين في غرب أوروبا عيشة ضنك في ظل النظام الإقطاعي[3]،هذا بالنسبة لعامة الشعب في أوروبة، أما بالنسبة لطبقة النبلاء الإقطاعيين وخاصة بعد وفاة السيد الإقطاعي، الذي لا يجوز أن توزع أراضيه على كل أبنائه وإنما هي حق الابن

---

[1]. السلاجقة العظام: يطلق على عهود سلاطين السلاجقة في العراق بين 447–552هـ/ 1055–1157م. لأن سلطتهم كانت تمتد من بلاد الشام حتى حدود الصين، شهاب، مظهر: السلاجقة، الموسوعة العربية، ج11، ص41؛ ابن الأثير: الكامل، ج12، ص63.

[2]. عاشور، محمد فايد: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص 77.

[3]. هلستر، س. ورن: أوروبة في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1988م، ص 168.

البكر، وباقي الأبناء يرثون فقط الأشياء المنقولة مثل الدروع والخوذ والأسلحة والألبسة ويدخلون سلك الفروسية ويقومون بأعمال السلب والنهب للفلاحين ولأملاك الكنائس[1].

كان للمدن التجارية الأوروبية مثل (البندقية، جنوة، بيزا، أمالفي، مرسيليا)[2]، أثر كبير فهي قدمت للفرنجة مساعدات كبيرة لم تكن مدفوعة إلى تقديمها بوازع ديني، وإنما جرى هذا بدافع من مصالحها التجارية والاقتصادية الخاصة، وذلك وفق معاهدات عقدتها مع قوى الفرنجة في بلاد الشام، وحصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية[3].

-**الأسباب الدينية:** كان للكنيسة في الغرب الأوربي الأثر الكبير في الدعوة لحروب الفرنجة فكل من يخالف تعاليمها كان يعرض نفسه لأشد أنواع العقاب، فأخذ الناس يتقربون إلى الله تعالى ويعملون على مرضاته بالتكفير عن ذنوبهم وخطاياهم [4].

- **الأسباب السياسية:** إن ملوك وأمراء الغرب الأوربي الذين شاركوا في حروب الفرنجة كان دافعهم حب الظهور وخدمة مصالحهم السياسية ومعظم هؤلاء القادة لم يشاركوا في حروب الفرنجة إلا تحت تأثير البابوية، وضغط من رجال الكنيسة المسيحية، وتهديد من لم يُنفذ رغبة الكنيسة بإصدار قرارات الحرمان التي تقتضي بالحرمان من النعيم في الآخرة ونبذ طاعته للدين [5]، كذلك تحريض الإمبراطور البيزنطي للغرب الأوروبي بعد معركة ملاذ كرد463هـ/ 1070م، للعمل على حماية المسيحيين في الشرق كونهم مهددين من السلاجقة.

---

[1]. زابوروف، ميخائيل: الصليبيون في الشرق، دار التقدم، موسكو، 1986م، ص 17-18.

[2] . البندقية: مدينة مبنية على جزر تقع على الساحل الشمالي الغربي للأدرياتيك، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص404، جنوة: مدينة قديمة، منازلها كالقلاع، تطل على خليج معروف باسمها، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص 134؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص 405. بيزا: ميناء غرب روما، عاصمة إيطاليا، القلقشندي: ج5، ص 411. أمالفي: ميناء على خليج سالرن، الساحلي، نعيمة عبد السلام: التوجهات السياسية للدولة الأيوبية، دار قتيبة، دمشق، 2009م، ص 210. مارسيليا: ميناء تجاري في جنوب فرنسة على ساحل البحر المتوسط، ابن سعيد، علي بن موسى: كتاب الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970م، ص 182.

[3]. زيتون، عادل: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دمشق، 1980م، ص 129؛ بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص 14 - 17.

[4]. عوض، محمد مؤنس: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة، 1999م، ص 52-53.

[5]. عاشور، محمد فايد: جهاد المسلمين ، ص 78.

خلال الصراع الطويل الذي دام قرابة قرنين من الزمن، بين المسلمين والفرنجة توجهت العديد من حملات الفرنجة إلى كل من بلاد الشام، مصر، القسطنطينية، وشمال أفريقية كان أولها الحملة الصليبية الأولى في سنة 489-503هـ/1095-1109م. فبعد انتصار السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان[1]، على الإمبراطورية البيزنطية في معركة ملا ذكرد في سنة 463هـ/ 1070م، وأصبحوا أمام أبواب القسطنطينية[2]، وخشي الإمبراطور الكسيس كومنين عندما تولى العرش البيزنطي في سنة 474هـ/1081م، أن تسقط القسطنطينية بيد السلاجقة لذلك أرسل إلى البابا أوربان الثاني Urbain||[3]، يطلب المساعدة العسكرية من غرب أوروبة، لاستعادة ممتلكات الدولة البيزنطية مقابل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية[4].

يرجع انتصار الفرنجة في حروبهم إلى المنازعات بين حكام وأمراء المشرق الإسلامي، والانقسام المذهبي بين الفاطميين والعباسيين، كذلك ضعف الفاطميين وفساد سياستهم في أواخر أيام دولتهم [5]، حيث يؤكد ذلك ستفنسن بقوله: " قاوم أمراء سورية الفرنجة متفرقين كل يعتمد على جهوده الخاصة وبعضهم كان تابعاً للقاهرة، ولم يهتم أحد منهم بمصير الآخر" [6]. فابتهجت الأسر العربية المحلية بشمال الشام لما حدث من تداعي قوة الترك وأظهرت الاستعداد لعقد اتفاقات مع الفرنجة، واتجهت أشهر أسرتين عربيتين بنو منقذ في شيزر وبنو عمار في طرابلس، إلى مصادقة الفرنجة.

---

[1]. ألب أرسلان: السلطان العادل، ألب أرسلان بن داود بن سلجوق تولى المُلْك في مدينة الري بعد وفاة عمه طغرل بك في سنة 454هـ/1067م، وانتصر على الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع انتصاراً حاسماً في معركة ملاذ كرد 463هـ/1070م، وقتل في سنة 465هـ/1072م. البنداري: تاريخ آل سلجوق، ص 30.

[2]. القسطنطينية: هي بيزنطة القديمة، أسسها الإغريق في القرن 7 ق. م، جعلها قسطنطين الأكبر عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وأسماها القسطنطينية 330 ق.م، واستمرت قاعدة الإمبراطورية البيزنطية إلى أن فتحها العثمانيون في سنة 857هـ/ 1453م، مجموعة من المؤلفين: المنجد في الأعلام، دار الشرق، بيروت، 1982، ص40.

[3]. أوربان الثاني||Urbain: فرنسي الأصل، من مواليد لاجري Lagery، تولى البابوية مابين 481-493هـ/ 1088-1099م، كان متعصباً ضد الإسلام، كما كان المحرض الأول للحملة الصليبية في مجمع كليرمون Concile Clermont غربال: الموسوعة الميسرة، ج1، ص97.

[4]. شبارو: تاريخ المشرق الإسلامي، دار الفكر، بيروت، 1999م، ص 88.

[5]. حبشي، حسن: نور الدين والصليبيون، القاهرة، 1959م، ص 22.

[6]. Steven son W.B: The crusades in the East, Cambridge. 1979, p24.

لذلك تمكن الفرنجة من تأسيس إمارة الرها في سنة 490هـ/1096م، وأنطاكية 491هـ/1097م، طرابلس 503هـ/1109م، ومملكة بيت المقدس 492هـ/1098م، واستمرت كيانات الفرنجة صامدة رغم قلة مواردها من الرجال والمال بسبب صراع الأمراء المسلمين حول السلطة والنفوذ [1]. لكن المشرق العربي الإسلامي ما لبث أن أخرج أربعة من كبار القادة الذين حلت الهزائم على الفرنجة، بفضل جهودهم إلى أن تم اجلائهم نهائياً على يد المماليك في سنة 690هـ/ 1291م[2] وهم:

- طغتكين الذي رسم ملامح مشروع وحدوي عسكري إسلامي.
- عماد الدين الزنكي الذي استرجع إمارة الرها في سنة 539هـ/1144م.
- ابنه نور الدين محمود الذي بدأ مسيرة الوحدة بين مصر والشام.
- صلاح الدين الأيوبي الذي حقق الوحدة بين بلاد الشام ومصر، ودخل بعدها إلى مملكة بيت المقدس في سنة 583هـ/1187م.

6. الاسماعيلية:

انقسمت الطائفة الإسماعيلية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر في سنة 487هـ/1094م إلى فرقتين:

النزارية التي اعتقد أتباعها بأحقية ابنه الأكبر نزار بالخلافة، وقد هربوا إلى بلاد الشام بعد أن تعرضوا إلى حملة اضطهادات وملاحقات في مصر، وكان على رأسهم الحسن الصباح الذي أسس لاحقاً في بلاد فارس ما يعرف بالفرقة النزارية: أتباع نزار ابن المستنصر وغلب على أتباعه اسم الحشيشية ــ السبعية ــ أو الباطنية[3]. وقد اتخذ الحسن الصباح مقراً لدعوته في قلعة

---

[1] .ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد، 1939م، ج9، ص 15؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص 367.

[2]. أبو بدر، شاكر أحمد: الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1972م، ص114.

[3]. الحشيشية: لقب أطلق على الإسماعليين النزاريين اتباع الحسن بن الصباح وخلفاؤه، التسمية مأخوذة من الكلمة الفرنجية Assassions وهي بمعنى فاتك، أطلقها عليهم الصليبيون لاشتهارهم بالاغتيال، يبدأ تاريخهم باحتلال قلعة آلموت في سنة 483هـ/ 1090م على يد الحسن بن الصباح، اشتد نفوذهم بعد اغتيالهم للوزير السلجوقي نظام الملك في سنة485هـ/ 1092م، عمل السلاجقة على اخضاعهم عبثاً فاستولوا على قلاع مصياف والعليقة والقدموس في سنة536هـ/ 1141م، عرف رئيسهم بشيخ الجبل، قضى عليهم المغول في سنة 654هـ- 659هـ/ 1256-1260م، ووجه إليهم بيبرس الضربة القاتلة في سنة671هـ/ 1272م. مجموعة من المؤلفين: المنجد في الأعلام، ص221؛ الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص144-145.

آلموت[1]، المنيعة في بلاد فارس وما اشتهر به أتباعه من التعلق المطلق به، جعلهم على استعداد للمخاطرة، والتضحية بأنفسهم متى أمرهم بذلك وقد امتلك الإسماعيلية عدة حصون مهمة في بلاد الشام: مثل القدموس والعليقة، مصياف والكهف وغيرها[2]، الفرقة الثانية هي المستعلية[3].

---

[1]. آلموت: قلعة تقع في رودبار من إقليم الديلم من توابع قزوين في بلاد فارس، وهي إلى الشمال على مسافة 1كم من بلدة غازر جان بين سلسلتي جبال البرز، الجلاد، محمد وليد: آلموت، الموسوعة العربية، ج3، ص404؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص728.

[2]. القدموس: قلعة حصينة استولى عليها الإسماعيلية في سنة 506هـ/1112م، استخدموها كقاعدة ضد المسلمين والفرنج على حد سواء، تتبع منطقة بانياس محافظة طرطوس، القلقشندي: صبح الأعشى، ج54، ص174؛ طلاس، مصطفى: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، دار طلاس، دمشق، 1990م، ج4 ص225. العليقة: جاءت تسميتها من موقعها المعلق على مرتفع جبلي وهي تتحكم بالممر الجبلي الذي يصل حماة ببانياس الساحل عبر القدموس بناها العرب نحو 431هـ/1039م، القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص174؛ طلاس: المعجم الجغرافي، ج4، ص334. مصياف: أو مصيات، وهي حصن مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس؛ طلاس: المعجم الجغرافي، ج5، ص284؛ الكهف: قلعة علي السفوح الغربية لجبال اللاذقية، اكتسبت أهميتها من إشرافها على كونتية طرابلس، وسميت الكهف لأن مدخلها محفور بالصخر، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص19؛ طلاس، المعجم الجغرافي، ج5، ص87. الملحق رقم/10/، ص177.

[3]. البحث، ص50.

الفصل الثاني

العلاقات الزنكية والأيوبية مع الدول والإمارات الاسلامية والقوى الأخرى

أولاً: الدولة الزنكية

1. العلاقات الزنكية مع الدول والإمارات الإسلامية:
   أ. الخلافة العباسية
   ب. الاسماعيلية
   ج. الخلافة الفاطمية
   د. بلاد الشام والجزيرة والأناضول
   هـ. سلاجقة الروم
2. العلاقات الزنكية مع القوى الأخرى:
   أ. البيزنطيين
   ب. الفرنجة

ثانياً : الدولة الأيوبية

1. العلاقات الايوبية مع الدول والإمارات الإسلامية:
   أ. الخلافة العباسية
   ب. السلاجقة
   ج. الخوارزمية
   د. الاسماعيلية
2. العلاقات الأيوبية مع القوى الأخرى:
   أ. المغول
   ب. البيزنطيين
   ج. الفرنجة

بعد أن تم الاطلاع على أوضاع المشرق العربي الإسلامي العامة في حقبة البحث، ستتم دراسة القوتين اللتين تمثلان الأساس في موضوع البحث ألا وهما الدولة الزنكية ثم الدولة الأيوبية.

أولاً : الدولة الزنكية:

كان آق سنقر أول من ظهر على الساحة السياسية من أفراد الأسرة الزنكية وبدأ حياته مملوكاً ورفيقاً لطفولة وشباب السلطان السلجوقي ملكشاه الذي أطلق عليه لقب قسيم الدولة وأثبت آق سنقر لملكشاه أنه أهل للثقة الممنوحة له فساعده في القضاء على دولة العقيليين[1]، في الموصل وحلب وكانت مكافأته ولاية حلب في سنة 478هـ/1085م[2].

حكم آق سنقر حلب ما يقارب سبع سنوات، أحسن فيها السياسة والسيرة، واستطاع نتيجة لحسن سيرته مع الرعية في حلب أن يوطد حكمه فيها ويتخذها قاعدة لتوسيع حدود سلطان السلاجقة فضم إليه حمص وآفامية [3]، وحصل على اعتراف آل منقذ أصحاب شيزر بسيادة السلطان السلجوقي على أملاكهم، وما لبث آق سنقر أن ذهب ضحية للنزاع بين أفراد الأسرة السلجوقية في جمادى الأولى 487هـ/1094م[4].

اضطربت أوضاع حلب بعد مقتل آق سنقر، وتعرضت لهجمات الفرنجة حتى اتفق رأي الحلبيين على استدعاء إيلغاري الأرتقي لحكمها إثر تردي أوضاعها في سنة 511هـ/1117م فتولى مقاليد الأمور فيها، وجمع الأموال اللازمة للدفاع عنها من الأهالي، ووقف في وجه

---

[1] . دولة العقيليين380- 489هـ/ 990- 1095م: سلالة عربية حكمت الموصل في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عملوا في خدمة الحمدانيين أسياد حلب والموصل، ثم احتلوا الموصل في سنة386هـ/996م، ومدوا نفوذهم على جزء كبير من شمال العراق، قضى عليهم السلاجقة في سنة 490هـ/1096م اشتهر منهم: المقلد بن المسيب بن بدران، قريش بن بدران، مسلم بن قريش. مجموعة مؤلفين، المنجد في الإعلام، ص472؛ جوني، وفاء: العقيليون، الموسوعة العربية، ج13، ص326.

[2].ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص241.

[3]. آفامية: مدينة حصينة، قريبة من شيزر إلى الغرب من حماة، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 269.

[4]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 25-26؛ ابن الأثير: الكامل، ج10، ص 148-150.

الفرنجة وانتصر عليهم في معركة عرفت باسم ساحة الدم [1]، لكثرة ما قتل فيها من الفرنجة وسقط روجر(Roger) الأنطاكي قتيلاً وأسر سبعون من فرسانه[2]، وبعد وفاته في سنة 516هـ/1122م[3]، عظم المصاب على أهل حلب خوفاً من الفرنجة[4]، ولم يكن خلفاؤه على قدر من المسؤولية ووقع الصراع والخلاف بينهم وتعرضت حلب للحصار إلى أن تبعت لعماد الدين زنكي.

لم يُخَلف آق سنقر من الأولاد غير ولد واحد _ هو عماد الدين زنكي _ وكان عمره وقتذاك عشر سنين فاعتنى به، مماليك أبيه وأصحابه في مرحلة الشباب فأظهر شجاعة في الحروب التي خاضها ضد الفرنجة، فذاع صيته واكتسب شهرة واسعة [5]،فحكم عماد الدين زنكي الموصل، إذ قام بتأمين حدودها الشمالية بالاستيلاء على جزيرة ابن عمر ونصيبين وسنجار والخابور وحران[6].

استكمالاً لسياسته الرامية إلى توحيد الجبهة الإسلامية في أعالي العراق والشام، عبر الفرات، ووضع يده على حلب وغيرها من البلاد الشامية[7]، ولاشك بأن حلب كانت من المدن المهمة في شمال الشام، لحصانتها وأهمية مواردها الاقتصادية، وموقعها المهم على خطوط

---

[1]. ساحة الدم(البلاط)513هـ/ 1119م: معركة قامت في تل عفرين بالقرب من الأتارب بين السلاجقة بقيادة إيلغازي الأرتقي وحليفه طغتكين، والفرنجة بقيادة روجر الأنطاكي صاحب أنطاكية والملك بلدوين وبونز كونت طرابلس، للسيطرة على حلب، ابن الأثير: الكامل، ج8، ص642-643؛ رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، بيروت، 1981م، ج2،ص234.

[2] . ابن الأثير: الكامل، ج8، 288-289.

[3]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص 203-206؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص433.

[4] . خليل: الإمارات الأرتقية، ص 262-263.

[5] . ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 15؛ الدواداري: كنز الدرر، ج6، ص501.

[6]. جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل، يحيط بها دجلة، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 138؛ نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 288؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2 ص66؛ الحميري: الروض المعطار، ص577؛ سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 262؛ الحميري: الروض المعطار، ص 326؛ الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة، الحموي: معجم البلدان ج2 ص 382. حران: مدينة من مدن الجزيرة وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبينها وبين الرقة يومان على طريق الموصل والشام، الحموي: معجم البلدان،ج3، ص106.

[7]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص 34-36.

المواصلات بين فارس والعراق من جهة، وبين الشام وآسية الصغرى من جهة أخرى، إذ سار على رأس قواته قاصداً حلب، واستولى في طريقه على بزاعة ومنبج[1].

فوصل إليها في سنة 522هـ/1128م وخرج أهلها إليه " فالتقوه واستبشروا بقدومه، ودخل البلد، واستولى عليه، ورتب أموره " [2]، وبذلك تم الاتحاد بين الموصل وحلب، مما أدى إلى تحرير الرها [3] ، على يده في سنة 539هـ/1144م من جهة، وهيأ لزنكي فرصة سانحة للتدخل في الأوضاع السياسية لبلاد الشام من جهة أخرى.

ثم واصل الجهاد ضد الفرنجة بمحاولات عديدة للاستيلاء على دمشق والمدن المحيطة بها، وبخاصة حماة وحمص الواقعتين على الطريق الرئيسي إلى دمشق، لأن السيطرة عليها تمنحه قواعد استراتيجية مهمة، ومراكز للتموين لا يمكن الاستغناء عنها، عند هجومه على دمشق أو فرض الحصار عليها [4]، لكن مقتله في قلعة جعبر[5]، على يد أحد غلمانه المدعو يرنقش[6]، في سنة 541هـ/1146م كان أسرع من تحقيق حلمه، على الرغم من وضعه الحجر الأول في بناء جبهة إسلامية موحدة ومتماسكة تستطيع أن تضرب بشدة على أيدي الفرنجة وتصد أطماعهم.

انقسمت دولة عماد الدين بعد وفاته إلى قسمين: قسم في الشرق تسلمه ابنه الأكبر سيف الدين غازي ومقره الموصل، وقسم في الغرب تسلمه ابنه نور الدين الزنكي، ومقره حلب وكان

---

[1]. بزاعة: بلدة من أعمال حلب في وادي بُطنان بين منبج وحلب، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص486. منبج: مدينة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 238.

[2]. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص326؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 37-38.

[3]. الرها: مدينة تقع في ديار مضر من أرض الجزيرة، قريبة من مدينة حران، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص106.

[4]. الحويري: بناء الجبهة الإسلامية، ص 86.

[5]. قلعة جعبر: قلعة حصينة، مطلة على الفرات، بين بالس والرقة قرب صفين، كانت تسمى دوسر، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص142؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص110.

[6] . يرنقش: مجاهد الدين بن غازي، كان مملوكاً لعماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار والخابور والرقة، وقد أصبح أتابكاً لابن عماد الدين قطب الدين محمد بن زنكي، توفي في سنة 594هـ/1197م، أبو الفداء: المختصر، ج3، ص93.

نهر الخابور الحد الفاصل بين أملاك الأخوين [1]، أما الابن الثالث لزنكي نصرة الدين فقد حكم حران تابعاً لأخيه نور الدين في حين أن الابن الرابع قطب الدين الذي كان صغيراً بقي في رعاية أخيه في الموصل.

واصل نور الدين جهوده في توحيد الجبهة الإسلامية ومنازلة الفرنجة وتمكن من تحقيق انتصارات ملموسة على فرنجة أنطاكية وبيت المقدس وطرابلس، كما عمل على تصفية بقايا أراضي إمارة الرها ، ثم توجه إلى بلاد الشام لتوحيدها تحت إمرته، لكن إمارة البوريين في دمشق كانت تقف حائلاً في طريقه، لذلك قرر فتح دمشق والقضاء على هذه الإمارة، فبدأ بإثارة الشكوك بين مجير الدين إنر (صاحب دمشق)، وأعوانه، وبينه وبين أهالي المدينة ليشعرهم بعجزه عن حمايتهم واستغل قضية تخاذل البوريين أمام الفرنجة وتساهلهم مع أسراهم، ودفع أموال الأهالي لأعدائهم، مع تعرض دمشق نفسها لمخاطرهم ووقوف حكامها سداً في وجه تأديب الفرنجة لإثارة الأهالي ضد البوريين[2]، وفي سنة 549هـ/ 1154م، دخل نور الدين دمشق على الرغم من استنجاد صاحبها بالفرنجة واستقبله أهاليها بالحفاوة والتكريم [3].

ثانياً. العلاقات الزنكية مع الدول والإمارات الإسلامية:

يمثل عهد الدولة الزنكية الممتد من سنة 541-569هـ/1146- 1174م جانباً مهماً في تاريخ العلاقات بين المشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي في العصور الوسطى ومرجع تلك الأهمية يكمن في صراع القوى السياسية في بلاد الشام والجزيرة ومصر، من أجل فرض الهيمنة على مصادر الثروة الاقتصادية والسيادة السياسية، فشهدت تلك المرحلة تطورات تاريخية بين العديد من القوى السياسية في المنطقة، التي دخلت معها الدولة الزنكية في علاقات متعددة على كافة المستويات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية.

1. العلاقة مع الخلافة العباسية:

مثلت العلاقات الزنكية العباسية جانباً مؤثراً في السياسة الخارجية للدولة الزنكية نظراً للثقل السياسي والديني الكبير للخلافة العباسية ودورها المؤثر على القوى الإسلامية

---

[1]. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الأصفهاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978م، ص 191 - 192.

[2]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص106.

[3]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 327.

المجاورة، وقد ارتبط دور الخلافة العباسية وعلاقاتها الخارجية بأوضاع الخلفاء أنفسهم من حيث القوة والضعف. إن تتبع العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية وأتابكية الموصل، توضح على الفور أن طموحات عماد الدين زنكي الواسعة جعلته يصطدم بالخلافة ويهاجمها في عقر دارها وإن دخلت العلاقات بين الجانبين بعد ذلك مرحلة المسالمة، بعد أن أدرك كل منهما خطر الآخر على الأوضاع السياسية في العراق[1].

على الصعيد السياسي وجد العباسيون في الدولة الزنكية قوة فعالة ضد وجود الفرنجة في بلاد الشام وأرادو الظهور أمام رعاياهم بمظهر المدافع عن ديار الإسلام، كأحد واجباتهم الشرعية، واحتاجت الدولة الزنكية من الخلافة العباسية تأييد حكمها للمناطق الخاضعة لها في بلاد الشام والجزيرة، فحرص نور الدين زنكي على الحصول على تقليد سيادته السياسية من الخلافة العباسية وعمل على توطيد علاقاته بها عن طريق السفارات الدبلوماسية المتبادلة ومثال على ذلك، عندما أخضع نور الدين دمشق في سنة 549هـ/ 1152م، محققاً بذلك أحد أكبر انتصاراته العسكرية فبعث الخليفة العباسي إليه عهداً بالسلطة واقرار بسيادته عليها[2].

على الصعيد العسكري استفاد نور الدين زنكي من نفوذ العباسيين للضغط على أمراء المشرق لمعاونته ضد أعدائه الفرنجة، فالجيش الزنكي اعتمد اساساً على الدعم المقدم له من أمراء المشرق[3]. وعلى الصعيد الاقتصادي ارتبط الجانبان بعلاقات طيبة عملت الدولة الزنكية على انعاش حركة التجارة بين العراق وبلاد الشام، من خلال إزالة جانب من المكوس على التجار المسافرين بين الاقليمين لتشجعهم على المتاجرة. كذلك إرسالها الغنائم إلى الخلافة العباسية معبرة عن حجم انتصارها على الفرنجة عقب معركة يغرى في سنة543هـ/ 1148م[4].

---

[1]. عوض: الصراع الإسلامي الصليبي، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، القاهرة، 1998م، ص55.

[2]. الذهبي: دول الإسلام، تح: شلتوت ومصطفى ابراهيم، القاهرة، ج2، 1974م، ص65؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1969م، ج3، ص3.

[3]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص31-32.

[4]. يغرى: وقعت على النهر المعروف باسمها حيث يصب في بحيرة أنطاكية ثلاثة أنهار، النهر الأسود إلى الشرق، ثم نهر يغرى في الوسط، ونهر عفرين إلى الغرب ووقعت يغرى إلى الشرق من دربساك في شمال أنطاكية، ابن العديم: زبدة الحلب، ص292، حاشية 4، ابن الأثير: الكامل، ج11، ص55؛ النويري: نهاية الأرب، ج7،ص154؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص117.

وفي بعض الأحيان طلبت الدولة الزنكية المساعدة المالية من الخلافة العباسية للإنفاق على مرافق البلاد عندما وقعت أحداث الزلزال في سنة 565هـ/ 1169م. الذي اجتاح بلاد الشام، خاصة مدن حلب، وبعلبك، وحمص، وحماة وتهدمت أسوارها وقلاعها إذ تأثرت به مدينة حلب أكثر من غيرها بمظاهر الخراب والدمار[1] .

هكذا تشابهت الأهداف لدى كلا القوتين، فالخلافة العباسية أرادت أن تظهر بمظهر المحارب للفرنجة فرأت في الدولة الزنكية قوة يمكن التحالف معها لتكسب تأييد جموع المسلمين، أما الدولة الزنكية فقد احتاجت إلى دعم الخلافة العباسية، لتوطيد أقدامها في بلاد الشام ولدعم نشاطها العسكري ضد الفرنجة.

2. الاسماعيلية:

اتبع نور الدين زنكي سياسة متسامحة تجاههم في أول الأمر، لكي يتجنب إثارة القلاقل في وجه دولته الوليدة، ولكن منذ عام543هـ/1148م اتجه إلى معاداتهم[2]، مما أثار الاسماعيلية الذين وقفوا إلى جانب الفرنجة ضده في معركة أنب في سنة 544هـ/1149م[3]. وتوالت بعد ذلك المواقف العدائية من جانبهم فأحرقوا الجامع الكبير في حلب في سنة 548هـ/ 1153م، فعمل نور الدين على إعادة بنائه وتوسيعه، كذلك وقعت الصدامات بين الطرفين في سنة 554هـ/1159م[4]، كما بلغ نور الدين زنكي تهديدات عديدة باغتياله[5]. مثلما فعلوا من قبل مع العديد من القيادات السياسية على مدى المرحلة السابقة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد عاصر نور الدين زنكي أحد كبار قيادات الاسماعيلية في بلاد الشام خلال عصر حروب الفرنجة مثل رشيد الدين سنان 559-589هـ/ 1163-1193م[6]، الذي تمتع بقوة سياسية كبيرة وأمكنه السيطرة الكاملة على أتباعه، وأمام تفوق مركزه، اتجه نور الدين

---

[1]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص155؛ أبو شامة: الروضتين: ج1، ص467.

[2]. توفيق، عمر: مملكة بيت المقدس اللاتينية، الاسكندرية، 1958م، ص149.

[3]. أنب: تقع ضمن أعمال عزاز في شمال الشام، كرد علي: خطط الشام، ج2، ص23.

[4]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص308-309.

[5]. رنسيمان: الحروب الصليبية، ج2،ص641.

[6]. رشيد الدين سنان البصري: هو ابن سلمان بن محمد البصري، كان يعلم الصبية في البصرة، كان أعرجاً وليَّ قلاع الدعوة في الشام، وأقام في قلعة الكهف، وأصله من حصن الاسماعيلية الرئيس آلموت في فارس، ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص221.

إلى مراسلته وتبادل وجهات النظر معه، ولاريب أن كلاً منهما دافع عن مذهبه في مواجهة الأخر [1].

3. الخلافة الفاطمية:

مرت العلاقات بين الطرفين ببعض المراحل المهمة، منها محاولة التنسيق العسكري المشترك ضد وجود الفرنجة في بلاد الشام، ثم الاتصالات الدبلوماسية وأخيراً التدخل العسكري الزنكي المباشر في الشؤون المصرية نتيجة الصراعات السياسية بين الوزراء الفاطميين. وأدرك نور الدين زنكي أن الهجوم خير وسيلة للدفاع لكي يؤمن المكاسب السياسية والعسكرية التي حققها باستيلائه على دمشق، والسبيل إلى ذلك منع قوى الفرنجة من ضم مصر [2].

المرحلة الأولى من العلاقات بين الجانبين، كانت محاولة التنسيق العسكري ضد وجود الفرنجة [3]. أما المرحلة الثانية فقد تجسدت في سلسلة من الاتصالات الدبلوماسية استمرت لتوطيد العلاقات السياسية بينهما، وقد وصلت إلى القاهرة في سنة 522هـ/ 1157م سفارة من جانب نور الدي، وتكرر الأمر في السنة التالية في 523هـ/ 1158م [4]. وردت الخلافة الفاطمية على تلك السفارة بإعادة السفير الزنكي إلى بلاده، ومعه هدايا وأسلحة تقدر بثلاثين ألفاً من الدنانير وأشياء أخرى تقدر بسبعين ألفاً ، من أجل دعم صراع نور الدين مع الفرنجة [5].

في المرحلة الثالثة من العلاقات قام نور الدين زنكي بالتدخل العسكري المباشر في مصر لحسم الصراعات السياسية الداخلية فيها لصالح دولته[6]. بمعنى أن تصبح مصر ولاية تابعة للدولة الزنكية، في الواقع إن الحملات الثلاث التي وجهها نور الدين نحو مصر، وجد فيها عامل مهم لدعم الخيار العسكري أمام الدولة الزنكية ، بقيادة أسد الدين شيركوه الذي كان بمثابة

---

[1]. عوض: الصراع الإسلامي الصليبي، ص34-35.

[2]. غانم: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، القاهرة،1972م،ج2، ص20.

[3]. عوض: الصراع الإسلامي الصليبي، ص69.

[4]. ابن ميسر: أخبار مصر، ص97؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص230-233.

[5]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص353.

[6]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص120.

الروح المحركة في كل مرحلة من مراحل الهجوم على مصر[1]، وهكذا كانت الخلافة الفاطمية تمر بمرحلة من الضعف العام، وجاءت الدولة الزنكية لتجهز على ذلك الكيان المتهاوي، وقد أثبت ضعفها حينذاك أن سقوطها كان من الداخل قبل أن يكون من الخارج.

4. بلاد الشام والجزيرة والأناضول:

تشكلت تلك القوى في صورة كيانات سياسية متناثرة ومتباينة في مصالحها، وبالتالي في مواقفها من المعسكرين الإسلامي والفرنجي، بين التحالف تارةً والصراع تارةً أخرى، من أجل الحفاظ على وجودها وسط الكيانات السياسية الأكبر. وفي مجال العلاقات مع تلك القوى اتجهت الدولة الزنكية إلى فرض الهيمنة بالقوة أو بعقد الاتفاقيات والمعاهدات الملزمة لإقامة تحالفات وطيدة اتسع نشاطها في جبهة امتدت من الموصل في الشمال الشرقي، وقونيه في الشمال الغربي، إلى دمشق جنوباً. وأهم هذه الكيانات السياسية :

أ. في بلاد الشام:

- أتابكية دمشق (الدولة البورية):

واجهت الدول الزنكية – آنذاك– مشكلة التحالف السياسي القائم بين الأسرة البورية أتابكة دمشق ومملكة بيت المقدس، وتطلع نور الدين زنكي إلى ضمها لتوطيد أقدام دولته في حلب، إذ كانت من أهم مراكز الشام والجزيرة في الأنشطة الزراعية والصناعية والتجارية، حيث امتداداً طبيعياً للطرق التجارية المارة بحلب وكذلك تلك القادمة من مصر، وعلى المستوى العسكري أصبح خط الدفاع حلب– الموصل يبدأ من دمشق نفسها. فطلب نور الدين زنكي من أتابك دمشق مجير الدين آبق أن يقدم له مساعدة حربية قدرها ألف من الفرسان لقتال الفرنجة، ولما كان ذلك يعني تهديداً لمركز الأتابكية وعلاقاتها السياسية معهم فقد رفض طلب نور الدين في سنة544هـ/ 1149م[2]. الذي تقدم بقواته باتجاه دمشق، لكن الأمطار حالت دون عمليات جيشه الحربية، فاتجهت حلب إلى الدبلوماسية وتم الاتفاق على وقف العمليات العسكرية ويبدو

[1]. البحث، ص47–48.

[2]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص308.

أن نور الدين سعى لهذا الاتفاق لحاجته لقواته لمواجهة الصراع مع الفرنجة في إمارة أنطاكية [(1)].

أمام عجز نور الدين اسقاط دمشق عسكرياً أيقن ضرورة تجنب الزج بجيشه في معركة حاسمة لإلحاق الخسائر الفادحة بقواته، اتجه إلى سياسة الحصار الاقتصادي فمنع وصول الغلال إليها من حلب والمناطق الشمالية. وقد نتج عن ذلك ارتفاع الاسعار الأمر الذي أدى إلى رحيل معظم سكان المدينة عنها، ويذكر ابن القلانسي على أنه "خلا من البلد الخلق الكثير" [(2)]. في نفس الوقت أوقع نور الدين الانقسام في معسكر خصمه فأرسل إلى مجير الدين آبق يخبره بأن أمراء المدينة راسلوه سراً لتسليمها والقضاء على حكمه، على نحو أثار حفيظته عليهم، فبادر إلى مصادرة أملاكهم وإقطاعاتهم [(3)]، كذلك سعى إلى التحالف مع عناصر الأحداث الدماشقة[(4)]. وأمام الحصار الاقتصادي شديد الوطأة على دمشق واتفاق الأحداث على تسليمها لنور الدين تمكن من اسقاطها في سنة 549هـ/1154م[(5)].

- شيزر (بني منقذ):

إن حرص الدولة الزنكية على ضم دمشق إلى حلب ، لم يجعلها تتناسى أهمية اسقاط نفوذ الأسر الحاكمة في المدن والبقاع الشمالية، ففي سنة 552هـ/ 1157م اغتنم نور الدين زنكي فرصة تعرض بلاد الشام إلى الزلازل والتي تأثرت بها مدينة شيزر وعمل على اسقاطها[(6)]. قد دفعته إلى ذلك دوافع تجارية واستراتيجية وسياسية حيث عدت من أهم المراكز التجارية في

[(1)]. عوض: الصراع الصليبي الإسلامي، ص112.

[(2)]. ذيل تاريخ دمشق، ص235.

[(3)]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص304؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص318.

[(4)]. الأحداث الدماشقة: عناصر مسلحة من سكان المدن وجدت في بلاد الشام، وقامت بدور مهم في أحداثها السياسية خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وظهرت بعض الأسر التي قادت نشاط الأحداث مثل أسرة ابن البديع في حلب، ومثال على دورها مذبحة دمشق ومذبحة حلب ضد الاسماعيلية في النصف لأول من القرن المذكور، ابن العديم: زبدة الحلب، ج1، ص249؛ النجار، رجب: حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، الكويت، 1981م، ص167.

[(5)]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص106؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص220-221.

[(6)]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص153؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص307.

بلاد الشام، ووقعت على خطوط التجارة بين حلب ودمشق وحمص على نحو جعل لمن يحكم قبضته عليها حق جباية المكوس، ومن جهة أخرى، صار اخضاعها أمراً تمليه الأحداث بعد أن طمع الفرنجة بالاستيلاء عليها حيث أنهم بادروا إلى ذلك في العام نفسه[1].

- بعلبك (الأسرة الجندلية):

امتداداً لسياسة تحجيم الأسر المحلية واضعافها حتى لاتنافس الدولة الزنكية سعت الأخيرة إلى مواجهة الأسرة الجندلية التي سيطرت على بعلبك[2]. برئاسة الضحاك بن جندل البقاعي الذي كان تابعاً لأتابكية دمشق[3]. إذ أدرك خطورة الدولة الزنكية على دمشق في سنة 549هـ/ 1154م[4]، وأعلن عصيانه ضد نور الدين الذي خشي أن يصطدم به حتى لا يطلب المساعدة من الفرنجة، خاصة ما عرف عنه من مناورات سياسية حيث تأرجح بين الولاء للمسلمين تارةً والفرنجة تارةً أخرى[5]، وعلى الرغم من أن الأسرة الجندلية لم تكن تمثل قوة سياسية كبيرة، فإن نور الدين زنكي ابتعد عن تصعيد الصدام مع الضحاك البقاعي، فاتبع معه سياسة اللين لنحو ثلاث سنوات حتى تمكن من اخضاع بعلبك لسيطرته في سنة552هـ/ 1157م[6].

ب. في الجزيرة والأناضول:

- حران:

اتجهت سياسة الدولة الزنكية إلى ضم حران التي كانت تحت سيطرة الأخ الأصغر لنور الدين نصرة الدين[7]، الذي اتخذها مقراً له وقد اتسمت العلاقات بين الجانبين بالود في بادئ

---

[1]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص349؛ الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام، ص372.

[2]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج2، ص45.

[3]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص250.

[4]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص227-228؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص121.

[5]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص227.

[6]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص331؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص147؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص229.

[7]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ض310؛ رنسيمان: الحروب الصليبية، ص393.

الامر؛ حتى أن نور الدين عندما مرض في سنة552هـ/ 1157م، أوصى بأن يكون خليفته على عرش الدولة الزنكية، غير أن العلاقات تدهورت بعد أن أصبحت حران أقل من الطموحات السياسية لنصرة الدين الذي تطلع إلى حلب ذات الثراء التجاري الواسع.

لذا اغتنم فرصة مرض أخيه ليستولي على السلطة، واستعان بعناصر من الاسماعيلية الذين ساعدوه على تحقيق أهدافه. حيث تمكن نصرة الدين من السيطرة على المدينة ولكن استعصت عليه قلعتها على الرغم من وجود تنسيق بين المتآمرين في كل من حلب ودمشق من أجل السيطرة على المركزين الرئيسين للدولة اقتصادياً وسياسياً ، لكن محاولاتهم منيت بالإخفاق، ولذلك قرر نور الدين اخضاع حران لسيادته نهائياً واقصاء أخيه عنها، وحاصرها بالفعل لمدة شهرين، وأسقطها في سنة554هـ/ 1159م[1].

- منبج:

كان لها أهمية خاصة حيث وقعت في منطقة مهمة ذات نشاط تجاري فيما بين شمالي الشام والعراق، ويبدو أن الأمير غازي بن حسان المنبجي حاول الاستقلال بمنبج وهي التي آلت إليه كميراث عن والده [2]. وأمام ذلك لم يكن بوسع نور الدين زنكي إلا إرجاع الأمور إلى نصابها بالتدخل العسكري، لقمع حركته حتى لا تستشري عدوى الاستقلال لدى الأمراء على حدود الدولة الزنكية، وفي مناطق الحدود والأطراف بين العراق وشمال الشام، وبالفعل أخمد حركته في سنة562هـ/ 1167م[3]. وهكذا إن سيطرة نور الدين زنكي على منبج وحران ما هي إلا دليل على الاهتمام بالسيطرة والتوسع في الجزيرة ورغبته في تجنب امتداد مثل ذلك الصراع إلى داخل بلاد الشام، كذلك لم يشأ أن يجعل نفوذاً لبعض القوى السياسية المحلية بجوار الخلافة العباسية في العراق، على نحو يثير المتاعب له من جهة، ويضعف من هيبة حكمه لدى بغداد من جهة أخرى.

---

[1]. عوض: الصراع الإسلمي الصليبي، ص119.

[2]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص324-325.

[3]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص134-135؛ ابن واصل: مفرج الكروب: ج1، ص153.

- **قلعة جعبر:**

اندفع نور الدين زنكي إلى ضمها لأنها وقعت على نهر الفرات وامتازت بحصانتها المنيعة [1]، بالإضافة إلى أن والده عماد الدين زنكي قتل وهو يحاصرها في سنة541هـ/1146م [2]، وفي سبيل ذلك اتبع الطريق السلمي مع صاحب القلعة شهاب الدين العقيلي فبعد أن أسره على يدي أعراب من بني كلاب [3]، عمل على إكرامه في أسره وملاطفته لتسليم القلعة غير أنه رفض [4]، فقام نور الدين بحصارها بيد أنه عجز عن ذلك، فعاد مرة أخرى لملاطفته وعوضه عنها بمناطق سروج وأعمالها ومنطقة الملاحة من أعمال حلب وباب بزاغة [5]، كذلك وهبه عشرين ألف دينار، هكذا تمكن من الاستيلاء عليها في سنة 564هـ/ 1168م.

- **الموصل:**

اتبع نور الدين زنكي حيالها العديد من الأساليب، فهناك أسلوب التحالفات واصطناع الأتباع والعملاء، وأيضاً الاتجاه الدبلوماسي عندما تعجز القوة العسكرية عن الحسم السياسي، خاصة مع أخيه الأكبر سيف الدين غازي 439-544هـ/ 1144-1149م [6]، تميزت العلاقات السياسية بين الجانبين بالصراع والتنافس، إذ اعتبر سيف الدين غازي نفسه الوريث الشرعي لأملاك والده عماد الدين زنكي نظراً لأنه الابن الأكبر، ورأى أن استيلاء نور الدين زنكي على حلب وجعلها مركزاً لدولته الناشئة يعد عصياناً وتمرداً عليه[7]. أما نور الدين فقد كان هدفه من ضم الموصل لحسابات تجارية واستراتيجية، فهناك الرغبة في تأمين الطرق والقوافل التجارية بين الشام والعراق والسيطرة على عائد المكوس الكبير، كذلك فإن خط الموصل – حلب توافرت له

---

[1]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص368؛ ابن الأثير: الباهر، ص136.

[2]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص284؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص99-100.

[3]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص173-174.

[4]. النويري: نهاية الأرب، ج27، ص162.

[5]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص174؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج1، ص4.

[6]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص286؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص203-204.

[7]. عوض: الصراع الإسلامي الصليبي، ص123.

أهمية استراتيجية بالغة[1]. لقد كان الدفاع عن حلب يبدأ من الموصل الذي غدت من مراكز الدفاع عن شمال الشام ، وخط تراجع لنور الدين في حالة سيطرة الفرنجة على حلب ويبدو أن قوى الجانبين توازنت على نحو خشي كل طرف الدخول في صراع عسكري لحسم الأمر بينهما، وتمثل الحل الدبلوماسي المؤقت في اتفاق الخابور في سنة 541هـ/1146م[2]، تم فيه تحديد مناطق النفوذ بينهما، فشرق نهر الخابور لسيف الدين غازي، وغربه لنور الدين زنكي، أي النهر هو الحد الفاصل بين ممتلكاتهما [3].

بعد وفاة سيف الدين غازي سنة544هـ/ 1149م[4]. تولى حكم الموصل وغيرها من أملاكه أخيه قطب الدين مودود 544- 565هـ/ 1149-1169م[5]. ومن جديد عادت مشاكل الحدود تظهر بين الطرفين، واتجه نور الدين زنكي للسيطرة على سنجار بهدف إكمال سيطرته على أملاكه بما فيها حمص، وقد تفاوض الطرفان وتم الاتفاق على أن يسلم نور الدين سنجار إلى قطب الدين ويسلم الأخير حمص له[6]. ثم دخلت العلاقات بين حلب والموصل في مرحلة سلمية متعاونة، ومن ملامح تحسن العلاقات بينهما أنه عندما مرض نور الدين زنكي في سنة554هـ/1159م، أوصى بأن يكون قطب الدين مودود خليفته في حكم الدولة الزنكية[7]. أما التعاون العسكري فقد تجلى في اشراك قطب الدين في معركة حارم في سنة559هـ/1164م[8].

---

[1]. ابن مارس، كمال: العلاقة بين الموصل وحلب وأثرها على الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر، 1991م، ص125.

[2]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص111؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص192؛ عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص208؛ الجميلي: دولة الأتابكة في الموصل، ص71.

[3]. Stevenson: The Crusaders in The East, p154

[4]. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص207؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص131.

[5]. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8،ص281؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص189.

[6]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص297-298.

[7]. أبو بدر: الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ص224.

[8]. حارم: تقع على بعد عشرة أميال غرب إمارة انطاكية، ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص123؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص340.

ومحاصرة عرقة والسيطرة على جبلة ومهاجمة هونين في سنة 562هـ/1166م[1]، واستمرت العلاقات على هذا النحو حتى وفاة قطب الدين في سنة 565هـ/1169م[2].

تعد وفاة قطب الدين مودود بمثابة الحافز لنور الدين زنكي للتدخل العسكري في الموصل خاصة بعد الصراع على السلطة ووراثة العرش بين أبناء قطب الدين، فاستغل الفرصة وعبر بقواته نهر الفرات واستولى على الرقة والخابور ونصيبين، وضم إليه سنجار[3]، ثم استولى على الموصل في سنة566هـ/ 1170م[4]، وأصبحت مدن الموصل – حلب – دمشق تمثل مثلثاً بالغ الأهمية على المستوى التجاري والعسكري والاستراتيجي بخضوعها لقوة سياسية واحدة هي الدولة الزنكية.

5. سلاجقة الروم:

إثر الصراع الذي وقع بين ذي النون بن دانشمند[5]، أمير ملطية وسيواس وغيرها وبين الملك عز الدين قلج أرسلان السلجوقي، استنجد الأول بنور الدين زنكي طالباً مساعدته العسكرية ضد خصمه[6]. فاغتنم نور الدين الفرصة للتدخل العسكري، وكسب مناطق جديدة على حساب سلاجقة الروم. بدأت الدولة الزنكية مواجهة الموقف محاولة الوساطة بين الطرفين المتنازعين، إلا أن قلج أرسلان رفض ذلك[7]، وما أن أخفق الاتجاه السلمي، حتى تقدمت القوات الزنكية واستولت على العديد من المدن مثل بهسنا، ومرعش[8] وعدة حصون[9]. بالإضافة إلى

---

[1]. ابن شداد : النوادر السلطانية، ص38.

[2]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص143–144؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص189.

[3]. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص264.

[4]. ابن الأثير، الكامل، ج11، ص146–147؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص383.

[5]. المحيميد، علي: الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، الاسكندرية، 1994م، ص16.

[6]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص158.

[7]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص217.

[8]. بهسنا: قلعة حصينة من أعمال حلب، وهي بالقرب من مرعش وسميساط، الحايك: العلاقات الدولية، ج1، ص213. مرعش: من ثغور أرمينية، بينها وبين زبطرة تسع فراسخ، الحميري: الروض المعطار، ص541.

[9]. أبو شامة: الروضتين،ج1، ص544.

سيواس[1]، وذلك في سنة568هـ/ 1172م[2]. كان الهدف من السيطرة على هذه المدن للمحافظة على النشاط التجاري مع حلب، ورغبة نور الدين تأمين طرق التجارة بين دولته والإمبراطورية البيزنطية عبر السيطرة على مناطق دولة سلاجقة الروم.

استغرقت العمليات العسكرية ما يزيد على الثلاثة شهور، فسعى قلج أرسلان نحو المهادنة وقبل نور الدين بالصلح، وأهم شروط الاتفاق أن يقدم قلج أرسلان عناصر من قواته لمساعدة نور الدين في عملياته العسكرية ضد الفرنجة، وأن يزوج ابنته لسيف الدين غازي بن قطب الدين مودود[3]. وتم تنفيذ الاتفاق حيث ترك نور الدين عدداً من قواته في سيواس، لكن وفاته في سنة569هـ/ 1174م، أدى إلى خروج العسكر منها[4]، وعاد السلطان قلج أرسلان يفرض سيطرته عليها من جديد. ويعد الصراع مع سلاجقة الروم من أكبر العمليات العسكرية التي خاض غمارها نور الدين زنكي ضد القوى الإسلامية المجاورة، وقد كلفه ذلك الكثير من خزائن الدولة وأبعده عن بلاد الشام عدة أشهر، على نحو زاد من مطامع الفرنجة في أملاكه.

ثانياً . العلاقات الزنكية مع القوى الأخرى:

1. البيزنطيين:

توجهت سياسة الدولة الزنكية نحو الامبراطورية البيزنطية من خلال جملة دوافع اقتصادية وسياسية واستراتيجية عسكرية. أما الدوافع الاقتصادية تمثلت برغبة نور الدين زنكي في استمرار العلاقات التجارية بين الطرفين، لأن الامبراطورية البيزنطية عدت سوقاً لتصريف بضائع المشرق الإسلامي، التي دخلت الدولة الزنكية طرفاً مهماً في عملية استيرادها وتصديرها من بعد ذلك للقوى الأوروبية ومنها الامبراطورية البيزنطية[5].أما الدوافع السياسية فقد حاول نور الدين زنكي حلّ الخلافات القائمة بين الامبراطورية البيزنطية والإمارات الفرنجية، ولاسيما المشكلة

---

[1]. سيواس: بلدة كبيرة مشهورة، وبها قلعة صغيرة، وبينها وبين قيسارية ستون ميلاً ، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص384.

[2]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص337-338.

[3]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص544.

[4]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص218.

[5]. عوض: الصراع الاسلامي الصليبي، ص188.

الأنطاكية ونظرة البيزنطيين للفرنجة بوصفهم مغتصبين لحقوق السيادة البيزنطية عليها، وساعده على ذلك أن تلك الامبراطورية البيزنطية احتاجت إلى قوته من أجل استمرار الصراع مع الفرنجة والحاق الخسائر بهم[1].

أما الدوافع الاستراتيجية العسكرية لعل أهم ما ساهمت به الامبراطورية البيزنطية ضد الدولة الزنكية، حملة البيزنطيين والفرنجة المشتركة على حلب في سنة 554هـ/1159م، حيث تقدمت القوات المتحالفة وعلى رأسها مانويل كومنين Manwel comanen، وبلدوين الثالثBaldwin III، وعندما علم نور الدين بذلك طلب المساعدة من الأمراء المسلمين القريبين منه فوصلته قوات كبيرة [2]، وعندما وصلت القوات البيزنطية والفرنجة شمال غرب حلب، فجأة قرر الامبراطور البيزنطي مانويل عقد الصلح مع نور الدين[3]. الذي سعى بدوره لهذا الصلح من أجل وقف الخطر العسكري البيزنطي الفرنجي

المشترك مما يؤدي إلى توجيه ضربة ذات خسائر كبيرة للدولة الزنكية على المستوى العسكري والاقتصادي، وتهديد طرق التجارة بين حلب وأنطاكية. مما تقدم فإن الاتفاق بين الطرفين تضمن اطلاق سراح الأسرى الفرنجة والبيزنطيين الذين في سجون الدولة الزنكية[4] .

مما يدعم القول بالاتفاق – لا التحالف – أن المعارك التي حصلت من بعد ذلك بسنوات بين نور الدين زنكي والفرنجة واشتركت فيها الامبراطورية البيزنطية، منها معركة البقيعة في سنة 558هـ/ 1163م ومعركة حارم في سنة559هـ/1164م. ففي المعركة الأولى اشتركت الامبراطورية بقواتها إلى جانب قوات الفرنجة ضد الجيش الزنكي عندما قام بمهاجمة حصن الأكراد التابع لإمارة طرابلس الفرنجة، التي انتهت بهزيمة الزنكيين حيث لم يبق أصحابه على

---

[1]. عبد الحميد، رأفت: بيزنطة بين الدين والفكر والسياسة، القاهرة، 1979م، ص141.

[2]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص357.

[3]. عبيد، اسحق: روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، القاهرة، 1970م، ص222.

[4]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 358؛ رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم، ج2، ص153.

أحد[1]، أما معركة حارم كان لها أهمية خاصة بالنسبة لبيزنطة إذ تعد أخر معركة تشترك فيها القوات البيزنطية على أرض الشام[2].

مما سبق إن العلاقات الزنكية – البيزنطية دخلت في عدة مراحل، فأولاً لم تتدخل عسكرياً ضد نور الدين زنكي وإن أثرت على سياسته الخارجية من حيث عدم قدرته على السيطرة على أنطاكية خوفاً من تدخلها، و المرحلة الثانية حملة البيزنطيين والفرنجة على حلب والتي فضلت فيها الامبراطورية البيزنطية الاتجاه السلمي، أما المرحلة الثالثة فقد تمثلت في العمل العسكري ضده بالمشاركة مع الفرنجة، لتأتي المرحلة الرابعة التي كانت في مقاومة التوسع الزنكي خارج حدود بلاد الشام أي في مصر حفاظاً على سياسة توازن القوى.

2. الفرنج:

عاصر عهد الدولة الزنكية اثنان من أقوى ملوك بيت المقدس هما بلدوين الثالث539 -557هـ/ 1144-1162مBaldwin III، وعموري الأول 557-568هـ/1162-1174م Amory I، وحرصت الدولة الزنكية على مواجهة مملكة بيت المقدس بكافة الوسائل الممكنة، سواء العسكرية أو بالطرق السلمية من خلال عقد الهدنات، ولم تحاول اسقاطها بل أن تتوازن عسكرياً معها، على اعتبار أن التوازن في حد ذاته يمثل مقدمة لمرحلة من شأنها حسم الصراع لصالح المسلمين على حساب الفرنجة. وكانت السياسة الخارجية الزنكية تجاه مملكة بيت المقدس من خلال مجموعة من الدوافع الدينية والاقتصادية والعسكرية، فمن الناحية الدينية جاهد نور الدين ضد الفرنجة من خلال ميله الشخصي للجهاد[3]، ومن الناحية الاقتصادية أدرك الفرنجة أهميتها الكبيرة لاستمرار اتصالهم بأوروبة وحصولهم على الدعم البشري والمالي وكان تصريف قسم مهم من تجارة الدولة الزنكية يتم من خلال موانئ الفرنجة في شرق البحر المتوسط

---

[1]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص343.

[2]. عوض: الصراع الإسلامي الصليبي، ص203.

[3]. حبشي: نور الدين والصليبيون، ص100؛ كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، تر: بدر الدين القاسمي، بيروت، 1972م، ص362.

كذلك أرادت الحفاظ على سلامة الطرق التجارية ومنطقة الجليل الأعلى في شمال فلسطين بوصفها حلقة الوصول إلى الساحل الشامي[1].

أما من الناحية العسكرية حرصت الدولة الزنكية على الاستيلاء على عدد من القلاع والحصون الاستراتيجية، من أجل اضعاف مملكة بيت المقدس عسكرياً ولتأمين حدود الدولة الزنكية. كما شهدت العلاقات بين الدولة الزنكية ومملكة بيت المقدس قيام معركة بانياس في سنة552هـ/ 1157م[2]. حيث اعترف وليم الصوري بأن قيام بلدوين الثالث Baldwin III بهذه الحملة على بانياس، خرقاً للاتفاقية المعقودة مع نور الدين زنكي، وأن الأمر كان أبعد من أن يكون مجداً عسكرياً لمملكة الفرنجة[3]. من جهة أخرى اتبع نور الدين زنكي سياسة التخريب الاقتصادي في موارد الفرنجة، وسعى إلى اسقاط العديد من الحصون التابعة لمملكة بيت المقدس لتجريدها من مصادر قوتها، وفي سنة553هـ/ 1158م، اتجهت القوات الزنكية بقيادة أسد الدين شيركوه إلى صيدا وتمكنت من الحصول على الكثير من الغنائم[4]، كما سيطرت على حصن استراتيجي بالقرب من صيدا عرف بكهف صور، ومن ناحية أخرى هاجم مناطق هونين وخربها[5]، وقد اتبع ملك بيت المقدس بلدوين الثالث السياسة نفسها واستغل فرصة تغيب نور الدين زنكي عن دمشق وهاجمها وخرب مواردها الاقتصادية خاصة الزراعية، في المنطقة الواقعة بين بصرى ودمشق[6]، وعلى الرغم من تلك المعارك شبه المستمرة ، وقعت الاتفاقيات بين الطرفين والتي تراوحت بين العامين والثلاثة أشهر.

هكذا لم يتمكن نور الدين زنكي من اسقاط مملكة بيت المقدس بل كان هدفه توحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة ومصر ضد الفرنجة.

---

[1]. ابن جبير: الرحلة، ص253.

[2]. البحث، ص111-115.

[3]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة ، ج2، ص256.

[4]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص352.

[5]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص324.

[6]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص282.

بعد مقتل عماد الدين زنكي، حاول جوسلين الثاني أمير الرها استرداد إمارته المفقودة في سنة542هـ/ 1147م، بمساعدة العناصر الأرمنية بداخلها[1]. وتمكن من الاستيلاء عليها وإن عجز عن قلعتها نظراً لمناعتها وتجهيزاتها بالمعدات والرجال، وعدم احضاره الآلات الحصار اللازمة لاقتحامها[2]، وأمام ذلك الموقف استعد نور الدين زنكي لإنقاذ الرها وتمكن جيشه من إلحاق الهزيمة بالفرنجة، وأصيب جوسلين نفسه، وقامت القوات النورية بسلب المدينة ونهبها كعقاب لأهلها وتمردهم وغنمت من وراء ذلك الغنائم الكثيرة[3]. وفي سنة 545هـ/ 1150م تمكن نور الدين من أسر جوسلين الثانيJoslen II وأودعه السجن، وأمضى فيه نحو تسع سنوات حتى توفي في سنة 554هـ/ 1159م[4].

أما إمارة أنطاكية فقد تولى حكمها خلال عهد نور الدين زنكي ثلاثة من ألامراء، ريموند دي بواتيه 531-544هـ/ 1136- 1149م Raymond De Potteh الذي طلب مساعدة حملة الفرنجة الثانية ، لكن الحملة توجهت صوب دمشق، تاركة إمارة أنطاكية تواجه صراعاتها مع نور الدين، حيث قامت معركة إنب التي قتل فيها ريموند دي بواتيه وعدد من كبار قادة الفرنجة[5]. أما رينالد دي شاتيون 548-557هـ/ 1153-1162م Renald De Shateon وقد عمل نور الدين على أسره، وتمكن بالفعل من ذلك ومكث في السجن سبعة عشر سنة. وقد تطور الصراع بين الدولة الزنكية وأنطاكية عندما تولى بوهمند الثالثPohmand III عرش الإمارة 558-595هـ/ 1163- 1200م، ولاسيما في معركة حارم في سنة 559هـ/ 1164م، التي اشتركت فيها العديد من القوى لمواجهة نور الدين زنكي منها الفرنجة، البيزنطية، والأرمنية، وقد اغتنم نور الدين فرصة غياب الملك عموري الأول لتنفيذ مشروعه الفرنجي هناك وهاجم أنطاكية[6]، الذي تلقى الدعم من المناطق المجاورة، خاصة من أخويه نصرة الدين وقطب الدين،

---

[1]. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، صّ191؛ النويري: نهاية الأرب، ج26، ص152.

[2]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص158.

[3]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص288؛ ابن الأثير: الكامل، ج11، ص46.

[4]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص210.

[5]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص89-99.

[6]. أبو شامة: الروضتين، ج2، ص329؛ ابن الأثير: الباهر، ص129.

كذلك من زين الدين كوجك حاكم أربيل، وسيف الدين حاكم منبج[1]. وأنزل الجيش الزنكي هزيمة كبيرة بقوات الفرنجة وبلغ عدد القتلى نحو عشرة ألاف[2]، ومن الأسرى ريموند الثالث أمير طرابلس وأمير انطاكية بوهمند الثالث وفي سنة561هـ/ 1165م أطلق نور الدين سراح خصمه لأنه لم يجد خطراً كبيراً من عودته ليحكم إمارته من جديد.

ثانياً . الدولة الأيوبية:

كان المشرق العربي الإسلامي قد قطع مرحلة متقدمة على طريق الوحدة السياسية قبل تأسيس الدولة الأيوبية، وذلك بفضل الجهود التي بذلها كل من عماد الدين زنكي وابنه نور الدين وقد تنازعت على المنطقة آنذاك قوتان رئيسيتان ــ إذا استثنينا قوة الخلافة الفاطمية في مصر التي أخذت بالتداعي، وقوة إمارة أنطاكية وكونتية طرابلس الفرنجيتين، اللتين تلقتا ضربات قاسية من جانب القوى الإسلامية، جعلتهما عاجزتين عن أداء دورهما إلى قوة بيزنطة المنهكة بسبب الصدامات مع سلاجقة الروم.

– **القوة الأولى:** قوة المسلمين المتنامية في بلاد الشام، بعد تحقيق الوحدة فيها على يد نور الدين الزنكي.

– **القوة الثانية** : مملكة بيت المقدس الفرنجية بزعامة عموري الأول، إذ تركز الصراع بينهما حول امتلاك مصر التي أخذت النزاعات الداخلية فيها بعداً إقليمياً في ظل انحلال سلطة الخلافة الفاطمية التي كانت تعاني في أواخر أيامها من الضعف والانحطاط في مختلف المجالات[3].

في ظل الظروف التي كان يعيشها العالم الإسلامي في صراعه مع غزو الفرنجة الطامع سياسياً بتوسيع ممتلكاته في أراضي البلاد الإسلامية، واقتصادياً في السيطرة على أفضل الطرق التجارية في المشرق العربي الإسلامي التي تمر عبر بلاد الشام ومصر، وقع عبء قتال الفرنجة على الأيوبيين فمن هم هؤلاء؟ ومن أين قدموا وما الدور الذي قاموا به في سبيل تحقيق وحدة الجبهة الإسلامية في صراعها مع الفرنجة؟

---

[1]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص143.

[2]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص220.

[3]. طقوش: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ص 15.

ينتسب الأيوبيون إلى أيوب بن شاذي من بلدة دوين [1]، وهم من الأكراد الراوندية، أحد بطون الهذبانية[2] ، غير أن بعض الأيوبيين حاول الابتعاد عن الأصل الكردي والالتصاق بالدم العربي من ناحية الارتباط بأصحاب الأمجاد العالية ، ذلك أن المعز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ملك اليمن 596-611هـ/1099-1214م[3]، ادعى النسب في بني أمية ولكن العادل الأيوبي أنكر أن يكون لبني أيوب نسب يتصل ببني أمية[4]، ولم يكن صلاح الدين الأيوبي أقل من أخيه العادل لهذا الادعاء فقد أنكر ذلك وقال: " ليس لهذا الأصل أصلاً " [5].

يذكر ابن تغري بردي أن أصل نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه من دوين، وهي بلدة صغيرة في بلاد العجم، ثم يستدرك فيقول: " وقيل من الأكراد الراوندية وهي الأصح " [6] لكن المقريزي حسم هذا الموضوع عندما علق على محاولة بعض الأيوبيين الخروج عن دائرة الأصل الكردي بقوله " إنما هي أقوال الفقهاء لهم، ممن أرادوا الحظوة لديهم، لما صار الملك إليهم" [7] .

مما تقدم يمكن **الاستنتاج:** بأن الأيوبيين ليسوا عرباً بالدم والجنس والأصل، ولكنهم عرب باللغة والحضارة والتاريخ والمشاعر، وفوق ذلك كله الإسلام... ساهموا في صنع أحداث التاريخ الإسلامي على مدى أكثر من ثلاثة أرباع القرن في مرحلة تعد من أهم مراحل تاريخ المشرق وحروب الفرنجة.

نشأ صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية وأشهر سلاطينها[8] في كنف أبيه نجم الدين، وتربى في بيئة مهادها العلم والتقى، فدرس القرآن الكريم والحديث والفقه والنحو والتاريخ

---

[1]. دوين: بلدة من نواحي آران تقع في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 232.

[2]. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص119؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص 40؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 17.

[3]. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ف، ج1، ص 453؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص 206؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج16، ص450.

[4]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج3، ص 137؛ الدواداري: الدر المطلوب، ص 6.

[5]. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص 141.

[6]. النجوم الزاهرة، ج6، ص 4.

[7]. الخطط ، ج2، ص 125.

[8]. غنيم: الدولة الأيوبية والصليبيون، ص 15.

واللغة والآداب، فضلاً عن فنون الفروسية والصيد وغيرها من فنون أبناء الطبقة الحاكمة [1]، وفي ذلك يقول البنداري: " كان صلاح الدين في إيوانه، يقف على رأسه ووالده من جلاسه، وقد اقتدى به في جميع ما اتصف به من التُّقى والعفة والنزاهة والنباهة وآداب الملك وأحكام السلطنة، فتلقى منه مبادئ الخيرات ثم جاوز بها في أيامه الغايات " [2]، هذا ويلاحظ أن صلاح الدين لم يشترك في الحروب التي خاضها عمه حتى سنة 559هـ/1163م، وهي السنة التي اختاره فيها عمه ليصحبه في الحملات التي قادها إلى مصر [3].

استطاع صلاح الدين بما امتلكه من مواهب سياسية وقدرات عسكرية، فتح صفحة جديدة في تاريخ المشرق العربي الإسلامي، بشكل عام، وتاريخ مصر بشكل خاص، إذ حصل على منصب الوزارة في الخلافة الفاطمية على الرغم من حداثة سنه الذي لم يتجاوز الثانية والثلاثين، بالإضافة إلى مواجهة العديد من الصعاب التي كانت تهدد مكانته ومنصبه الجديد، ولعل أهمها الخلافة الفاطمية من جهة، وخطر الفرنجة من جهة أخرى، وعلى الرغم من كل ذلك نهض صلاح الدين بأعباء الوزارة بهمة واقتدار واستمال الناس إليه، وعمل على السيطرة على الجند في مصر بشكل تام[4]، وتمكن من استرداد مناطق واسعة من بلاد الشام وقلص نفوذ إمارة أنطاكية إلى حد كبير، وكذلك فعل مع إمارة طرابلس، وتمكن من القضاء النهائي على مملكة بيت المقدس.

حيث أسس صلاح الدين مملكة واسعة الأطراف، وجعل لأبنائه المناطق الكبيرة والحساسة، وجعل لأخوته وأقاربه مناطق الأطراف [5]، فقد أوصى بالسلطنة لابنه الأفضل نور الدين علي، وجعله حاكماً لمنطقة دمشق، كما جعل مصر لابنه الأصغر الملك العزيز عثمان، وأعطى حكم حلب لابنه الظاهر غازي، وكانت منطقة الجزيرة إضافة إلى الكرك من نصيب أخيه الملك العادل وحماة بيد ابن عمه تقي الدين عمر، وحمص في يد حفيد عمه شيركوه [6].

---

[1]. العريني: مصر في عصر الأيوبيين، دار النهضة، القاهرة، 1960م، ص 23-24.

[2]. البنداري: سنا البرق الشامي، ص562-583.

[3]. الحويري: بناء الجبهة الإسلامية، ص 150؛ العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص 25.

[4]. بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص 85.

[5]. زامباور: معجم الأنساب، ص 150-155.

[6]. أبو شامة: الروضتين: ج2، ص 197-198.

لم يكن الأفضل يصلح للزعامة لضعفه وسوء سيرته وانشغاله عن شؤون الرعية بأموره الخاصة[1]، فنبذ أمراء والده ومستشاريه ووضع كل ثقته في ضياء الدين ابن الأثير، وجعله وزيراً له [2]، مما دفع بهؤلاء الأمراء إلى الفرار إلى مصر، حيث التفوا حول أخيه الملك العزيز، وأوغروا صدره على الأفضل في دمشق، وأسفر هذا التحريض عن نزاع بين الأخوين اشترك به أمراء البيت الأيوبي، دام سبع سنوات وانتهى بتوحيد البيت الأيوبي تحت زعامة الملك العادل أخو صلاح الدين.

مما **تقدم:** يمكن القول أن صلاح الدين الأيوبي، بفضل قوة شخصيته والتزامه القوي بالسلوك القويم، وانعكاس ذلك على أفعاله وتصرفاته طيلة حياته، تمكن من القيام بواجباته خير قيام، ونجح في بناء دولة متماسكة البنيان، في مصر والشام والجزيرة، مثلت القاعدة الصلبة التي حققت وحدة المسلمين تحت زعامته، وهي الوحدة التي غرس بذورها عماد الدين زنكي وبلغ بها ابنه نور الدين شأواً بعيداً، ثم جاء صلاح الدين فأتم بناء صرحها.

ثانياً . العلاقة الأيوبية مع الدول والإمارات الإسلامية :

منذ أن وجدت الدول بأبسط أشكالها السياسية، كانت العلاقات والمصالح فيما بينها تشغل الحيز الأكبر من اهتمامها، فهذه العلاقات والمصالح هي التي تحدد توجهات الدولة نحو الدول الأخرى، في كلا حالتي الحرب والسلم، فمنذ القدم تعيش البشرية في احتكاك دائم ومتنوع يشمل جميع المجالات العسكرية والسياسية والحضارية، وعلى هذا الأساس قامت وتطورت إمبراطوريات؛ اندثرت وتلاشت أخرى[3].

كانت علاقات الأيوبيين السياسية بشكل عام موفقة مع معاصريهم، فالعلاقات السياسية هي التي تحدد الحالة العسكرية والسّمة العامة في ذلك العصر – وفي كل العصور – وسوف يتم تتبع علاقات الدولة الأيوبية مع مختلف الدول والإمارات الإسلامية والقوى المعاصرة لها، محاولة الإجابة على سؤال هل استطاعت الدولة الأيوبية التي تجسد فيهما أمل المسلمين في الوقوف في وجه الاحتلال الفرنجي، والحفاظ على جبهة إسلامية موحدة في وجه الغزو الفرنجي؟

---

[1]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 122.

[2]. أبو شامة: الروضتين، ج2، ص 228؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص 390–391.

[3]. الحايك: العلاقات الدولية، ج1، ص23.

1 . الخلافة العباسية:

في بدء الدولة الإسلامية كانت الخلافة ذات سلطان وهيبة وكلمة مسموعة وكان الخليفة يختار الأمراء بنفسه، ووفق معايير من الكفاءة والنسب والأخلاق والمعرفة بأحكام الدين وحسن القيادة، ويقلدهم حكم إقليم أو بلد[1]، ولكن لمّا ضعفت الخلافة ، وهان أمرها وفقد الخليفة ما كان يتمتع به من سلطة، أصبحت مقاليد الأمور في يد غيره من القادة والعناصر الغريبة عن دار الخلافة، فظهر نوع جديد من الإمارة هي إمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار[2]، وقد كانت إمارة صلاح الدين من هذا النوع فبعد أن استقر في مصر وزيراً لآخر الخلفاء الفاطميين (الخليفة العاضد 544–567هـ/1149–1171م)، ونائباً عن نور الدين زنكي الذي أمره بقطع الخطبة للفاطميين، وإعادتها لبني العباس، حيث نفذ هذا سنة 567هـ/1171م وخطب للخليفة العباسي المستضيء 566–577هـ/1170–1180م على منابر مصر[3].

كان أول اختبار للعلاقة بين الدولتين في اليوم الذي هرب فيه عز الدين أقبوري ــ صهر السلطان صلاح الدين ــ من بغداد، وكان عز الدين من الأمراء الذين شاركوا في فتنة قطب الدين قايماز[4]، وطلب السلطان صلاح الدين من الخليفة المستضيء الصفح عنه، فلم يقبل شفاعته، ورد وساطته، وأخفقت محاولات صلاح الدين للصلح بين الخليفة وعز الدين أقبوري[5].

---

[1]. النابلسي، عثمان بن إبراهيم: لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص17–24؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ص51؛ الساحلي: التوجهات السياسية للدولة الأيوبية، ص 111.

[2]. إمارة الاستيلاء: هي التي يعقدها الخليفة مضطراً ، إذا قام الأمير بالاستيلاء على إقليم من الأقاليم وتولى السلطة فيه. وهناك إمارة الاستكفاء: تعرف بإمارة التفويض، وهي التي يعقدها الخليفة لمن يختاره من كبار دولته لإدارة إقليم، تكون صلاحياته مقيدة ومحصورة بالنظر في شؤون الجيش والقضاء وحماية الدين، وتسيير قوافل الحج، وإقامة الحدود وتحصيل موارد الدولة ضمن منطقة إشرافه، الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص41؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص879–880.

[3]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 312؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص58.

[4]. قطب الدين قايماز ت.570هـ/1174م كان أمير بغداد، في خلافة المستنجد ولما حاول الخليفة المستضيء إعادة الوزير عضد الدين، ابن رئيس الرؤساء إلى الوزارة، حاصر قايماز الخليفة وألزمه إخراج عضد الدين من بغداد، ثم سار إليه يحاصره مرة أخرى، ليلقى القبض على ابن المعطار صاحب مخزن الخليفة فاستنجد الخليفة بالعامة، وأباح لهم دم قايماز، وأمواله فهرب من بغداد ومات وهو في طريقه إلى الموصل. ابن الأثير: الكامل، ج9، ص128.

[5]. العماد الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ج3، ص81.

بعد وفاة المستضيء في سنة 575هـ/1179م، خلفه ابنه الناصر لدين الله 553-622هـ/1158-1225م، وقد شهدت العلاقة بين صلاح الدين والخليفة الناصر لدين الله توتراً ملحوظاً، خاصة بعد النصر الذي حققه صلاح الدين على الفرنجة في موقعة حطين الشهيرة في سنة 583هـ/1187م[1]، إذ اختار صلاح الدين الرسول شاباً يعرف بالرشيد البوشنجي لحمل البشرى إلى بغداد، وكان البوشنجي جندياً دفعه الفقر والحاجة إلى الهجرة من بغداد إلى الشام يطلب عطاء السلطان، فاستبقاه ليحمله رسالته إلى الخليفة، بينما جرت العادة إرسال أهم شخصيات الدولة في الأمور الجليلة، وقد قوبل هذا الرسول في بغداد بالاحتقار، فساء أدبه في مخاطبة الخليفة الذي أنكر على السلطان هذا المسلك الشائن، وأرسل يعاتبه على فعله[2].

تطورت العلاقة بين صلاح الدين والخليفة بعد فتح بيت المقدس، الذي كان سبباً لإيقاد نار الفتنة بينهما حيث أخذ الوشاة يقولون للخليفة: " إنه أساء الأدب لإبقاء لقب الملك مضافاً للاسم الشريف الذي هو الإمام الناصر، وأن مقصوده قلب الدولة والاستبداد بها، كما فعل بالمصريين، فإنه يدل بما له من القوة والعساكر وكثرة الممالك" [3]، ففي سنة 577هـ/1181م. أرسل الخليفة الناصر إلى السلطان صلاح الدين يعاتبه فيها على اتخاذ لقب الملك الناصر مع علمه بأن الخليفة اتخذ هذا اللقب لنفسه[4]، وهنا أظهر صلاح الدين مهارة سياسية، وأحسن استقبال رسول الخليفة، وبعث إليه يسترضيه، ويقول له: " وأما النعت الذي أنكر علي، فهذا في عهد الإمام المستضيء بنور الله ـ أمير المؤمنين ـ ولأن كل ما يشرفني به أمير المؤمنين من السمة، فهو اسمي الذي أتشرف به، وما غرضي إلا استكمال الفتوح لأمير المؤمنين، وقطع دابر الكافرين" [5].

لما تولى الملك العادل مُلك مصر والشام، كانت العلاقة مع الخليفة طيبة في أغلب الأوقات وربما السبب في ذلك أن السلطان الملك العادل لم يمتلك قاعدة شعبية صلبة يرتكز

---

[1]. حطين: قرية بين أرسوف وقيسارية على بعد فرسخين من طبرية، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص273، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص 411.

[2]. أبو شامة: الروضتين، ج2، ص 121.

[3]. ابن إياس، محمد بن أحمد: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م، ج1، ص 249.

[4]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 250.

[5]. الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص256.

عليها وتدعم موقفه في مواجهة الخليفة، على العكس من أخيه صلاح الدين الذي كان الخليفة يخشى منه على نفوذه وسلطانه ويصرح ابن إياس بقوله: " أنه لما عظم أمر السلطان صلاح الدين تلاشى أمر خليفة بغداد" [1]. فالعلاقة بين الخليفة الناصر والملك العادل علاقة مودة وتعاون، والدليل على ذلك إرسال العادل إلى الخليفة برسالة يعتذر فيها عن صاحب إربل ويطلب الرضا عنه، فأجيب طلبه[2].

في **النتيجة** يلاحظ بأن تبعية بلاد الشام ومصر للخلافة العباسية كانت اسمية، فقد قام الحكام الأيوبيون وغيرهم[3]، بممارسة الحكم في البلاد وفصلوها فعلياً عن دولة الخلافة، ومع ذلك بقي للخلافة هيبتها المستمدة ـ غالباً من سلطتها الدينية ـ ومن الحاجة لمنح الشرعية للمتصارعين والمغتصبين، وعلى هذا الأساس فقد كانت العلاقات متأرجحة بين ملوك الدولة الأيوبية من جهة، وبين الخلفاء العباسيين من جهة أخرى بتبادل الرسائل وإيفاد الرسل، حاملين أوامر التفويض بالولايات لحكامها الجدد وحلل التشريف لتكريمهم، إضافة إلى أن رسل الخليفة كانوا – في كثير من الأحيان – يحضرون للتوسط بين الملوك، والحكام المتنازعين لحل خلافاتهم.

2 . السلاجقة:

في أواخر القرن الخامس وخلال القرن السادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين تكونت العديد من الأتابكيات، وأصبح ظهورهم عاملاً من العوامل التي أدت إلى نهاية الدولة السلجوقية[4]، وقد كثرت هذه الأتابكيات وانتشرت بعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان في سنة 485هـ/1092م[5]، نتيجة لانقسام السلاجقة على أنفسهم وتصدع الدولة السلجوقية، فاستقل كل أمير بمقاطعته (أتابكيته) وعمل على توسيع منطقة نفوذه على حساب

---

[1] بدائع الزهور، ج1، ص249.

[2]. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص58.

[3]. بقي هناك سلطة اسمية للخليفة على كل الدول والدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية، انطلاقاً من أن الخلافة هي منصب ديني، والخليفة هو إمام المسلمين ومرجعهم الأعلى دينياً وسياسياً. الحايك: العلاقات الدولية، ج1، ص313.

[4]. ابن الأثير: الكامل، ج1، ص160-161.

[5]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 11.

أراضي القوى المجاورة محاولاً ضمها إلى بلاده، حتى أصبحت مظهراً من مظاهر الحكم السلجوقي، وعنصراً مهماً من نظمهم السياسية الاجتماعية[1].

أ . الأتابكة:

ا- الأراتقة في ماردين وآمد:

كانت الإمارة الأرتقية قد انقسمت إلى فرعين الأول في ماردين، التي كانت تتبع ـ على الأغلب ـ سياسة العداء للأيوبيين، حتى أنها كانت ملجأ للأمراء الفارين من السلطة الأيوبية وخاصة الخارجين منهم على الملك الأشرف[2]، ففي سنة 618هـ/1221م على سبيل المثال استقبل أمير ماردين الأرتقي مبارز الدين سنقر الصلاحي[3]، الذي خالف الملك الأشرف وخرج عن طاعته، لكن هذه السياسة العامة المتسمة بالعداء للأيوبيين كانت أحياناً تشهد تراجعاً ملموساً، ففي سنة 618هـ/1221م حصلت مصاهرة بين الملك المعظم عيسى وناصر الدين الأرتقي صاحب ماردين بمباركة الملك الأشرف وإذنه[4]، لكن سرعان ما عادت ماردين لعدائها التقليدي للأيوبيين، إذ نقضت تحالفها وطاعتها للملك الكامل، وتحالف صاحبها آنذاك الملك السعيد إيلغازي مع نجم الدين كيقباذ ملك سلاجقة الروم[5].

في سنة 635هـ/1237م سارعت ماردين للدخول في حلف الشام، الذي ضم ممالك دمشق وحمص، وسلطنة سلاجقة الروم، ومملكة حلب، ضد العادل بن الكامل سلطان مصر ولكن سرعان ما انسحبت من هذا الحلف، وعقد الملك السعيد إيلغازي تحالفاً مع كل من مقدم الخوارزمية علاء الدين الخوارزمي ومظفر الدين كوكبري[6]، واشتركا في الهجوم على آمد التي

---

[1]. الشامي، أحمد: صلاح الدين والصليبيون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1991م، ص8؛ حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، مكتبة بغداد، د. ت، ص94.

[2]. الملك الأشرف: أبو الفتح موسى بن محمد بن أيوب مظفر الدولة 578-635هـ/1182-1237م، ملك الرها والموصل وحران وخلاط، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص330.

[3] . سنقر الصلاحي: مبارز الدين سنقر أو سنقر الكبير، من حجاب دمشق، ومماليك وأمراء السلطان صلاح الدين، توفي في سنة 620هـ/ 1223م، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص221.

[4]. أبو الفدا: المختصر، ج3، ص413؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص239.

[5]. كيقباذ: علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان، كان ملكاً شجاعاً وكريماً، طالت أيام حكمه واتسعت مملكته 616-633هـ/ 1219- 1235م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص383.

[6] . علاء الدين الخوارزمي: هو علاء الدين محمد بن تكش، أصبح سلطان للخوارزمية في سنة 596هـ/ 1200م عرف بلقب قطب الدين، توفي في سنة 616هـ/ 1220م ؛ مظفر الدين كوكبري: ابو سعيد كوكبري=

كانت بيد سلاجقة الروم واحتلوها[1]، مما أدى إلى أن تكون مملكة حلب أكبر المتضررين من الخوارزمية، فاتخذت موقفاً معادياً لماردين، ووجهت حملة عسكرية ضدها في سنة 641هـ/1243م، انتهت بالصلح، وأقطع الملك الناصر يوسف الثاني صاحب حلب[2]، رأس العين لصاحب ماردين[3]، وأرسل النجدات العسكرية إلى ماردين، عندما هاجم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ممتلكاتهما في نصيبين، ودارا، ورأس العين في سنة 646هـ/1248م.

أما الإمارة الأرتقية بفرعها الثاني في آمد، ومعها حصن كيفا، فقد تراوحت السياسة العامة لها بين التقارب مع السلطنة الأيوبية، والعداء لها، حيث أن بداية العلاقات بين الأراتقة والدولة الأيوبية كانت أثناء حملة صلاح الدين الأيوبي على الجزيرة في سنة 578هـ/1182م عندما فتح آمد وسلمها إلى نور الدين بن محمد بن قرا أرسلان الأرتقي صاحب حصن كيفا، وكان ذلك جزء من سياسة الاستقرار التي انتهجها صلاح الدين نحو الجزيرة التي عدها عمقه الاستراتيجي، فهي مصدر المتطوعة للجيش ومكان الإمداد بالجنود، ومزود عظيم لموارد الدولة[4].

عندما تولى الملك مسعود ركن الدين مودود حكم آمد، خرج عن طاعة الأيوبيين في سنة 623هـ/1226م، وتحالف مع كل من جلال الدين منكبرتي، والمعظم عيسى صاحب دمشق، ومظفر الدين كوكبري[5] صاحب إربل.

= ابن علي بن بكتكين، الملك المعظم التركماني549-631هـ/1154-1233م. وكوكبري معناه الذئب الأزرق، وله مواقف مجيدة في الجهاد، وكان موصوفاً بالقوة المفرطة، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص114; الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص376.

[1].المقريزي: السلوك، ج1، ص271.

[2]. الناصر الثاني: أبو المظفر يوسف ابن الملك العزيز ملك الجزيرة الفراتية، ولد في حلب في سنة 627هـ/1230م، وكان مقدم جيش الملك المنصور صاحب حمص، ثم ملك دمشق والبلاد الشامية، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص10.

[3]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص136.

[4]. الحايك: العلاقات الدولية، ج2، ص 256.

[5]. جلال الدين منكبرتي: آخر الملوك من بيت خوارزمشاه وهو أكبر أبناء علاء الدين محمد الثاني، وقد ولاه أبوه على البلاد الغورية التي فتحها بما فيها العاصمة غزنة، حمدان، زهير: جلال الدين منكبرتي، الموسوعة العربية، ج7، ص634؛ المعظم عيسى: أبو الغنائم، عيسى بن أبي بكر محمد الملك العادل، شرف الدين، الملك المعظم 576 - 624هـ/1180-1226م سلطان الشام، ومن علماء الملوك، له دور بارز في قتال الفرنجة، الزركلي: الأعلام ، ج5، ص107.

مما دفع الملك الكامل[1] أن يستأذن الخليفة المستنصر بالله في حصار آمد وأخذها[2]، وفي سنة 629هـ/1231م تحرك الملك الكامل بجيوشه وحاصرها مما دفع أهلها لطلب الأمان[3]، بسبب سوء معاملة صاحب آمد الملك مسعود ركن الدين بن مودود لهم [4]، استسلم المسعود مقابل اقطاع في مصر، واستسلمت آمد وقلعتها[5]، وتَحوَّلَت إلى ولاية أيوبية حكمها الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل حتى سنة 636هـ/1238م، حيث جعل ابنه المعظم تورانشاه نائباً عنه في حكمها وحصن كيفا، إلى أن سقطت بيد عساكر سلاجقة الروم[6].

في **النتيجة** يتبين أن الأراتقة حالفوا الأيوبيين منذ دخولهم إلى الجزيرة الفراتية في آمد التابعة بولائها للسلطنة الأيوبية، وفي ماردين المهادنة والمعادية حسب الظروف، مرة مع السلاجقة ضد السلطنة الأيوبية، ومرة أخرى مع السلطنة الأيوبية ضد سلاجقة الروم، إلى أن قضى السلطان الكامل على حكمهم في آمد واحتلها، عندها أعلنت ماردين العداء السافر، إلى أن وقعت في قبضة المغول في سنة 659هـ/1260م.

2- أتابكة الموصل ودمشق:

بدأت العلاقات السياسية والعسكرية الأيوبية مع أتابكة الموصل وسنجار، أيام صلاح الدين الذي كان يعد وريث وحامل رسالة عماد الدين ونور الدين زنكي في التحرير والتوحيد[7]، فأدرك أتابكة الموصل خطورة قيام صلاح الدين الأيوبي، بتوحيد الجبهة الإسلامية، فانتهزوا فرصة وفاة نور الدين واستقلوا بما تحت أيديهم من أملاك، واتخذوا منه موقفاً عدائياً واستمرت الموصل خارجة عن صفوف الوحدة الإسلامية من سنة 570هـ/1174م حتى 581هـ/1185م.

---

[1]. الملك الكامل: أبو المعالي محمد بن محمد، ناصر الدين 576-635هـ/1180-1237م ابن الملك العادل، ملك مصر والشام واليمن والجزيرة، له مواقف ضد الصليبيين، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص226، الزركلي، الأعلام، ج7، ص 28.

[2]. ابن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري، ص236-237.

[3]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج5، ص523.

[4]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص523، الحايك: العلاقات الدولية، ج1، ص264.

[5]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج5، ص17؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 250.

[6] . الدواداري: الدر المطلوب، ج7، ص232.

[7]. الحايك: العلاقات الدولية، ج1، ص269-270.

اغتنم سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي أتابك الموصل، وفاة نور الدين واستولى على حران ونصيبين والرها وسروج والرقة[1]، محاولاً الاستقلال بتلك الممتلكات، و بذلك بدأ التفكك والانقسام يعم دولة نور الدين زنكي[2]، وعندما خرج صلاح الدين الأيوبي، من مصر متوجهاً نحو الشام، من أجل إعادة توحيد دولة نور الدين، وجد سيف الدين غازي أنه من الضرورة الاعتماد على قوى أخرى لمجابهة صلاح الدين، فتحالف مع الخارجين عليه في حلب وبذلك وقف أهالي الموصل وحلب ضد محاولات صلاح الدين لتوحيد الجبهة الإسلامية[3].

اتسمت العلاقات بين الطرفين بالعداء المستمر والتصادم مما جعل كلاً منهما يتوجه لعقد تحالف مع الفرنجة ضد الآخر، حيث أرسل سيف الدين غازي إلى ريموند الثالث [4]، يطلب معونته ومؤازرته، لكن يبدو أن صلاح الدين سارع في عقد اتفاق مع ريموند الثالث، تعهد بمقتضاه عدم الاعتداء على صلاح الدين، مقابل تسليم صلاح الدين للأسرى الفرنجة الذين كانوا لديه.

استطاع صلاح الدين ضم الموصل في سنة 581هـ/1185م، وأصبح عز الدين مسعود نائباً له في الموصل[5]، وبذلك تمكن من إعادة توحيد الجبهة الإسلامية ولاشك أن عداء الموصل وحلب لصلاح الدين أعاق محاربة الفرنجة، وكان ذلك بطبيعة الحال في صالحهم. استمرت الدولة الأتابكية في صراعها السياسي بل والعسكري في بعض الأحيان، ما أدى إلى ضعفها وانقسامها[6].

---

[1] . سروج: قرية قريبة من حران، من ديار مضر بأرض الجزيرة، البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص37؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 334؛ الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 58.

[2]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص 407؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 6.

[3]. الجميلي: دولة الأتابكة، ص117-118.

[4]. ريموند الثالث: ريموند دي سانت جيل أكبر الأمراء بجنوب فرنسا، حكم كونتية تولوز وماركيزية بروفانس، وكان أكثر قادة الفرنجة مالاً، شارك في كثير من الحروب الصليبية ضد المسلمين في الشرق، حيث كان الوصي على عرش مملكة بيت المقدس.

Setton: The History of the crasades. P 21.

[5]. أبو الفداء: المختصر، ج3، ص73.

[6]. غانم، حامد زيان: الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، 1983، ص271.

بعد وفاة صلاح الدين، كان أول احتكاك عسكري بين الأيوبيين وأتابكة الموصل وسنجار في عهد العادل كبير البيت الأيوبي، حيث تشكل حلف سياسي عسكري ، بين عز الدين مسعود صاحب الموصل، وأخيه عماد الدين الثاني صاحب سنجار ضد الأيوبيين[1]، وسارت قوات التحالف قاصدة الرها أكبر بلدان الجزيرة وأرسلوا للعادل بقولهم: " أن أخرج من بلادنا " [2] فالبلاد ـ في اعتقادهم ـ هي مُلك لجدهم عماد الدين زنكي ولهم الحق فيها، وما صلاح الدين إلا مغتصب لإرثهم الشرعي، فاستنجد العادل بعساكر كل من الملك الظاهر[3]، حاكم حلب، والملك الأفضل[4]، حاكم دمشق، وعلى الرغم من أن النجدات وصلته [5].

فقد طلب العادل الصلح، على أن تكون البلاد الجزرية والرها والرقة وما معها بيده على سبيل الإقطاع من عز الدين الذي لم يجبه إلى ذلك[6]، ومن الملاحظ أن عماد الدين صاحب سنجار قرر الصلح مع العادل، والسبب ربما يكون مرض أخيه عز الدين مسعود، الذي جعله يفكر في مشاكل البيت الأتابكي أو لأنه كان مسالماً في طبعه، يُؤثر السلامة ولم يضيِّع العادل الفرصة فتحرك نحو الرقة وتسلمها وأعطاها إلى ابن أخيه الظافر، ومعها سروج التي كانت لعماد الدين صاحب سنجار[7]، ثم استولى العادل على حوض الخابور[8]، وقدمه إقطاعاً للملوك الأيوبيين المرافقين له مثل صاحب حماة وحمص[9].

---

[1]. ابن الأثير: الكامل، ج9، ص227؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج3، ص16.

[2]. أبو شامة: الروضتين، ج4، ص312.

[3]. الملك الظاهر: أبو منصور غازي بن يوسف بن أيوب، غياث الدين 568-613هـ/1173-1216م وهو ثالث أبناء صلاح الدين كان حازماً، مهيباً، شجاعاً، شهد مع أبيه معظم معاركه ضد الفرنجة، ولاه أبوه حلب، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص 579.

[4]. الملك الأفضل: أبو الحسن، علي بن يوسف بن أيوب، نور الدين 565-622هـ/1171-1225م مولده بمصر، شارك أباه في حروبه ضد الفرنجة، وكان أديباً وشاعراً، ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص108؛ الصفدي: أمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، منشورات المعجم العربي، دمشق، 1955م، ص58؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص101.

[5]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص601.

[6]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص226.

[7]. خليل: الإمارات الأرتقية، ص81.

[8]. الحنبلي: شفاء القلوب، ص203.

[9]. ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص58-59.

مما **تقدم** تبين أنه ونتيجة لعدم ظهور شخصيات قوية، ولكثرة الخلافات، وطمع الأخوة وأبناء العم بممتلكات بعضهم البعض، زال الحكم الأتابكي من الموصل وسنجار، بعد أن فقد الأتابكة الأمل باسترداد الشام، التي كانوا يعدونها ميراثهم الشرعي من نور الدين زنكي، وبعد وفاة صلاح الدين حاولوا الانقضاض على أخيه ووريثه في الجزيرة الملك العادل، لكنهم عادوا وخضعوا له ولابنه الأشرف فيما بعد، صحيح أن دولة الأتابكة الزنكيين عاصرت الدولة الأيوبية لكنها لم تكن تشكل أي خطر يهدد وجودها، ولعل السبب في ذلك أن هذه الدولة من البداية نشأت منقسمة، متحاربة، فسارت من ضعف إلى ضعف، حتى استولى عليها مملوك لهم هو بدر الدين لؤلؤ في سنة 631هـ/ 1233م[1].

ب سلاجقة الروم:

اندفعت إثر معركة ملاذكر في سنة463هـ/ 1070م أعداداً كبيرة من قبائل التركمان وتوغلت داخل آسية الصغرى، واستطاع سليمان بن قتلمش[2]، وهو من أفراد الأسرة السلجوقية أن يحتل مدينة نيقية[3]، واتخذ منها مركزاً لدولة تركمانية جديدة عرفت باسم دولة سلاجقة الروم[4].

خلال تاريخها الطويل 470-700هـ/1077-1300م، كان بين دولة سلاجقة الروم وبين كثير من الدول التي عاصرتها صراع ومنافسة غير أن صراعهما مع الأيوبيين، اشتد كثيراً خاصة عندما بدأ الأيوبيون يمدون نفوذهم إلى شمال الشام وأعالي الجزيرة، وقد اتخذ هذا الصراع أشكالاً مختلفة، ونتيجة هذا الصراع لم يتردد سلاجقة الروم عن التحالف مع الفرنجة أنفسهم[5]، يؤكد ذلك ما حدث زمن صلاح الدين الأيوبي عندما خشي سلطان سلاجقة الروم قليج أرسلان

---

[1]. بدر الدين لؤلؤ: الأتابك لؤلؤ بن عبد الله أبو الفضائل بدر الدين الملقب بالملك الرحيم وبالملك المسعود صاحب الموصل، ومؤسس الدولة الأتابكية الثانية فيها، مملوك الأتابك زنكي في الموصل نور الدين زنكي حيث اشتراه ورباه في كنفه، وتقدم في المراتب حتى غلب على شؤون الموصل، ناجي، زهير محمد: بدر الدين لؤلؤ، الموسوعة العربية، ج17، ص214-215.

[2] . سليمان بن قتلمش: ابن اسرائيل بن يبغو بن سلجوق ملك الروم، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص122.

[3] . نيقية: من أعمال القسطنطينية، بينها وبين عمورية ثمانية أيام. الحميري، عبد المنعم: الروض المعطار، ص589.

[4] . زكار، سهيل؛ بيطار، أمينة: تاريخ الدولة العربية في المشرق، ص 253.

[5]. غانم: الصراع السياسي والعسكري، ص117.

الثاني 551-588هـ/1156-1192م، من اتساع أملاك ونفوذ صلاح الدين الأيوبي حتى يصل إليه، لذلك رحب بالتحالف مع أعدائه من الفرنجة[1].

لقد شغل الملك الأفضل دوراً بارزاً في أحداث الحقبة التاريخية التي أعقبت وفاة والده وبخاصة في العلاقة بين الدولتين، دفاعاً عن مصالحه الشخصية وأطماعه أولاً، وحرباً وانتقاماً من عمه الملك العادل ثانياً، فلم يبقَ في يديه من الممالك إلا سميساط[2]، بعد أن أخرجه عمه الملك العادل من مصر ودمشق وانتزع منه رأس العين وسروج وقلعة النجم[3]، وكان لابد للأفضل من البحث عن حليف قوي، فلم يجد أمامه إلا سليمان بن قليج أرسلان[4]، فقطع الخطبة لعمه، وخطب لسليمان وانتسب إليه، ويعود سبب العداء بين الملك العادل، وسليمان إلى سيطرته على ملطية[5]، وطرد أخاه معز الدين قيصر شاه عنها في سنة 579هـ/1183م.

بقي الأفضل على ولائه للسلاجقة وعدائه لعمه، إلى أن ظهر غدرهم، وذلك عندما مات الملك الظاهر صاحب حلب، إذ طمع كيكاوس[6]، في الاستيلاء على حلب، وضمها إلى أملاكه، فكتب إليه يستدعيه واتفقا على أن تكون البلاد التي يفتحوها قسمة بينهما على أن حلب وأعمالها للأفضل، وحران والرها وغيرهما من ممتلكات الأشرف لكيكاوس، فاستطاع الأفضل السيطرة على رعبان وتل باشر[7] فطمع بها كيكاوس، ولما أحس الأفضل بالغدر راجع نفسه، لكي لا يكون عاملاً من عوامل إضعاف المسلمين في مواجهة الفرنجة، الذين وصلوا إلى دمياط

---

[1] . Stevenson: The Crusaders in the East, P246.

[2]. سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم غربي الفرات، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص258.

[3]. قلعة نجم: قلعة حصينة على الفرات، بينها وبين منبج أربع فراسخ، الحموي: معجم البلدان، ج4، ص391.

[4]. سليمان بن قليج أرسلان: هو أبو داود وسليمان بن قلج أرسلان ت.600هـ/1203م، كان أبوه قد ولاه دوقاط ـ أوتوقات ـ بين قونية وسيواس، وهي قلعة حصينة، وبلاد واسعة في أرض الروم، ولكنه طمع في بلاد أخوته، فأخذها منهم جميعاً . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج15، ص421.

[5]. ملطية: ثغر في بلاد الروم ، تتاخم الشام، وهي للمسلمين منذ بنائها في سنة 140هـ/757م بأمر من أبو جعفر المنصور. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص192. وزعم البغدادي أنها من بناء الإسكندر، وجامعها من بناء الصحابة، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج3، ص130.

[6]. كيكاوس: عز الدين بن كيخسرو، الملك الغالب ت.615هـ/1218م، كان جباراً ظالماً، سفاكاً للدماء، مات فجأة، وهو سكران، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص137؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص269.

[7]. رعبان: مدينة في الثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص51؛ تل باشر: قلعة حصينة في شمال حلب، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص40.

واستولوا عليها وأرسل الملك العادل معظم الجيش لنجدة ابنه الكامل في مصر، فعاد الأفضل إلى سميساط، وبقي فيها ولم يطلب بعدها ملكاً إلى أن مات.

أما مدينة أنطاكية فقد شغلت دوراً بارزاً في العلاقات السياسية والحربية بين الدولتين السلجوقية والأيوبية، ففي سنة 612هـ/1215م، استولى الفرنجة عليها، كانت من أملاك كيكاوس، وقتلوا من بها من المسلمين، ثم استعادها منهم، لتقع مرة أخرى في يد ـ ملك الأرمن النصراني (ابن لاون[1])، الذي أراد الاحتفاظ بها، فأحسن معاملة أهلها، وأطلق سراح أسرى المسلمين بها، وأرسلهم إلى حلب، ووقَّع الصلح بينه وبين الملك الظاهر (صاحب حلب) فما كان من كيكاوس إلا أن هاجم بلاد الأرمن واستولى فيها على قلعة حصينة تدعى لؤلؤة[2].

تجدد الصراع بين سلاجقة الروم والأيوبيين في سنة 616هـ/1219م، عندما طمع كيقباذ في الاستيلاء على خلاط[3]، والرها وحران وهي من أملاك الأيوبيين، لكن الملك الكامل رفض الاستسلام لسلطان سلاجقة الروم كيقباذ، وطلب من ملوك البيت الأيوبي الوقوف إلى جانبه ضد أطماع كيقباذ، لكن ملوك بني أيوب تخوفوا من ازدياد نفوذ الملك الكامل إذا استطاع القضاء على مملكة سلاجقة الروم، لذلك راسلوا كيقباذ خفية، واتفقوا على الوقوف بجانبه ضد الملك الكامل، الذي انسحب على الفور تاركاً الرها وحران تسقط في يد كيقباذ في سنة 632هـ/1234م[4].

هكذا تراوحت العلاقات بين الأيوبيين وسلاجقة الروم، بين التعاون المثمر تارةً والعداء الشديد تارةً وفقاً لتطور الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة، فهي الجار المباشر لهم، وقد بدأت تلك العلاقات بمحاولة السلاجقة احتلال حلب، وانتهت بمعاهدات ومساعدات عسكرية ومصاهرات بينهما أماعلاقة السلاجقة ببقية الممالك الأيوبية فقد بدأت عدائية، حيث تم تبادل الهجمات العسكرية، بعد ذلك تحسنت العلاقات بين السلاجقة والأيوبيين بحيث تطورت للتحالف ضد الخطر الخوارزمي.

---

[1]. ابن لاون: هو لافون بن اصطفانة بن لاون، الذي كان أول ملوك أرمينية الصغرى وهو ليون الأول، تحريفاً للاسم أطلق العرب المسلمون أسماء لاون ــ وليفون ــ ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 320.

[2]. لؤلؤة: قلعة حصينة قرب طرسوس. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص26.

[3]. خلاط: قصبة أرمينية الوسطى، مدينة شهيرة، كثيرة الخيرات، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص380؛ الحميري: الروض المعطار، ص220؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص824.

[4]. غانم: الصراع السياسي والعسكري، ص120.

3 . الخوارزمية:

بدأت العلاقات السياسية بين الدولتين الخوارزمية والأيوبية في سنة 615هـ/ 1218م وقد اتسعت دائرة الصراع بين أبناء البيت الأيوبي وانقسامه بعد وفاة الملك العادل فشجع ذلك جلال الدين منكبرتي بالتوجه نحو الجزيرة، لما لمسه من ضعف القوى الأيوبية فيها وتفرق كلمتهم، ومحالفة المعظم صاحب دمشق له ضد أخويه الكامل والأشرف، بالإضافة إلى وجود أمراء فيها، كاتبوه، وطالعوه مثل صاحب سر ماري[1]، وصاحب أرزن الروم[2]، اللذين قدما له النجدات العسكرية وأمداه بما يلزم من المعدات والمؤن[3].

تدهورت الأمور وسنحت الفرصة للسلطان جلال الدين بمهاجمة ممتلكات الأشرف، وقرر مهاجمة خلاط، لرغبته في ضمها لممتلكاته، ولإيعاز المعظم عيسى له بذلك، ورغم الدفاع المستميت الذي قام به أهل خلاط ونائبها حسام الدين علي[4]، هاجمها جلال الدين وقاتل أهلها قتالاً شديداً، ومد جنوده أيديهم في النهب والسلب وسبي الحريم. لم ينقذ أهل خلاط من هذا الهجوم غير دخول الشتاء، ونزول الثلج بكثرة، واعتداء التركمان على الممتلكات الخوارزمية في أذربيجان. مع كل ذلك أصر جلال الدين على مهاجمة خلاط، لذلك تحركت قواته في سنة 626هـ/1228م، وقاموا بحصار المدينة طوال الشتاء، ومع تساقط الثلوج، ومقاومة أهلها لهذا الحصار. " فإن الناس أكلوا الغنم ثم البقر، ثم الجواميس ثم الخيل، ثم الحمير، ثم البغال، والكلاب، والسنانير وأصبحوا يصطادون الفأر ويأكلونه [5] "، استمروا يقاومون حتى تمكن من فتحها عنوة في سنة 627هـ/1229م.

---

[1]. سرماري: قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط، مشهورة ومذكورة، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص215.

[2]. أرزن الروم: مدينة من بلاد أرمينية، اتخذها السلاجقة عاصمة لهم، سماها العرب أرزن الروم وأرزوم، أو أرض الروم، وقد عرفها الأرمن باسم كرن Karin . ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ص754.

[3]. الجويني، عطا ملك: تاريخ فاتح العالم، تر: محمد ألتونجي، دار الملاح، حلب، 1985م، ج2، ص84؛ ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص83.

[4]. حسام الدين علي: هو حسام الدين بن حماد من أهل الموصل، اتصل بخدمة السلطان الأشرف، كان نائب الأشرف على خلاط، ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص655؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص188.

[5]. ابن الأثير: الكامل، ج9، ص380.

كان بداية النهاية بالنسبة لجلال الدين منكبرتي، عندما بدأ التحالف بين أفراد البيت الأيوبي بزعامة الأشرف صاحب خلاط، وعلاء الدين كيقباذ سلطان سلاجقة الروم، ودارت المعركة بين الطرفين، ومضى جلال الدين مهزوماً هو وعسكره لا يلوي الأخ على أخيه وتفرق أصحابه أما صاحب أرزن، فقام بتسليم ممتلكاته إلى علاء الدين كيقباذ، وبقي معتقلاً إلى أن مات في معتقله[1]، بعد ذلك توجه الأشرف إلى سنجار، ومنها إلى دمشق، وأقام جلال الدين في أذربيجان حتى هجوم المغول عليه في سنة 628هـ/ 1230م، وعندما كان معسكراً في أطراف آمد هاجم المغول جلال الدين ليلاً، فهرب في نفر يسير من أصحابه، ونهب المغول المعسكر وقتلوا من ظفروا به، والباقي ولّوا منهزمين[2]، وسار جلال الدين هارباً باتجاه ميافارقين[3]، فوصل إلى قرية صادفه فيها رجل كردي، فقتله انتقاماً لمقتل أبيه وأخيه من قبل عسكر جلال الدين[4].

بعد مقتل جلال الدين واستيلاء المغول على معظم أراضي الجزيرة وأرمينية وخلاط تشتت القوات الخوارزمية تحولوا إلى جنود مرتزقة لمن يدفع أكثر إلى جانب أنهم حاولوا أن يجدوا وسط الفوضى السياسية، منفذاً يحققون به أحلامهم الضائعة ويعوضون مجد دولتهم الزائل فاتجهوا إلى خدمة الأيوبيين.

انفتح الطريق أمام الخوارزمية حيث استخدمهم الصالح نجم الدين أيوب، للتوغل في بلدان العالم الإسلامي بدءاً من البلاد الجزرية، ثم توجهوا صوب حلب والمناطق المحيطة بها مثل تل باشر بزاعة ومنبج التي اعتصم أهلها بسور المدينة، لكنهم تمكنوا من دخولها ووضعوا السيف في أهلها وقتلوا منها ما لا يحصى عدده وارتكبوا الفواحش بالنساء في جامع المدينة علانية وغنموا أموالاً عظيمة وعادوا [5]، بعد انجاز الخوارزمية هذه الخدمات للصالح نجم الدين أيوب، منعهم من دخول دمشق، لأنهم كانوا يظنون إذا دخلوها فستكون مناصفة بينهم وبينه، لذلك قرر الخوارزمية الخروج على الصالح نجم الدين أيوب، واتجهوا إلى دمشق لحصارها في سنة

---

[1]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص321.

[2]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص321؛ النسوي: سيرة جلال الدين، ص378.

[3]. ميافارقين: مدينة من بلاد الجزيرة بديار بكر. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص273؛ أبو الفداء: تقويم البلدان: ص379.

[4]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص321؛ النسوي: سيرة جلال الدين، ص382.

[5]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج3، ص253؛ أبو الفدا: المختصر، ج3، ص167.

643هـ/1245، وضرورة تكوين حلف ضده، فراسلوا أمير غزة[1]، ركن الدين بيبرس[2]، الذي كان من أكبر أمراء الصالح نجم الدين أيوب على أن يكون معهم يداً واحدة ويزوجوه امرأة منهم[3]، كما أنهم قاموا بالاتصال بالملك الناصر داوود صاحب الكرك[4]، لأن أمه كانت من الخوارزمية، كما أنه تزوج هو الآخر منهم[5]، وراسلوا أيضاً الصالح إسماعيل عم الملك الصالح نجم الدين أيوب. اتفق الجميع على محاربة السلطان نجم الدين أيوب، وعندما وصلت أخبار هذا التحالف إلى مسامعه، استدعى ركن الدين بيبرس إليه، فقام باعتقاله، وبذلك انفرطت أول حبة في العقد [6]. توجه الحلف الخوارزمي الأيوبي تجاه دمشق، وهاجموها هجوماً عنيفاً، وأطالوا حصارها فاشتد بها الغلاء، فأدى الأمر إلى هلاك الكثير من الأهالي من الجوع وانتشار الأوبئة، نتيجة الجثث المترامية في الشوارع [7].

لقد وصف ابن واصل الحالة الاقتصادية بقوله: " إن إنساناً كان له دار تساوي عشرة آلاف درهم، عَرضَهُ للبيع، فلم يزيد بيعه عن ألف وخمسمائة درهم، فاشترى بها غرارة [8]، واحدة

---

[1]. غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. الحموي: معجم البلدان ج4، ص229؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص239.

[2]. ركن الدين بيبرس: البندقداري الصالحي، أحد مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب الأخصّاء، كان معه في حبس الكرك، ولما تسلطن أيوب قدّمه على الجيش في معركة غزة. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج6، ص322؛ أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ج3، ص184.

[3]. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج6، ص324.

[4]. الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، في جبالها، بين إيلة وبحر القلزم، وبيت المقدس، ج4، ص514.

[5]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج5، ص350.

[6]. أرسل الصالح نجم الدين أيوب القاضي نجم الدين محمد بن سالم النابلسي المعروف باسم القاضي النابلسي، إلى مملوكه ركن الدين بيبرس، وقدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقلعة الجبل، المقريزي: السلوك، ج1، ص323.

[7]. الصفدي: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992م، ج2، ص130.

[8]. غرارة: مكيال يستخدم لكيل الحبوب ، وخاصة الحنطة وتساوي 12 كيلاً أو 72 مد، والغرارة الواحدة مد ونصف تساوي ثلاثة أرادب، والأردب يزن96.6كغ من القمح او حوالي 90 ليتر من الماء، فأن الغرارة تزن حوالي 204.5 كغ من القمح أو 265 ليتر من الماء، عامر، محمود علي: المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني، ابن حيان، دمشق، 1979م، ص31–32.هنتس، فالتر: المكاييل والاوزان العربية والإسلامية، تر: كامل العسلي، عمان، 1970م، ص64.

من القمح، فقامت عليه، غرارة القمح، بعشرة آلاف درهم، وأخبرنا أيضاً بأن شخصاً مات في السجن فأُكِلَ لحمه" [1].

فكر الملك الصالح نجم الدين أيوب في ضرورة اللجوء إلى الحيلة وجذب العناصر الأيوبية المتناحرة، فاتصل بالمنصور[2]، صاحب حمص والناصر الثاني صاحب حلب، حتى نجح في ضمهما إليه، فاجتمعت هذه الجيوش مع جيش الصالح نجم الدين أيوب، وقرروا الاتجاه صوب دمشق، وعندما علم الخوارزمية وحلفهم الأيوبي بذلك، رفعوا الحصار عن دمشق[3]، وتم اللقاء بينهم وبين حلف الصالح نجم الدين أيوب عند منطقة القصب[4]، وفيها هزم جنود الخوارزمية وحلفهم الأيوبي وتشتت شملهم بعد هذه الواقعة، في الأراضي الإسلامية ضد الفرنجة والمغول.

مما تقدم **يُستخلص:** أن الخوارزمية ساهموا في تصدع الجبهة الإسلامية، وتغذية الشقاق والنزاع بين أفراد البيت الأيوبي، كحلفاء مرة وأعداء مرة أخرى، عندما تحالف الملك المعظم بن العادل مع جلال الدين منكبرتي سلطان الخوارزمية ضد أخويه، وانعكس ذلك على العلاقات الأيوبية مع الخليفة العباسي، الذي كان في حرب مع جلال الدين مما جعل الخليفة يتدخل مع المعظم لمنع تحالفه مع عدوه جلال الدين، وجعل الكامل يرد على هذا الحلف بالتحالف، مع الإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة[5]، هذا التحالف؛ الذي نتج

---

[1]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج5، ص353.

[2]. الملك المنصور: ابراهيم بن شيركوه بن محمد بن شادي، كان مجاهداً شجاعاً مقداماً ، توفي في سنة 644هـ/1246م، ابن تغري بردي الأتابكي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د. ت، ج1، ص83.

[3]. المقريزي: السلوك، ج1، ص323.

[4]. القصب: هي منطقة قبلي حمص وتسمى الأن عين التنور، وهي عدة عيون ماء، تشكل بحيرة صغيرة ينمو عليها القصب بكثرة، تبعد حوالي 1 كم جنوب بحيرة حمص، المقريزي: السلوك، ج1، ص323؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج5، ص353; ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص325.

[5]. فردريك الثاني: ملك ألمانيا 608. 648هـ/1211–1250م، وقيصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة 617هـ–648هـ/1220–1250م،وملك القدس والصقيليتين 626–648هـ/1228–1250م، ولد في مدينة إيزي الإيطالية، وهو حفيد فردريك بربروسا، تشكلت بقيادته الحملة الفرنجية السادسة وانطلقت إلى الشرق في سنة 625هـ/1227م، الاحمد، محمد: فردريك الثاني، الموسوعة العربية، ج14، ص403–405.

عنه انتكاسة كبرى في سياسة الجهاد الأيوبية انتهى بتسليم الملك الكامل مدينة القدس إلى فردريك.

4 . الإسماعيلية:

امتد نشاط الإسماعيلية إلى بلاد الشام، فازدادت الفوضى والاضطرابات فيها وأضاف هذا، عاملاً جديداً من عوامل الصراع والتنافس داخلها، خاصة بعد أن قبض صلاح الدين على زمام الأمور في مصر، وأسقط الخلافة الفاطمية في سنة 567هـ/1171م، وأزال شعائرها مما شكل تهديداً لكيانهم، وأغضبهم فانضموا إلى عموري الأول 558هـ/ 1162م ملك مملكة بيت المقدس، للوقوف أمام خطر صلاح الدين عليهم [1]، وقرروا التخلص منه بعدة محاولات غير موفقة عن طريق الاغتيال، كان أولها في سنة 570هـ/1174، والثانية في سنة 571هـ/1175م. الأمر الذي دفع صلاح الدين إلى وضع حد لخطرها في بلاد الشام، فجهز في سنة 572هـ/1176م حملة، وهاجم حصونهم، وتمكن جنده من حصار بعضها، وضربها بالمنجنيق ثم دخلوها وقتلوا من بداخلها وخربوها [2]، لكن استعصت عليه قلعة مصياف التي قاومت الحصار لمدة أسبوع، ثم حدث أن تفاهم الطرفان على إحلال الصلح بينهما[3].

بعد إبرام هذا الصلح، لم تشر المصادر التاريخية، إلى أي احتكاك بين الطرفين، ولكن انفرد ابن الأثير في رواية تشير إلى تعاونهما، وذلك عندما طلب صلاح الدين من رشيد الدين سنان قتل ريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا قائد الحملة الصليبية الثالثة، وكونراد مونتيفرات صاحب صور[4]، مقابل الأموال، فخشي سنان أن يتخلص صلاح الدين من أعدائه، فيتفرغ للإسماعيلية، ويقضي عليهم، فاكتفى بقتل كونراد وعدل عن قتل ريتشارد[5].

---

[1]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص249؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص62.

[2]. ابن الأثير: الكامل، ج9، ص423–424.

[3]. العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص218.

[4]. كونراد مونتيفرات: ابن المركيز مونتيفرات، كان مقيماً بالقسطنطينية، غير أنه تورط بجريمة قتل مع جماعة من الفرسان الفرنج، ولم يكن يعلم شيئاً عن الكوارث التي نزلت بالفرنج في فلسطين، ابن الأثير: الكامل، ج11، ص24.

[5]. ابن الأثير: الكامل، ج1، ص105–106.

على الرغم من كل ذلك استمر نشاطهم في بلاد الشام، إلى أن تمكن المماليك من القضاء على نفوذهم تماماً والاستيلاء على معاقلهم[1]، في سنة 572هـ/ 1176م، بذلك انتهى دور الإسماعيلية الذين شغلوا دوراً متميزاً، في تاريخ المشرق الإسلامي، في عصر حروب الفرنجة.

رابعاً : العلاقات الأيوبية مع القوى الأخرى:

1. المغول:

كان للصراع الدائر في منطقة إقليم الجزيرة بين الملوك والأمراء المحليين، وقيام الحروب المتواصلة وتفاقم الخلافات، وتفتيت وحدة البلاد الإسلامية، الأثر الكبير في تمهيد الطريق أمام المغول لشن هجماتهم على الديار الإسلامية في سنة 628هـ/ 1230م بعد قضائهم على جلال الدين منكبرتي.

كانت بلاد الشام آنذاك، تحت سيادة ثلاث قوى هي: أمراء الفرنجة في الساحل والقدس، الأرمن في كيليكية، والمسلمين المتمثلين بالملوك والأمراء الأيوبيين والذين حكموا في مدن ميافارقين، وحصن كيفا والكرك، حلب، حمص، حماة، ودمشق. إلا أنهم كانوا متفرقين ومتنافسين، وكل أمير يعمل لمصلحته مستقلاً عن الآخر، مما أضعف قوتهم أمام المغول.

كان الناصر يوسف الثاني صاحب دمشق وحلب، أقوى الأمراء الأيوبيين، وقد خاف من التقدم المغولي – بعد أن أُسقطت بغداد بأيديهم – ومن أن هولاكو وجنوده سوف يستولون على بلاد الشام لأن هذا البلد لن يجد من يحميه من المغول أو مماليك مصر، لذلك رفض تقديم المساعدة للكامل محمد صاحب ميافارقين، بناء على طلبه لمقاومة المغول، كما أرسل ابنه العزيز محمد إلى هولاكو، بالهدايا والتحف، مقدماً الخضوع والولاء، ويطلب منه مساعدة عسكرية لاستعادة مصر من أيدي المماليك. شك هولاكو في ولاء الناصر يوسف، لذلك أرسل إليه رسالة يأمره فيها بضرورة المجيء وتقديم الخضوع دون قيد أو شرط [2]، لكن الناصر لم يكن مستعداً لأن يرتبط، بعهد وثيق مع المغول.

في سنة 657هـ/1258م، قاد هولاكو جيشه للاستيلاء على بلاد الشام، فسقطت في يده معظم أراضي الجزيرة ، ثم اتجه إلى حلب وسيطر عليها واعتصمت حامية المدينة في القلعة

---

[1]. المقريزي: السلوك، ج1، ص557.

[2]. ابن العبري، غريغورس الملطي، تاريخ مختصر الدول، دار الشرق، بيروت، 1986م، ص 314؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص219.

بقيادة الملك المعظم توارنشاه بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ورفضت التسليم للجيش المغولي، فتم اقتحامها في سنة 658هـ/1259م [1].

لمّا تقدَّم المغول إلى دمشق كان المدافعون عنها قد هجروها، ولم يحاول الناصر يوسف أن يحمي المدنية، فقرر سكانها تسليم مدينتهم لهولاكو، وفعلاً دخلها في سنة 658هـ/1259م دون إراقة دماء، لكن القلعة استعصت على الجنود المغول وقاومتهم، فاقتحموها عنوة وهدموها في شهر جمادى الأول/أيار[2]، وعلى هذا الشكل انتهى حكم الأيوبيين في بلاد الشام وإقليم الجزيرة.

2. البيزنطيين:

بدأت العلاقات ـ البيزنطية الأيوبية ـ عندما تولى الإمبراطور أندرونكيوس كومنينAndronecose Comanen عرش الإمبراطورية البيزنطية في سنة 578هـ/1182م، وأقام علاقات قوية مع السلطان صلاح الدين، بهدف المحافظة على مصالحهما المشتركة والمتمثلة بمقاومة الفرنجة بشكل عام وسلاجقة الروم في آسية الصغرى بشكل خاص، وقد وضع أندرونيكوس أساساً لهذه العلاقة، عندما أرسل سفيره يعرض تحالفاً على صلاح الدين في سنة 581هـ/1185م .

لكن قبل أن يقرر صلاح الدين الرد على هذه الشروط خُلِعَ أندرونيكوس عن العرش في سنة 581هـ/1185م ثم قتل، وأصبح إسحاق أنجيلوسAshak Angelos إمبراطوراً في سنة 581-591هـ/1185-1194م[3]، ورغب صلاح الدين في استمرار التقارب مع الإمبراطور إسحاق ليواجه أعداؤه وهم: النورمان في صقلية[4]، الذين هددوا عاصمته القسطنطينية، والفرنجة في بلاد الشام، والسلاجقة في آسية الصغرى فأقر صلاح الدين المعاهدة بما يتفق وقوته ومكانته التي لا تضاهيها قوة البيزنطيين المنهارة.

---

[1]. النويري: نهاية الأرب، ج29، ص385.

[2]. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص19؛ النويري: نهاية الأرب، ج29، ص386.

[3]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة ، ج2، ص135.

[4]. صقلية: من جزائر بحر المغرب (البحر المتوسط) مقابل أفريقية (تونس)، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبع أيام، وأفريقية منها بين الغرب والقبلة، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص316.

بعد فتح صلاح الدين لبيت المقدس والمدن الساحلية، أرسل رسلاً من قبله للتفاوض مع الإمبراطور البيزنطي، بشأن قيام تحالف عسكري بين الدولتين الأيوبية والبيزنطية للتصدي لغزو الفرنجة، وسمح للمسلمين بإقامة مسجد في القسطنطينية وألقيت فيه الخطبة باسم الخليفة العباسي. عندما علم إسحاق بمفاوضات – صلاح ريتشارد – وأنه ينوي إعادة إدارة الكنائس في بيت المقدس إلى الفرنجة أرسل رسولاً إلى صلاح الدين في سنة 588هـ/1192م وطلب إليه عقد تحالف، والقيام بحملة بحرية مشتركة ضد قبرص[1]، لكن صلاح الدين رفض هذه المقترحات وتوقفت علاقته مع إسحاق أنجليوس عند هذا الحد.

بعد وفاة السلطان صلاح الدين، أرسل إسحاق أنجليوس إلى العزيز عثمان سفارات وكتباً طلباً لاستمرار المودة، إذ أشار فيها إلى اهتمامه بأمر الشعائر الإسلامية، وأخذ يوصيه خيراً بالروم في الدولة الأيوبية[2].

بدأت بوادر ضعف الإمبراطورية البيزنطية تظهر بسبب، ما نشب بداخلها من حروب داخلية، ومخاصمات سياسية، وازدياد تدهور وضع الفرنجة في بلاد الشام، وإخفاق حملة الفرنجة الثالثة، المنافسات التجارية، الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية، مما أدى إلى تفكك الإمبراطورية البيزنطية وانقسامها إلى إمارات في سنة 600هـ/1203م، كان في الواقع بداية لتداعيها وتدهورها، ثم زوالها آخر الأمر على يد العثمانيين في سنة 857هـ/1453م.

3. الفرنجة:

تراوحت العلاقات بين الأيوبيين والفرنجة ما بين الحرب والسلم، وكان هدف الفرنجة من تلك الحروب التي شنوها على الدولة الإسلامية، إقامة ممالك لاتينية في المشرق والقضاء على الإسلام والمسلمين. مرت العلاقات الأيوبية – الفرنجية في عهد صلاح الدين بمرحلتين:

أ- المرحلة الأولى: من 570- 582هـ/1174-1186م إذ لم يكن صلاح الدين خلال هذه المرحلة متفرغاً لجهاد الفرنجة، حيث وجه جهوده نحو توحيد الجبهة الإسلامية وضم القوى المبعثرة في بلاد الشام وشمالي العراق، تحت سيادته، كونها تمكنه بطاقاتها وامكانياتها من

---

[1]. قبرص: جزيرة في بحر الروم. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص346. بحر الروم أو بحر المغرب أو بحر الشام هو(البحر المتوسط) ولكن هذه التسميات ترتبط مع الزمن والمؤلف والحالة السياسية أو السيادية للبلدان(الطالبة الباحثة).

[2]. المقريزي: السلوك، ج1، ص129.

مواجهة الفرنجة فيما بعد وقد اتسمت هذه المرحلة بالطابع الدفاعي إما لحماية أملاك المسلمين من تعدياتهم، وإما لحفظ طرق تحركاته بين بلاد الشام ومصر، كي لا تصبح خطوط مواصلاته معرضة للخطر. إذ قام بإنشاء سلسلة من التحصينات في القاهرة، امتدت إلى مختلف الموانئ المصرية التي كانت محط أنظار الفرنجة وبخاصة دمياط والإسكندرية، وقد تخلل هذه المرحلة عقد معاهدات مثل: المعاهدة مع الملك بلدوين الرابع Baldwin IIII [1] ملك بيت المقدس في سنة 576ھ/1180م، ومع ريموند الثالث صاحب طرابلس في سنة 581ھ/1185م، وهذه المعاهدات كانت من العوامل التي ساعدته على بث التفرقة بين صفوف الفرنجة وإضعاف قوتهم.

ب- المرحلة الثانية: فقد استمرت من سنة 582ھ/1186م حتى 588ھ/1192م وكان صلاح الدين قد فرغ من توحيد الجبهة الإسلامية، وانصرف بكل طاقاته إلى الجهاد، وتحقيق الانتصارات التي خلدت ذكراه في التاريخ [2].

في الوقت الذي كان صلاح الدين يدعم جبهته الداخلية، ويستعد للحرب الفاصلة ضد الفرنجة بالشام، وإذ بمملكة بيت المقدس تسوء أحوالها في أواخر أيام ملكها المريض بلدوين الرابع، ووصول بلدوين الخامس Baldwin V [3] إلى عرش مملكة بيت المقدس.

تفاقمت مشاكل الفرنجة بوفاة الملك بلدوين الخامس الصغير في عكا، بعد بضعة أشهر من إعلانه ملكاً، وكانت وفاته إيذاناً ببدء بصراع حاد بين أمراء المملكة حول الفوز بالعرش حتى انقسم الفرنجة إلى معسكرين كبيرين، أحدهما سعى إلى التفاهم مع المسلمين وتألف من الأمراء الوطنيين والاسبتارية[4]، الذين خضعوا لقيادة ريموند الثالث الذي غدا وصياً على مملكة بيت

---

[1]. بلدوين الرابع Baldwin IIII : بلدوين المجذوم حكم 556-580ھ/1160-1184م، وملك بيت المقدس في سنة 569-580ھ/1173-1184م، وهو ابن أملرك الأول (عموري الأول) وخليفته، فقد بصره ولم يقوى على استعمال يديه وقدميه. غربال: الموسوعة الميسرة، ج1، ص384.

[2]. عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ج2، ص51.

[3]. بلدوين الخامس Baldwin V : ابن أخ بلدوين الرابع، كان في الخمسة من عمره، وريموند كونت طرابلس وصياً على بلدوين الخامس الذي خلفه غي لوسنيان. غربال: الموسوعة الميسرة، ج1، ص384؛ عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1997م، ج2، ص115.

[4]. الاسبتارية: اسم كان يطلق في عصر الحروب الفرنجية على طائفة من الفرسان الدينيين، الذين سكنوا ديراً في بيت المقدس، بجوار دير سان ماري، وقد أقيم بجواره مستشفى قبل الحروب الفرنجية، بهدف إيواء الحجاج النصارى، ومعالجة المرضى منهم، ولما اندلعت الحروب الفرنجية، تطوع أفراد هذه الطائفة، للمساهمة بالحرب=

المقدس، والآخر اشتهر بنزعته العدوانية، وتألف من القادمين حديثاً من الغرب بالإضافة إلى الداوية[1] ومن قادته، رينودي شاتيون(أرناط) وجوسلين صاحب الرها[2].

ظل هؤلاء المعارضون يحيكون المؤامرات حتى نجحوا أخيراً، في سحب الوصاية من ريموند الثالث الذي اضطر إلى الالتجاء لصلاح الدين، طالباً مساعدته ضد أعدائه، أبناء جلدته، ذلك أن الانقسام الداخلي في صفوف الفرنجة جاء بعظيم الفائدة، حتى عده المؤرخون من أسباب انتصار المسلمين [3]، ولم يكن ريموند الثالث وحده الذي راسل صلاح الدين وانتمى إليه، وإنما حذا حذوه أيضاً بوهيمند الثالث أمير أنطاكية. ويضاف إلى هذا انحلال مملكة بيت المقدس نفسها في ذلك الوقت واضطراب أمورها الداخلية[4].

بعد معركة حطين في سنة 583هـ/1187م، وفتح بيت المقدس، عجز صلاح الدين – كما عجز الفرنجة– عن تحقيق نصر حاسم، ينهي الحرب لصالح واحد من الطرفين المتقاتلين، واضطر صلاح الدين، إلى توقيع صلح الرملة، في سنة 588هـ/1192م، على أن تدوم الهدنة بين الطرفين، لمدة ثلاث سنوات، وثمانية أشهر وبعدها بقليل، توفي السلطان صلاح الدين في سنة 589هـ/1193م، والهدنة قائمة بين المسلمين والفرنجة [5].

=ضد المسلمين مهما بلغت التضحيات، وكانوا موضع احترام جود فري ملك بيت المقدس، فأقطعهم الضواحي وأغدق عليهم الأموال، ثم أصبحوا يؤلفون قوة حربية كبيرة، واشتهروا بالتعصب الشديد للنصرانية، وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص830–834.

[1]. الداوية: يطلقها الفرنجة على الطائفة الدموية لايشاركهم فيها أحد، وهم جمعية فرسان المعبد Templiem. وهي جمعية دينية أُنشأت أول مرة لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس، ثم تحولت إلى هيئة حربية. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص73.

[2]. رينودي شاتيون: هو أرناط صاحب إمارة الكرك، من أعظم الفرنج، وأخبثهم، وأشدهم عداوة للمسلمين، وقع في أسر صلاح الدين يوم حطين. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص20.

– جوسلين: هو جوسلين دي كورتناي، ابن عمة بلدوين دي بورغ (بلدوين الثاني) صاحب الرها الملكين البارزين في بلاد الشام، ذو خبرة واسعة في الحياة والناس، حذراً في كل ما يفعله، وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص572.

[3]. المقريزي: السلوك، ج1، ص92؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص185؛ ابن الأثير: الكامل ج10، ص17–18.

[4]. عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص799–800؛ الحسين: موسوعة الحضارة العربية، ص227.

[5]. الساحلي: التوجهات السياسية للدولة الأيوبية، ص177.

عانت الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين من التفكك والانقسام بسبب الخلاف بين أفراد البيت الأيوبي، لكن نجاح العادل في إعادة اللحمة إلى الدولة الأيوبية أقلق الفرنجة كما في الشرق كذلك في الغرب، وفيما يتعلق بالجانب الفرنجي أهملت سياسة الهجوم ضدهم، وربما لجأ العادل لهذه السياسة بسبب ما كان يعانيه من مشكلات داخلية أو بسبب الحالة الاقتصادية المتردية نتيجة لمواسم الجفاف التي شهدتها بلاد الشام والمجاعة التي شهدتها مصر.

بعد وفاة العادل في سنة 615هـ/1218م، قسمت الدولة الأيوبية بين أولاده، الكامل محمد في مصر، ومنح دمشق القدس وطبرية والأردن والكرك، وغيرها من الحصون المجاورة للمعظم عيسى، وخصص الأشرف موسى، بإقليم الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها، وتحمل بعد ذلك أولاد العادل المسؤولية، كاملة في مواجهة الفرنجة وحملاتهم على كل من القسطنطينية ومصر.

الفصل الثالث

الصراع بين المسلمين والفرنجة على بانياس

أولاً . زمن الدولة البورية 497-549هـ/1103-1154م:

1. بانياس بيد آل طغتكين
2. الاسماعيلية في بانياس
3. حصار بانياس من قبل الفرنج

ثانياً. في العصر الزنكي 541-569هـ/1146-1174م:

1. سيطرة الفرنجة على بانياس
2. تحرير نور الدين لبانياس

ثالثاً. في العصر الأيوبي 567-648هـ/1171-1250م:

1. حملة الفرنجة على بانياس
2. استعادة بانياس من قبل الأيوبيين
3. حكام وولاة بانياس

الصراع بين المسلمين والفرنجة على بانياس

أولاً. زمن الدولة البورية :

1. بانياس بيد آل طغتكين :

في العقد الاخير من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي قامت مملكة القدس الفرنجية في فلسطين ومدت نفوذها إلى منطقة الجليل في الشمال حتى نهر الأردن، لكنها لم تتمكن من السيطرة على بانياس ومنطقتها، وفي سنة 497هـ/1103م استولى ظهير الدين طغتكين[1]، على دمشق ومعظم المناطق التابعة لها من بلاد الشام وأقام أتابكيته التي تبعت للسلطنة السلجوقية، ويبدو أن بانياس لم تكن من ضمن البلاد التي سيطرت عليها، لكن المدينة سلمت في سنة501هـ-502هـ/1107-1108م إلى ينال التاجي[2]. لكن ابن شداد لم يذكر فيمن تسلمها ينالاً ، إلا أنه يبدو كانت لاتزال بيد أمراء من جند تاج الدين تتش بن الب أرسلان الذي سيطر على بلاد الشام الجنوبية بعد انتزاعها من أتسز بن أوق الخوارزمي.

لم تبق بانياس خارج سيطرة طغتكين طويلاً إذ استولى عليها في سنة 505هـ/ 1111، نظراً لأهميتها لإمارته لأنها تقع على الحدود مع مملكة بيت المقدس وتتحكم بالطريق المؤدية إلى فلسطين ومدينة صور. التي كانت لاتزال بيد الفاطميين وقام بترميمها واصلاح ماخرب منها ورتب أمورها وولاها أحد أتباعه وهو الأمير سيف الدين مسعود وشحنها بحامية تقوم بحمايتها والدفاع عنها، وجعلها قاعدة له يعسكر فيها عند الحاجة للقيام بغارات على البلاد الخاضعة للفرنجة، وفي سنة 506هـ/1112م أقطع بانياس ومنطقتها لابنه تاج الملوك بوري[3] ، الذي استمر يتولاها أو ينيب عنه فيها من يحكمها حتى سنة 520هـ/1112م.

2. الاسماعيلية في بانياس:

في سنة 520هـ/1126م حدث تطور مهم في تاريخ مدينة بانياس كان له الأثر الكبير في حياة سكانها، وفي العلاقات بين المسلمين والفرنجة في بلاد الشام الجنوبية. مدة تزيد على

---

[1]. ظهير الدين طغتكين: كان مملوكاً للملك تتش بن أرسلان السلجوقي، تولى حكم دمشق في سنة 497هـ/1103م بعد وفاة دقاق بن تتش، وكان عاقلاً كثير الغزوات والجهاد ضد الفرنج، حسن السيرة في رعيته، توفي في سنة522هـ/1128م، ابن الأثر: الكامل، ج10، ص375.

[2]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ج2،ص139.

[3]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج2، ص40.

أربعة عقود، ففي هذا التاريخ سلم ظهير الدين طغتكين لداعي الإسماعيلية بهرام الأستر أباذي[1] ثغر بانياس في الجولان ، بناءً على طلب الداعي وتدخل بعض رجالات دمشق المتنفذين وغيرهم[2]. فشرع بهرام في تحصينها وترميم ماتهدم من المدينة وزيادة تحصينها، ثم بث دعاته في سائر الجهات فتبعه خلق كثير من فلاحي الضياع المجاورة [3]. لكن نشاطه الدعائي واجه مقاومة من جماعات السكان المحلية في وادي التيم التابع لبعلبك[4]، الذين كانوا يدينون بالولاء للدولة الفاطمية في مصر[5].

حتى يتمكن بهرام من اخضاع منطقة وادي التيم المعارضة لنفوذه، احتال في القضاء على قيادتها المتمثلة بمقدم هذا الوادي برق بن جندل[6]، حيث تمكن منه وقتله. لكن ذلك لم يؤد إلى استقرار الأمر له كما توقع، إذ قام ضحاك بن جندل الذي تولى قيادة أهل الوادي مكان أخيه، بجمع ما استطاع جمعه من أهل المنطقة لحرب الاسماعيلية في بانياس. وعندما عرف بهرام بهذه التطورات قرر مواجهة هذا التحدي بعيدا عن مركزه، فخرج على رأس جماعته إلى وادي التيم بعد ان رتب أمر حماية بانياس بتعيين داعيته المعروف باسماعيل نائباً فيها أثناء غيابه. ووقع اللقاء بين الطرفين في وادي التيم في سنة522هـ/ 1128م، فقتل فيه بهرام وهزم أتباعه وتراجعوا إلى بانياس[7]. اما الداعي اسماعيل الذي تحصن في بانياس فقد قرر مراسلة الفرنجة، وعرض تسليم بانياس لهم مقابل تعويض مالي مناسب واللجوء إلى بلادهم وترددت

---

[1] . بهرام الأستر أباذي: ولد في سمرقند سنة 459هـ/1067م، وكان أبوه من كبار الإسماعيلية، انخرط بهرام في صفوف دعاة الباطنية وسافر إلى مصر سنة 485هـ/1092م ثم عاد إلى آلموت، وأقام مع الحسن الصباح حتى أرسله إلى الشام ليخلف إبراهيم العجمي في الدعوة الباطنية، غالب، مصطفى: تاريخ الدعوة الاسماعيلية، سورية، 1953م، ص 171.

[2] . ابن الأثير: الكامل، ج10، ص621; سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص118-119.

[3]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 221 . 225.

[4] . بعلبك: مدينة عظيمة فيها أبنية عظيمة وآثار وقصور بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 538.

[5] . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص95.

[6] . برق بن جندل: بعد العودة الى ابن خلكان والصفدي وابن كثير، لم يتم العثور على أية معلومة عنه.

[7] . ابن الأثير: الكامل: ج10، ص656-657؛ الحياري: حصن الأحزان، ص168-169.

المراسلات بين الطرفين إلى أن تم الاتفاق، واستلم ملك القدس بانياس والمنطقة التابعة لها[1] فمنحها كإقطاعية بحقوق وراثية إلى اللورد بروس رينييه Brus Renier.

3. حصار بانياس من قبل الفرنجة واستعادتها:

أثار استيلاء الفرنجة على بانياس مخاوف تاج الملوك بوري بن طغتكين وأهل دمشق من قرب الفرنجة من مركز دولتهم، خاصة أن ملك القدس استغل هذا الموقع الجديد فجمع قواته وقوات إمارات بلاد الشام الفرنجية، وتقدم على رأسها حتى نزلوا على بانياس وشحنوها بالرجال وزودوها بالأقوات، ثم بدؤا بالسير نحو دمشق، فاستنجد بوري بكل من السلاجقة والخلافة العباسية الأمر الذي ساهم في إخفاق الفرنجة في دخول دمشق، وهزموا وتراجعوا إلى غربيّ نهر الأردن.

تحسنت العلاقات بين إمارة دمشق ومملكة القدس اللاتينية بعد هذه الحرب وعقدت هدنة بين الطرفين، وكان من ضمن بنود هذه الهدنة السماح لتجار المسلمين بحرية المتاجرة عن طريق موانئ البحر القريبة من دمشق والتي كانت بيد الفرنج حتى سنة 527هـ/1132م. حيث نقض صاحب بيروت التابع لملك القدس هذه الهدنة باستيلائه على قافلة لتجار دمشق، فاستغل شمس الملوك اسماعيل بن بوري – صاحب دمشق آنذاك– هذا الحادث للرد عليهم، والتوجه إلى مدينة بانياس وانتزاعها منهم[2]، وبدأ بحصارها فتمكن من هدم سورها والسيطرة عليها ولم يسلم الفرنجة في داخلها من الأسر، إلا من التجأ إلى القلعة القريبة حيث تحصنوا بها[3]، وبعد السيطرة الكاملة على المدينة توجهت القوات إلى القلعة مباشرة لبدء حصارها، وعندما رأى من تبقى فيها من الفرنج تقدم العسكر نحوهم، وفقدان الأمل بوصول نجدة سريعة من ملك القدس فولك الأنجوي Foulk. قرر أهلها طلب الأمان والتسليم دون شرط، فأجابهم اسماعيل إلى ذلك. فنزلوا من القلعة وأسروا جميعاً ، ثم عين اسماعيل جماعة من الجند في القلعة والمدينة، ورحل بعسكره ومعه الأسرى إلى دمشق في يوم الخميس صفر 527هـ/1132م[4].

---

[1] . ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص356؛ ابن الأثير: الكامل، ج10، ص657.

[2] . سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص145؛ ابن الأثير: الكامل، ج10، ص648.

[3] . ابن الأثير: الكامل، ج10، ص64؛ وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص676–677.

[4]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص74.

بعد فقدان الفرنجة لهذه المنطقة الاستراتيجية المهمة التي تكلفوا المال والجهد في تحصينها، عادت العلاقة بينهم وبين إمارة دمشق إلى ما كانت عليه من المهادنة والموادعة. ففي نهاية السنة الثانية لسقوط بانياس وقلعتها، عقد اتفاق جديد بين ملك القدس وصاحب دمشق، تضمن الاتفاق إخلاء سبيل جميع الأسرى الذين أخذوا من بانياس وقلعتها بمن فيهم زوجة بروس رينييه[1]. ولكن هذه الهدنة لم تؤد إلى وقف الغارات بين الجانبين، ففي سنة523هـ/1128م أغار الفرنج على بانياس، فخرج صاحب دمشق على رأس قواته لقتالهم. لكن عندما وصل هناك وجد الفرنج قد عادوا إلى بلادهم[2].

ثانياً. في زمن الزنكيين:

في أوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بدأت تطورات سياسة وعسكرية في جنوبي بلاد الشام أدت إلى تغيير ميزان القوى فيها وفي التحالفات ما بين أطرافها. فظهور عماد الدين زنكي صاحب أتابكية الموصل وحلب وطموحه في مد نفوذه إلى دمشق، أدى إلى عقد تحالف بين دمشق والفرنج ضده لأنه أصبح يشكل تهديداً لكلا الطرفين.

في عهد نور الدين الزنكي تصدى شقيقه نصرة الدين لمحاولة الفرنجة للسيطرة على بانياس وإمدادها بالمال والسلاح، لكنه أدركهم قبل الوصول إليها، بعد ذلك طلب نور الدين من القائد أسد الدين شيركوه والي بعلبك، جمع قواته، والإغارة على الفرنجة والابتداء ببانياس في الجولان، وهكذا خرج أسد الدين ونزل على بانياس وحاصرها حصاراً شديداً حتى افتتحها في سنة 552هـ/1157م، وأخذ جميع ما كان للفرنج فيها، وأرسلها إلى دمشق مع ألف فارس[3]، وفي سنة 569هـ/1173م أبرم الملك الصالح إسماعيل 558- 577هـ/1162- 1181م[4] الهدنة مع الفرنجة بعد أن دفع لهم شيئاً من المال وأطلق سراح بعض الأسرى.

---

[1]. يذكر وليم الصوري أن ملك القدس هو الذي أعطى الدمشقيين هذه الهدنة المؤقتة بناء على طلبهم، أما ابن القلانسي فيذكر عكس ذلك وأن الفرنج المهزومين طلبوا الهدنة والصلح، وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص76-77؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص242-243.على الأرجح أن ماوراه ابن القلانسي هو الأقرب للحقيقة لأن الدمشقيين هم من كانوا بموقع المنتصر.

[2]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص71.

[3]. أبو شامة: الروضتين ، ج1، ص 340 . 345.

[4] . الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي: تولى حكم حلب بعد وفاة أبيه، وبقي فيها إلى أن توفي شاباً. ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص308؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص221.

في سنة 532هـ/1137م وصل عماد الدين على رأس قواته إلى سهل البقاع، في طريقه إلى دمشق[1]، ودخل والي بانياس ابراهيم بن طرغت[2]. في طاعته، ولا تشير المصادر إلى السبب الذي دفع ابراهيم إلى تغيير ولائه، مما زاد من خوف صاحب دمشق شهاب الدين محمود والفرنجة من خطط عماد الدين زنكي. وفي سنة534هـ/ 1140م تقدم بقواته باتجاه دمشق فقرر أهل المدينة وعلى رأسهم معين الدين إنر الاتفاق مع ملك القدس فولك الأنجوي لتوحيد جهودهما ضده. وعرض استعداده دفع عشرين ألف قطعة ذهبية بدل النفقات التي تكلفها الملك للمشاركة في الحملة[3]. مقابل أن سلم بانياس إلى الفرنج[4]. وتم الاتفاق وأرسل معين الدين إنر المال والرهائن إلى ملك القدس، لضمان تسليم بانياس إليه بعد أخذها من صاحبها. أما عماد الدين عندما علم بالاتفاق قرر العودة إلى دمشق وخيم بالقرب منها في مرج عذراء بالغوطة[5]، دون سبب واضح لذلك.

أما ابراهيم بن طرغت فقد سار بقواته إلى صور لاعتراض الامدادات التي طلبها ملك القدس من إمارتي أنطاكية وطرابلس، فالتقى بريموند صاحب أنطاكية قرب صور ووقع بينهما قتال وقتل والي بانياس وعدد من رجاله وتفرق الباقون وعادوا إلى بانياس وتحصنوا بها، وأخذوا يجمعون الرجال من وادي النيم والمناطق القريبة لمساعدتهم في الدفاع عن المدينة، وتجمعت قوات الفرنجة في طبرية بعد وصول الرهائن من دمشق، وسار معين الدين إنر من دمشق للقاء حلفائه. أما عماد الدين زنكي فقد تراجع بقواته من الغوطة إلى سهل البقاع، والتقى الحليفان وقرروا التوجه إلى بانياس لحصارها والاستيلاء عليها وتنفيذ الاتفاق بشأنها، وكما يقول وليم

---

[1]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص263.

[2]. ابن العديم: زبدة الحلب، ص264؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص99.

[3]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص106؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص272.

[4]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص74؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص272.

[5]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص111؛ ابن الأثير،: الكامل، ج11، ص74؛ جوني: دمشق والمملكة اللاتينية في القدس، دار الفكر، بيروت،1997م، ص 2550.

الصوري " فضلوا وضعها تحت سلطة حلفائهم بدل عدو لا يثقون به والذي قد يسبب لهم الكثير من المتاعب "[1].

في عهد نور الدين الزنكي تصدى شقيقه نصرة الدين لمحاولة الفرنجة للسيطرة على بانياس وإمدادها بالمال والسلاح، لكنه أدركهم قبل الوصول إليها، بعد ذلك طلب نور الدين من القائد أسد الدين شيركوه والي بعلبك، جمع قواته، والإغارة على الفرنجة والابتداء ببانياس في الجولان، وهكذا خرج أسد الدين ونزل على بانياس وحاصرها حصاراً شديداً حتى افتتحها في سنة 552هـ/1157م، وأخذ جميع ما كان للفرنج فيها، وأرسلها إلى دمشق مع ألف فارس[2]، وفي سنة 569هـ/1173م أبرم الملك الصالح إسماعيل 558- 577هـ/1162- 1181م[3] الهدنة مع الفرنجة بعد أن دفع لهم شيئاً من المال وأطلق سراح بعض الأسرى.

1. سيطرة الفرنجة على بانياس:

في سنة 534هـ/1139م وصلت القوات الفرنجية والدمشقية المتحالفة إلى بانياس وبدأوا بحصارها، حيث وضعت قوات معين الدين إنر في الجهة الشرقية وقوات ملك القدس في الجهة الغربية وقطعت كل الطرق الموصلة إليها، فلم يعد ممكناً وصول نجدات أو امدادات إليها أو خروج المحاصرين منها. وبدأ المهاجمون برمي المدينة بالمنجنيقات " بحيث لم يبق مكان آمن للمدافعين على الأسوار أو داخلها الذين قاموا بمحاولات للرد على المهاجمين بالحجارة والسهام "[4].

تابع المهاجمون حملاتهم وحصارهم دون أن يتمكنوا من إحداث ثغرة في السور أو دخول المدينة بالقوة أو أن تستلم حاميتها. وتأكد الفرنج وحلفاؤهم أن جهودهم لا يمكن أن تحقق هدفها دون بناء برج خشبي الذي يمكنهم من الاقتراب من السور ومحاربة المدافعين من مستوى أعلى من ارتفاع السور.

---

[1]. الأعمال المنجزة، ج2، ص106-107. مرج عذراء: هي قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان، ولذلك سميت بمرج عذراء. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص91.

[2]. أبو شامة: الروضتين ، ج1، ص 340 . 345.

[3] . الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي: تولى حكم حلب بعد وفاة أبيه، وبقي فيها إلى أن توفي شاباً. ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص308؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص221.

[4]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص272؛ وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ص108.

في هذه الأثناء وصل أمير أنطاكية وكونت طرابلس مع بعض قواتهم وانضموا إلى معسكر الملك وشاركوا في الحصار، مما أدى إلى ضعف معنويات المحاصرين الذين لم تصلهم الإمدادات. وبعد أن بُني البرج، سُويت الأرض بين البرج والسور وربط البرج بالتحصينات الترابية وقرب من السور واستخدم في الهجوم، فأصبح وضع المدافعين عن المدينة من فوق السور من المناطق القريبة مكشوفاً وخطراً فابتعدوا إلى الجهة الأخرى من المدينة لكن الحجارة المتواصلة التي كانت تنهمر عليهم من البرج المتحرك الذي منعهم من الانتقال بين التحصينات داخل المدينة أو تقديم المساعدة للقتلى والجرحى، وطال أمد الحصار، وفقدت الحامية بقية الأمل في وصول نجدة من عماد الدين زنكي وتناقصت القوات لديهم[1]. وفي هذا الوقت برز دور معين الدين إنر في مفاوضة حامية بانياس وأهلها في الاستسلام، ومن أجل ذلك أرسل بعض رجاله سراً إلى المدينة طالباً من أهلها تسليم مدينتهم، مقابل الابقاء على حياتهم وشروط أخرى حددها لهم لكن المدافعين رفضوا الاستجابة لهذه الشروط وأصروا على المقاومة[2]. ولكن هذا الرفض لم يُثْن معين الدين أنر من إرسال وفد آخر، ثم ترددت المراسلات مع والي بانياس حتى وافق على شروط تسليم المدينة كما ذكرها وليم الصوري وهي:

- دفع مبلغ سنوي من المال لوالي بانياس(كما سيتفق على مقداره) من دخل الحمامات في المدينة والبساتين حولها.

- السماح لأهل المدينة وحاميتها وعسكرها بالرحيل عنها بسلام، وأن يسمح لمن يرغب في الرحيل بحمل كل ما يملك.

- وأما الذين يرغبون في البقاء في المدينة أو حولها بصورة دائمة أو مؤقتة يمكنهم الاحتفاظ بكل ما يملكون مقابل التعهد بالولاء والطاعة للفرنج والتي تمت عليها الموافقة من قبل ملك القدس وكبار رجال دولته[3]، تجهز أهل بانياس وعسكرها للرحيل، وغادروها مع نسائهم واولادهم وممتلكاتهم ، وسلم الوالي المدينة إلى معين الدين إنر الذي بدوره سلمها إلى ملك القدس فعين مطران كنيستها، وسلم السلطة المدنية فيها إلى صاحبها السابق رينييه بروس، هكذا انتهت مرحلة

---

[1]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص274.

[2]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص273.

[3]. الأعمال المنجزة، ج2، ص111-112. جوني: دمشق والمملكة اللاتينية في القدس، ص256.

في تاريخ هذه المدينة الحدودية وتحقق لمعين الدين إنر مفاداة بانياس بدمشق[1]، بتخلي عماد الدين زنكي عن مضايقته لها ولو إلى حين.

بتسليم بانياس للفرنجة استقرت العلاقات بين القوى المتنازعة في بلاد الشام الجنوبية فمن ناحية انشغل عماد الدين زنكي بأوضاع منطقة الجزيرة الفراتية خاصة إخضاع بني أرتق والصراع مع إمارة الرها بحيث لم يتمكن من متابعة سياسته في السيطرة على دمشق والبلاد التابعة لها. أما إمارة دمشق فقد شغلت بالنزاع بين كبار أمراء الدولة فيها على السلطة، مما دفعها إلى الاستمرار في مهادنة الفرنج بتجديد الاتفاقات المعقودة بالنسبة لوقف الأعمال العسكرية، والمقاسمة على غلات مناطق الحدود بينهما. أما مملكة القدس بقيادة ملكها فولك الانجوي 526-537هـ/1131-1142م فقد حافظت على علاقاتها الودية مع دمشق بالرغم من الغارات المحدودة التي كانت تقع بين الجانبين[2].

2. تحرير نور الدين زنكي لبانياس:

كان مدينة بانياس ومنطقتها آنذاك اقطاعاً بيد همفري Humphery صاحب تبنين الذي كان في الوقت نفسه يشغل منصب كونستابل[3]. وكان همفري يسيطر على منطقة خصبة بالجليل، إلا أنه كان يشكو من ثقل الأعباء الملقاة على عاتقه في حماية حدود مملكة القدس الشمالية، وزيادة تكاليف المحافظة على مدينة بانياس واقطاعاته الأخرى بصورة كبيرة بحيث لا يستطيع اعتماداً على امكاناته وحده أن يوفرها، خاصة بعد سيطرة نور الدين زنكي على دمشق واجتماع عسكر بلاد الشام الجنوبية مع عسكر حلب. ولذلك قرر مفاوضة فرسان الاسبتارية لإشراكهم في حكم بانياس وغلاتها وتكاليفها. وتمت المفاوضات بين الجانبين بموافقة ملك القدس بلدوين الثالث، وقد تم هذا الترتيب بمناصفة بانياس بين صاحبها همفري والاسبتارية في ذات

---

[1]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص125-128.

[2]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص129-131؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص199.

[3]. كونستابل: هو الموظف الأكبر المسؤول عن قصر الملك، وكان له بعض الواجبات العسكرية ويمكن أن يكون مستحفظاً لقلعة أو أحد حصونه، جوانفيل، جان سيردي: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، تر: حسن حبشي، دار المعارف، مصر، 1968م، ص573.

الوقت الذي وقعت فيه غارة الفرنجة على الخيول والمواشي[1]. ففي الوقت الذي بدأ فيه الاسبتارية بالاستعداد للمشاركة في شؤون بانياس تنفيذاً لاتفاقهم مع همفري، كان نور الدين يستعد للانتقام من الفرنجة الذين خرقوا المهادنة واستولوا على خيول ومواشي عسكره ورعيته.

أرسل نور الدين مجموعة كبيرة من جيشه إلى المنطقة القريبة من حدود بانياس لترابط هناك بقيادة أخيه نصرة الدين أمير ميران[2]. لتنتهز الفرصة للانتقام من الفرنجة واستعادة ما نهب. أما الاسبتارية فقد جهزوا قافلة كبيرة محملة بالمؤن والسلاح لشحن بانياس وقلعتها، لكن الطريق التي ستسلكها القافلة كانت محفوفة بالمخاطر، لذلك أرسلوا فرقة من فرسانهم لحمايتها[3]. وعرف نصرة الدين من عيونه بخبر القافلة والقوة المرافقة لها فجهز قواته للإيقاع بهم في الطريق قبل وصولهم إلى بانياس، ووضع كمائن من شجعان الأتراك في الطريق. وكانت خطته تقضي أنه عند اقتراب قافلة الاسبتارية واللقاء مع حاميتها ينهزم هو وباقي العسكر أمامهم فتخرج الكمائن عليهم أولاً ويرتد هو والعسكر فيوقع بهم[4].

خرجت حامية بانياس من المدينة لملاقاة القافلة والمشاركة في حمايتها وإيصالها إلى المدينة، والتقى المسلمون والفرنج في الطريق وذلك في سنة 533هـ/1138م، وجرى القتال حسب الخطة التي وضعها نصرة الدين ووقع الفرنج في الكمين، فهزموا وتحكم فيه القتل والأسر والجراح، بحيث لم ينجُ منهم إلا القليل، " صاروا بأجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب وأسير وطريح وحصل في أيدي المسلمين من خيولهم وعدو سلاحهم وأموالهم وقراطيسهم وأسراهم... ومحقت السيوف عامة رجالهم من الإفرنج ومسلمي جبل عامل المضافين إليهم..." [5]. وهكذا سقطت في أيدي المسلمين جميع المؤن التي كانت قد جمعت لتجهيز المدينة، وانسحب الفرسان

[1]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص844؛ جوني: دمشق والمملكة اللاتينية، ص257.

[2]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص238، أبو شامة: الروضتين، ج1، ص107.

[3]. حبشي: نور الدين والصليبيون، ص93؛ جوني: دمشق والمملكة اللاتينية في القدس، ص258.

[4]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص239؛ الحياري: حصن بيت الأحزان، ص180.

[5]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص150؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص552.

من الاتفاقية التي كانوا قد عقدوها لأنهم خافوا من تعرضهم بعد هذه الكارثة لخسائر ومحن مشابهة، وأعادوا إلى همفري بانياس بأعبائها ومشاكلها[1].

وقعت هذه الأحداث في منطقة بانياس ونور الدين غائب عن دمشق، حيث كان قد تحرك منها بقواته باتجاه حمص وحماة اللتين أغار الفرنج عليهم. ومن هناك أرسل مجموعة من قواته بقيادة أسد الدين شيركوه لملاحقة المغيرين وقتالهم، فهزمهم أسد الدين وتبعهم إلى أرض بانياس ثم عاد نور الدين إلى دمشق وكان ذلك في السنة نفسها 533هـ/1138م وبدأ الاستعداد مباشرة للتوجه إلى بانياس وحصارها، فاستدعى فرسانه ونقل آلاته الحربية إلى المدينة وظهر فجأة أمامها، فوضعت القوات في دائرة حولها، وبدأت عملية الحصار [2].

يقدم وليم الصوري وصفاً حياً ومفصلاً لعملية الحصار والاستيلاء على المدينة فيقول:" كان هنالك قلعة في أحد أجزاء بانياس، وكانت مجهزة بشكل جيد بالأسلحة والرجال، وبكمية من المواد الغذائية تكفي لمدة قصيرة من الزمن، وكانت هذه ستؤمن ملاذاً للسكان حتى وإن تم الاستيلاء على المدينة، إلا أن الناس كانوا يثقون ثقةً كبيرةً في تحصينات مدينتهم لاسيما وأنهم كانوا قد تحملوا مراراً هجمات مشابهة. لذلك قرروا بذل محاولة قوية للدفاع عنها " [3].

هكذا كانت بانياس جيدة التحصين وتتحمل حصاراً طويلاً. فهناك بالإضافة إلى السور والحواجز الترابية أمامها من الخارج، قلعتها الجبلية الصبيبة المجهزة بالعتاد والرجال والمؤن بما يكفي لمقاومة الحصار مدة مناسبة، إلى حين وصول الإمدادات لمساعدتها من مناطق أخرى. كما كانت ملجأ لسكان المدينة في حال تمكن المهاجمين من الاستيلاء على المدينة[4].

بعد إحكام قوات نور الدين الحصار حول المدينة، بدأت الحرب بضرب السور والمدينة ذاتها بالمنجنيقات وغيرها من آلات الحرب. كما قام الرماة برمي المدافعين عن السور بالنشاب والسهام بصورة مستمرة حتى يتمكن النقابون من الاقتراب من السور ونقبه[5]، وأجبر المدافعون

---

[1]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص257؛ جوني: دمشق والمملكة اللاتينية، ص259.

[2]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص340.

[3]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص845.

[4]. الحياري: حصن بيت الأحزان، ص181.

[5]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص340.

على القتال ليلاً ونهاراً دون راحة، وقتل وجرح العديد منهم، ولم يبق منهم إلا القليل الذين كانوا على وشك الاستسلام لولا استبسال همفري وابنه في الدفاع عن اقطاعهم الوراثي، فقد أظهرا استعدادهما للقتال بحماسة دفاعاً عن ممتلكاتهم الوراثية وشجعا الآخرَيْن بالمثل الذي ضرباه بالمقاومة[1]، أما قوات نور الدين فقد ازداد حماسها في الهجوم على المدينة بعد سماعها أخبار النجاح الذي حققه أسد الدين شيركوه ومن معه من التركمان والعرب من ناحية هونين القريبة من بانياس، فشددت هجومها، ولم تلبث أن سقطت المدينة بعد ذلك بيد قوات نور الدين في سنة 533هـ/ 1138م[2].

تختلف الروايات في الاستيلاء على بانياس، فرواية وليم الصوري تشير إلى أن المحاصرين فتحوا باب المدينة في أحد الأيام للقيام بغارة مفاجئة على الأتراك في الخارج ودفعهم عن المدينة، فتصدى لهم الأتراك وهزموهم ثم لاحقوهم حتى باب المدينة، ولم يتمكن الفرنج من إغلاق الباب نظراً لشدة تدافع المنهزمين في الدخول، ولحقهم الأتراك واختلطوا بهم ودخلوا بأعداد كبيرة إلى المدينة واستولوا عليها بالقوة فانسحب المدافعون والناس إلى قلعتها القريبة[3].

أما ابن القلانسي فيذكر أن النقابين والعمال لما انتهوا من حفر البرج وحشوه ثم أحرقوه فسقط فوق النقب، وهجم الرجال من الفجوة التي أحدثها الانهيار فدخلوا المدينة وبدأوا حصار القلعة[4]، ولما علم ملك القدس بحصار نور الدين لبانياس جمع قوات من الفرسان والرجالة وتوجه إليها لدفع نور الدين وانقاذها، أما نور الدين فقد شدد الحصار مقابل تسليم القلعة بما فيها من آلات ومعدات[5]، ووصل ملك القدس إلى منطقة بانياس دون أن يعرف عسكر نور الدين المحاصر للقلعة بذلك، ولا عساكره الأخرى التي رتبها على الطريق لمنع وصول أحد إلى المدينة. فقد قدم الملك عن طريق الجبل التي لاتُسْلَك عادةً للوصول إليها، عند ذلك انسحب نور الدين بعيداً عن المدينة وقلعتها دون سبب محدد، إذ يذكر ابن القلانسي: " اقتضت السياسة

---

[1]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص845؛

[2]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص150؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص340-341.

[3]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص845؛ جوني: دمشق والمملكة اللاتينية، ص262.

[4]. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص341.

[5]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص107-108.

الاندفاع عنها[1]، وقد قام نور الدين أثناء تراجعه بإحراق المدينة وتخريبها، وتم الانسحاب بعد أكثر من عشرين يوماً من القتال المتواصل.

بعد الانسحاب، لم يفرق نور الدين عساكره، أو يعط الإذن لهم بالعودة إلى بلادهم كما جرت العادة بعد العمليات العسكرية الطويلة، بل أبقاها معه واستدعى قوةً كبيرةً وأقام في الغابات منتظراً الفرصة لمعاودة القتال والاستيلاء على بانياس. أما ملك القدس فدخل بانياس لترتيب أمورها ووعد الإقامة فيها حتى يتم بناء ما تهدم منها وخُرب نتيجة العمليات العسكرية فأصلح السور والأبراج وجدد الحوائط الخارجية الإضافية، وأعيد بناء البيوت والأبنية العامة التي تهدمت، كما زود الملك القلعة بالمؤن والأسلحة والرجال[2].

قرر نور الدين معاودة حصار بانياس، فاستدعى قوةً جديدةً من دمشق، وتوجه إليها وأحاطت عساكره بها، ثم نصب المجانيق وآلات الحصار عليها، وبدأ بإطلاق قذائفها باتجاه السور والمدينة. كان همفري غائباً هذه المرة عن مدينته لكنه كان قد أناب عنه أحد أقاربه من ذوي الخبرة الطويلة في الحرب وكان يدعى جي صاحب اسكندر لوم[3]. ولما وصلت أخبار الحصار إلى ملك القدس، بدأ الاستعداد، وأرسل إلى أمير أنطاكية وكونت طرابلس طالباً منهما الإسراع لنجدة بانياس، ولما عرف نور الدين بذلك قرر الانسحاب بعيداً على الرغم من بعض الهدم الذي أحدثه الرمي في السور، وسوء أحوال المحاصرين. هكذا أخفقت المحاولة الثانية لاستعادة بانياس ويعود السبب في ذلك إلى منعة قلعتها(الصبيبة) التي كان يلجأ إليها أهل المدينة، والتي كانت لا تجدي أعمال النقب والرمي بالنشاب وآلات الحصار شيئاً في الاستيلاء عليها. وإنما كان الحصار الطويل حتى نفاذ المؤن والذخائر والماء والحيلولة دون وصول النجدات إليها هو السبيل الوحيد لامتلاكها، لذلك نعمت بانياس ومنطقتها بحقبة من الهدوء والاستقرار مدة تقارب ست سنوات حتى جاءت فرصة مناسبة لنور لدين فاستغلها وتمكن من استعادتها، وكان ذلك في سنة 559هـ/1169م[4]، وبقيت بانياس وقلعتها بعد ذلك بيد آل زنكي

---

[1]. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص341؛ الحياري: حصن بيت الأحزان، ص182.

[2]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص846؛ الحياري: حصن بيت الأحزان، ص183.

[3]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص850، جوني: دمشق والمملكة اللاتينية، ص264.

[4]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص304؛ ابن واصل: مفرج الكروب،ج1،ص146؛ أبو شامة الروضتين، ج1، ص132.

ومن حكم بلاد الشام الجنوبية من بعدهم من الأيوبيين والمماليك، وبقي الفرنج مدة قرن تقريباً وهم يأملون باستعادتها دون جدوى.

ثالثاً. في العصر الأيوبي:

في سنة575هـ/1179م، شيد الفرنجة قرب بانياس حصن مخاضة بيت الأحزان[1]، والذي تمتع بميزة عسكرية لأنه يقع على طريق طبرية صفد[2]، من ناحية ودمشق من ناحية أخرى، كما شيدوا حصن هونين[3]، في الشمال الغربي لبحيرة الحولة[4]، في مواجهة بانياس، وقد شكل الحصنان خطاً دفاعياً لحماية مملكة بيت المقدس من ناحية دمشق[5]، كما اعتدى الفرنجة على بعض الرعاة المسلمين الذين خرجوا لرعي ماشيتهم في المراعي القريبة من بانياس وشاركهم همفري دي تورن (Humphery Of Teron) سيد تبنين[6].

في سنة 576هـ/ 1180م سارت مجموعة من المغول وخربت بانياس وأوقعت فيها النهب والقتل[7] فأرسل صلاح الدين قوة عسكرية، بقيادة ابن أخيه عز الدين فروخشاه[8]، يستطلع الأمر، واشتبك مع الفرنجة بالقرب من شقيف أرنون[9] وانتصر عليه وتوفي همفري متأثراً

---

[1]. حصن مخاضة بيت الأحزان: بلد بين دمشق والساحل، سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب أيام فراقه ليوسف، وكان الفرنج قد عمروه وبنوا به حصناً حصيناً، فنزل عليه الملك الناصر يوسف بن أيوب في سنة 557هـ/1179م ففتحه. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص519؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص206.

[2]. طبرية بلدة من أعمال الأردن بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص20. صفد: مدينة في فلسطين في جبال عامل وهي من جبال لبنان. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص468.

[3] . هونين: حصن بناه الفرنج بين بانياس وصور، بينه وبين بانياس ثلاثة فراسخ. ابن جبير: الرحلة، ص246.

[4] . الحولة: كورة بين بانياس وصور من أعمال دمشق. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص323.

[5]. عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص761.

[6] . تبنين: بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص14.

[7]. المقريزي: السلوك، ج1، ص 422 . 226.

[8] . عز الدين فروخشاه: لقب بالملك المنصور واستخلفه صلاح الدين على دمشق، كان له دور في الحروب الصليبية ايام ولايته على دمشق توفي في سنة 578هـ/1182م، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص372.

[9]. شقيف أرنون: قلعة حصينة في كهف الجبل، قرب بانياس من ارض دمشق، بينها وبين الساحل. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص404.

بجراحه، وكانت وفاته خسارة كبرى للفرنجة[1]، عسكر صلاح الدين عند تل القاضي، غربي بانياس وأرسل العساكر للإغارة على الجليل[2]، فأسرع مقدم الداوية[3]، جيرار دي ريد فورت محاولاً التصدي للمسلمين قرب صفورية[4]، وهناك دارت معركة في سنة 575هـ/1179م سقط فيها معظم الصليبيين بين قتلى وأسرى[5]، ثم هاجم صلاح الدين حصن مخاضة بيت الأحزان، وبعد حصاره أيام دمره عن آخره وسواه بالأرض. ويذكر ابن كثير في سنة 614هـ/1217م أن الفرنجة عندما وصلوا بيسان[6]، نهبوا ما كان بها من الغلات والدواب وعاثوا في الأرض فساداً يقتلون وينهبون ويسبون ما بين بيسان وبانياس[7].

بعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على دمشق في سنة 570هـ/1174م، أصبحت بانياس تابعة لمملكته، ثم أعطاها لابنه الأفضل من ضمن ما أعطاه من بلاد الشام، وبقيت بيده حتى استولى الملك العادل عل دمشق في سنة 593م/ 1196م، فأقطعها ولده العزيز عثمان وبقيت في يده حتى توفي في سنة 630هـ/ 1233م[8].

1. حملة الفرنجة على بانياس:

في سنة570هـ/ 1174م كانت بانياس بيد الناصر صلاح الدين الأيوبي، وكانت تحيط بها مجموعة من المدن والقلاع التابعة للفرنجة وأهمها: تبنين وهونين، صفورية، الجليل، صفد،

---

[1]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، فيما وراء البحار، تر: حسن حبشي، دار الفكر، بيروت، 1990م، ج2، ص1009-1010.

[2]. الجليل: جبل في ساحل الشام وهو من أعمال صيدا وبيروت، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص183.

[3]. الداوية: طائفة عسكرية دينية، تطلق على جماعة فرسان المعبد، تأسست في سنة 513هـ/1119م لحماية طريق الحجاج النصارى بين يافا وبيت المقدس، ثم تحولت بعد ذلك إلى هيئة عسكرية، وقد منح بلدوين الثاني ملك القدس افرادها خاناً ، يقيمون فيه بالقرب من معبد سليمان، لذلك سموا بفرسان المعبد، أدت هذه الطائفة دوراً كبيراً في حروب الفرنجة، وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج1، ص576-578.

[4]. صفورية: كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام، وهي قرب طبرية، الحموي: معجم البلدان ج3، ص470.

[5]. ابن الأثير: الكامل، ج9، ص439؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص187.

[6] . بيسان: مدينة في الأردن في الغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 125؛ الحميري، صفي بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ناصر للثقافة، دمشق، 1975م، ص 120.

[7]. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص66.

[8]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج2، ص242.

الناصرة، وشقيف بترون[1]، وشقيف أرنون مما جعل اختيارها هدفاً للحملة الصليبية التي أجمع الصليبيون على القيام بها أمراً موفقاً [2].

توجهت القوات الفرنجية التي كلفت بمهاجمة بانياس والاستيلاء عليها، بقيادة فيليب دي مونتفرات صاحب صور، ووليم دي شانتوف رئيس الإستبارية، ورينييه دي فيشيه رئيس الداوية، بالإضافة إلى يوحنا كونت أو[3]، وجيل ماريشال فرنسا وجوانفيل، وفي الحال حمل الفرنجة سلاحهم، وبدأوا سيرهم تحت جنح الليل متجهين صوب بانياس التي بلغوها قبيل بزوغ الفجر [4].

في الحال انقسم الجيش الفرنجي إلى مقدمة وقلب وميمنة وميسرة، وكان فرسان الداوية في المقدمة، والفرقة الملكية التي تتألف من المشاة والفرسان الفرنسيين من شمبانيا[5]، وعلى رأسهم جوانفيل وجوفرودي سارجين بين القلعة والمدينة، والاسبتارية في الميمنة، وبارونات الشام في الميسرة، وتتلخص الخطة في الهجوم على بانياس ومحاولة الاستيلاء عليها، ثم احتلال المنطقة الواقعة بينها وبين قلعة الصُّبَيْبَة، وعندما يتم تجمع الفرق الفرنجية في هذه المنطقة، تقوم كلها بهجوم شامل على القلعة نفسها ينتهي بسقوطها في أيديهم[6]، وقد وقعت هذه الحملة على بانياس في شهر تموز في سنة 651هـ/1253م، أي في الأيام الأولى منه[7].

زحف الفرنجة على بانياس وفقاً للخطة المرسومة، وكادت فرقة المشاة الملكية – أول من اقتحم المدينة – أن تذهب ضحية حماسها وتهورها، إذ أن المسلمين ألحقوا برجالها الهزيمة

---

[1]. الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً فيها كان مولد المسيح عليه السلام، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص251، شقيف بترون: حصن قرب صور، والشقيف كالكهف أضيف إلى بترون، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص356.

[2]. ابن جبير: الرحلة، ص 300–301.

[3] . كونت أو: هو جان بن ألفونس دي بربين وماري كونتس، أمير أنطاكية والأرمن، جوانفيل: القديس لويس، ص231.

[4]. جوانفيل، زكار، سهيل: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995م، ج35، ص206–207.

[5]. شمبانيا: أغنى مقاطعة في شمال فرنسا. جوانفيل، جان سيردي: القديس لويس، ص25؛ غربال: الموسوعة الميسرة، ج2، ص194.

[6]. جوانفيل: القديس لويس، ص249.

[7]. يوسف، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على بلاد الشام، دار النهضة، بيروت، 1981م، ص217، الملحق 6، ص175.

عندما اندفعوا في غير هوادة أو تريث صوب الأسوار والأبواب، ولما أطبق المسلمون عليهم أبصرهم جوانفيل، وطلب من الفرسان الذين معهم قائلاً :" أيها السادة إذا لم تذهبوا إلى حيث أُمِرْنا بالذهاب – أعني بين المدينة والحصن – فسوف يفتك المسلمون بجميع رجالنا الذين دخلوا المدينة " [1]. وكان الطريق الذي سلكه الفرسان عمودياً محفوفاً بالمخاطر نظراً لصعوبة الموقع الذي اختير لهم، كما كان عليهم اجتياز ثلاثة أسوار من الأحجار غير المتماسكة، وقد بلغ من شدة انحدار الجدران أنه كان يصعب على الجواد حفظ توازنه أثناء سيره، حتى وقع أحد الفرسان تحت ثقل جواده على مرأى من جوانفيل الذي أسرع لإنقاذه، بينما كانت قمة التل الذي كانوا يتسلقونه زاخرة بفرسان المسلمين، ولكن عندما أبصر المسلمون فرسان الفرنجة يقتربون منهم على صهوات جيادهم تملكهم الفزع وتخلوا لهم عن المكان، وسرعان ما احتله الفرنجة، ولما شاهد المسلمون داخل بانياس رجالهم يتراجعون أمام الفرسان الفرنسيين، سلموا لهم المدينة دون مقاومة أو إراقة للدماء[2].

هكذا نجح الجزء الأول من الخطة بسقوط المدينة واحتلال الفرسان الفرنسيين مركزهم بينها وبين قلعة الصُّبَيْبَة، وإنقاذ مشاتهم من الخطر الذي أحدق بهم في بداية المعركة، وأقاموا ينتظرون وصول الفرق الأخرى، للقيام بهجوم موحد على قلعة المدينة.

2 . استعادة بانياس من قبل الأيوبيين:

أسرعت القوات الإسلامية، إلى قلعة الصُّبيبَة للاحتماء بها والدفاع عنها ضد هجوم الفرنجة المرتقب، لكن حدث أن رجال فرقة كونت أو، خالفوا التعليمات الصادرة إليهم ريثما يتم وصول الفرق كلها، وساروا في أثر القوات الإسلامية، واندفعوا بتهور نحو تلك القلعة الحصينة وقد أنذرهم جوانفيل بالعواقب التي ستترتب على تخطيهم للأوامر، ولكنهم لم يستمعوا إليه، واصلوا تقدمهم في اتجاه القلعة، ضاربين بالأوامر عرض الحائط، خاصة وأن الطريق المؤدي إلى القلعة كان صعباً، وعراً مليئاً بالصخور [3].

في تلك الأثناء كان المسلمون الذين التجأوا إلى الصُّبَيْبَة، قد استردوا شجاعتهم، وما إن أبصروا رجال كونت أو مقبلين نحوهم حتى انقضُّوا عليهم، واضطروهم إلى التراجع باتجاه

---

[1]. جوانفيل: القديس لويس، ج35، ص249.

[2]. جوانفيل: القديس لويس، ص251.

[3]. يوسف: العدوان الصليبي، ص219.

بانياس، حيث كان يقيم جوانفيل وباقي الفرنجة، وتعقب المسلمون الفرسان الفرنجة، وأخذوا يرشقونهم بالسهام والرماح، وعندما شاهد جوانفيل والفرنجة ذلك استولى عليهم الخوف، فاضطر جوانفيل إلى الترجل عن جواده والوقوف إلى جانبهم، لأنهم كانوا جميعهم مترجلين، كي يشد من عزائمهم ويقوى روحهم المعنوية [1].

ومما زاد في اضطراب القوات الفرنجية، إصابة المسلمون أحد الفرسان ويدعى يوحنا دي فالنسين بسهم في عنقه أرداه قتيلاً، فطلب الفارس هيوج دسكوز من جوانفيل أن يساعدهم على حمل الجثة لكنه رفض طلبه قائلاً: " لتكن البلية نصيب من يعاونك، لأنك ذهبت إلى هناك من دون أمري، وإذا كان ثمة شر قد حاق بك فإنك تستحقه، ألا فاحمله، ووسده الخندق، أما أنا فلن أبرح مكاني هذا حتى يبعثوا في التفتيش عني" [2].

عندئذ توجه الفارس يوحنا دي فالنسين إلى معسكر الفرنجة، وطلب مساعدة أوليفر دي تيرم وغيره من كبار رجال فرنسا، لإنقاذ جوانفيل الذي كثرت الإشعاعات حول مصيره، وقرر أوليفر الذهاب لاستقصاء أخبار جوانفيل ومن معه لإبلاغها للملك – لويس التاسع ملك فرنسا – واتخذ طريقه إليهم في أعلى التل، وبعد أن اطمأن عليهم، أوضح لهم أنهم في خطر داهم، إذا اتخذوا في نزولهم نفس الطريق الذي صعدوا منه[3].

في النهاية توصل أوليفر إلى خدعة حربية، كان القصد منها التمويه على قوات المسلمين ليتسنى للفرنجة الهروب، وتتخلص بأن يتظاهر جوانفيل ومن معه بالاستعداد للتحول باتجاه مدينة دمشق فقال: " إننا سنذهب جميعاً على طول هذا المنحدر، كما لو كنا ذاهبين إلى دمشق وسيظهر للمسلمين الذي تراهم أمامك أننا نريد مباغتتهم من الخلف، لكننا لا نكاد نصبح في هذه السهول حتى نغادر، وندور حول المدينة، وسنمر فوق النهر قبل أن يستطيعوا الصعود إلينا وحينذاك نكبدهم ضرراً بليغاً، فنضرم النار في تلال القمح المدروسة الموضوعة وسط الحقول " [4]، وبذلك مكنت نصيحة أوليفر دي تيرم، جوانفيل ومن معه من العودة سالمين إلى المعسكر الفرنجي، ولحقوا بالملك الفرنسي في صيدا. هكذا كان العصيان وعدم الطاعة، وتنفيذ

---

[1]. جوانفيل: الموسوعة الشامية، ج35، ص210.

[2]. جوانفيل: الموسوعة الشامية، ج35، ص210.

[3]. جوانفيل: القديس لويس، ص252–253.

[4]. جوانفيل: الموسوعة الشامية، ج35، ص211.

الأوامر سبباً في إخفاق الحملة وقضت على ثمرة النجاح، التي أحرزها الفرنجة في الشق الأول من مخطط تنفيذ الحملة ولم يعودوا يفكرون في شيء سوى النجاة، بأنفسهم من هزيمة محققة واستطاع المسلمون بذلك الحفاظ على بانياس وقلعتها من سيطرة الفرنجة.

على الرغم من ذلك لم تتوقف الاشتباكات بين المسلمين والفرنجة، ففي سنة 614هـ/1217م سار الفرنجة باتجاه مدينة بيسان، فسار العادل إلى هذه المدينة لحماية أطراف البلاد مما يلي عكا[1]، فصعد إلى تلك المدينة يراقب تقدمهم، وقد بلغ عددهم ما يقرب خمسين ألفاً[2]، وتفوق الفرنجة عليه في العدد وآثر العادل تجنب الاشتباك، وانسحب من المدينة معارضاً ابنه المعظم عيسى، فشتمه العادل وقال له:" بمن أقاتل، أقطعت الشام مماليك وتركت من ينفعني من أبناء الناس" [3]، وعسكر في مرج الصفر، وهو يتهيأ للدفاع عن دمشق، وعندما وصل الفرنجة إلى بيسان، نهبوها، واستولوا على كل ما وقعت عليه أيديهم[4]، وتشجعوا بهذا النجاح، وتمادوا في مهاجمة المنطقة الواقعة بين بيسان وبانياس، وتوغلوا في داخل الأراضي الإسلامية، وانتشر جنودهم في القرى، فوصلت إلى خسفين ونوى في حوران[5]، وقاموا بأعمال السلب والنهب وحاصروا، بانياس مدة ثلاثة أيام، ثم عادوا إلى عكا محملين بالغنائم والأسرى[6].

مما تقدم يتبين أن بانياس كانت مركزاً لحشد الجيوش الإسلامية في عهد كل من صلاح الدين والملك العادل، وانطلاقها إلى فلسطين ودمشق للدفاع عنهما من الغزو الصليبي، وكذلك قلعتها ــ الصُّبيبَة ـــ ودورها في حفظ الطرق الرئيسية بين بلاد الشام الوسطى والجنوبية.

4. حكام وولاة بانياس:

كان لموقع بانياس الاستراتيجي دور أساسي في الصراع بين المسلمين والفرنجة للسيطرة عليها، وقد حكمها مجموعة من الحكام والولاة كان لهم تأثير كبير في الأحداث السياسية

---

[1]. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص202-203

[2]. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص583.

[3]. أبو شامة: الروضتين، ج2، ص152.

[4]. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص203.

[5]. خسفين: قرية من أعمال حوران بعد نوى، بينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخاً، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص425، نوى: بليدة من أعمال حوران، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص353.

[6]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج3، ص205.

والعسكرية في حقبة الدراسة. وعلى الرغم من فقر المصادر والمراجع التاريخية عن تفاصيل حياتهم وأعمالهم وحكمهم لبانياس، أمكن الحصول على تراجم لبعضهم وأهم هؤلاء:

- بهرام الأستر أباذي (520هـ/1126م):

ولد في سمرقند سنة 458هـ/1065م، كان أبوه من كبار الاسماعيلية، وفي سنة 520هـ/1126م تسلم من ظهير الدين طغتكين ثغر بانياس، وشرع في تحصينه وترميم ماتهدم من المدينة وزيادة تحصينها[1].

- ابراهيم بن طرغت (530هـ/1136م):

في سنة 532هـ/1137م دخل عماد الدين زنكي إلى سل البقاع، وكان ابراهيم بن طرغت والياً على بانياس الذي دخل في طاعته، وسارر بقواته إلى صور لاعتراض الإمدادات التي طلبها ملك القدس من إمارتي أنطاكية وطرابلس، فالتقى بريموند صاحب أنطاكية قرب صور ووقع القتال بينهما، وقتل والي بانياس ابراهيم بن طرغت وعدداً من رجاله، وتفرق الباقون، وعادوا إلى بانياس وتحصنوا بها[2].

- الملك الافضل(589هـ/ 1194م):

أكبر أولاد صلاح الدين وولي عهده، وإليه يرجع الأمر في جميع شؤون الدولة، وقد ولاه أبوه دمشق وبيت المقدس، وكان والياً على بانياس في سنة 589هـ/ 1193م[3].

- عز الدين جرديك(589هـ/ 1194م):

أمير من أمراء الموصل في عهد نور الدين ، ولاه صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس عند فتحها، وكان يستند عليه في المهمات الكبيرة، تولى حكم بانياس في سنة 589هـ/ 1193م، ثم ترك بلاد الشام وانتقل إلى الموصل وتوفي في سنة 594هـ/1197م[4].

- حسام الدين بشارة (596هـ/1099م):

---

[1]. غالب، مصطفى: تاريخ الدعوة الاسماعيلية، ص 171.

[2]. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص101؛ وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص107.

[3]. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص419–420.

[4]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص275؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج16، ص683.

كان من أكابر الدولة الأيوبية، وأشار بالصلح بين الأفضل وعمه العادل، وكان والياً على بانياس[1].

- فخر الدين جركس(596هـ/1099م):

عز الدين ابو منصور الصلاحي، في سنة 596هـ/ 1099م أعطاه الملك العادل بانياس والشقيف وهونين، فأقام فيها مدة من الزمن، ولما توفي أقر الملك العادل ابنه على ماكان عليه في سنة 615هـ/ 1218 [2].

- العزيز عثمان بن العادل(615هـ/ 1218م):

عندما وزع الملك العادل أولاده على ممالك مصر والشام، وضع ابنه العزيز عثمان في ولاية بانياس وماحولها من الحصون، واثناء ولايته بنى قلعة بانياس التي عرفت باسم الصُّبَيْبَة، توفي العزيز عثمان في سنة 630هـ/ 1232م[3]. وقام أيضاً بترميم المسجد[4].

- الملك السعيد حسن(621هـ/1224م):

تولى حكم بانياس بعد وفاة أخيه العزيز عثمان، وفي سنة 644هـ/1246م بانياس وهب السعيد بانياس وقلعة الصُّبَيْبَة إلى الملك الصالح أيوب وصار في خدمته وعاش في مصر[5]. وهناك رواية تقول أن الملك السعيد لم يسلم بانياس وقلعتها إلى الصالح أيوب بل أخذتا منه، والاختلاف الأكبر في روايات المؤرخين كان حول وجوده عند دخول المغول إلى الشام وكيفية استعادة بانياس والصُّبَيْبَة. المجموعة الأولى تؤكد تسليم السعيد بلاده إلى الصالح أيوب، وتقول أنه رحل إلى مصر عقب وفاة الصالح أيوب، فمر على غزة فأخذ مافيها من مال وعاد إلى الصبيبة وتسلمها في سنة 648هـ/ 1250 م[6]. وعندما وصل المغول إلى الشام في سنة 658هـ/ 1260م كان موجوداً في الصبيبة، فسلمها إليهم مع بانياس وصار معهم وأعلن الفسق والفجور وسفك الدماء[7].

---

[1]. زكار: الموسوعة الشامية، ج22، ص536.

[2]. النعيمي: تاريخ الدارس في المدارس، ج2، ص496-497.

[3]. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص549؛ الحايك: العلاقات الدولية، ج2، ص83-84.

[4]. العيني، بدر الدين: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: مصطفى عبد اللطيف، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، 2016.

[5]. الحنبلي: شفاء القلوب، ص361.

[6]. العيني: عقد الجمان، تح: عبد الرزاق الطنطاوي، دار الإعلام العربي، القاهرة، 1989م، ج1، ص32؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص92.

[7]. الحنبلي: شفاء القلوب، ص361.

أما المجموعة الثانية من روايات المؤرخين حول السعيد تؤكد أنه كان مسجون وهي تؤكد – بذلك – رواية أخذ بلاده منه بالقوة من قبل الصالح أيوب، أما المجموعة الأكبر من المؤرخين تقول: إنه كان محبوساً في قلعة البيرة[1]، وإن هولاكو عندما فتح البيرة وجده معتقلاً في سجنها فأطلعه وكتب له فرماناً ببانياس وقلعتها[2] .

[3]. البيرة: بلد قرب سميساط، بين حلب والثغور الرومية، البكري: معجم ماastعجم، ج2، ص526.

[4]. ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص49.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بانياس

أولاً . الحياة الاقتصادية:

1 . الزراعة:

أ . ملكية الأراضي الزراعية

ب . مشكلات الزراعة

ج . المحاصيل الزراعية

د . الثروة الحيوانية

2 . الصناعة

3 . التجارة

ثانياً . الحياة الاجتماعية:

1 . فئات المجتمع

2 . مكانة المرأة ودورها الاجتماعي

3 . دور العلماء والأدباء

4. المؤسسات الاجتماعية

5. الملابس

ثالثاً . الحياة الثقافية والفكرية:

1 . المؤسسات التعلمية (أ . المدارس، ب . الكتاتيب، ج . المساجد، د. الأربطة والخوانق)

2. الهيئة التدريسية (أ . المدرسون، ب . المعيدون، ج . الطلاب)

3 . العلوم الأدبية (أ . الشعر، ب . النثر، ج . التاريخ)

4 . العلوم الطبية

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بانياس

نتيجة موقعها على المنطقة الحدودية مع الفرنجة، فقد عانت بانياس بسبب الواقع الجغرافي، العسكري، والأمني لها، وانعكس هذا على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ذلك أنها لم تعرف الاستقرار من الناحية الأمنية، وبالتالي كان لهذا آثار عليها، وسوف يتم تتبع أوضاع بانياس للتعرف على أحوالها زمن الزنكيين والأيوبيين.

أولاً . الحياة الاقتصادية:

الحياة الاقتصادية لأي مجتمع، هي الدعامة الأساسية في تقدمه وتطوره واستمرار بقائه وارتقائه، وقد فسرت هذه الدعامة على أنها الفعاليات الزراعية والصناعية والتجارية فيه، وهي ترتبط بالفعاليات الرعوية، وتربية المواشي، فالإنتاج الاقتصادي مرتبط بالزمان والمكان والإنسان فهو رهين البيئة بكل تفاصيلها[1]. ولابد من التنويه أن حقبة حكم الدولة الزنكية كانت زمنياً قصيرة، لذلك لم يكن لها التأثير الكبير على الناحية الاقتصادية، ولم تترك بصمة متميزة في هذا المجال.

1 . الزراعة:

اهتم الزنكيون والأيوبيون بالزراعة لأنها إحدى دعائم الجيش والقوات العسكرية، حتى ازدهرت وتقدمت، وهذا ما أكده بروكلمان بقوله: " فقد عني الأيوبيون بالزراعة التي ما كان يمكن أن تزدهر بغير الاهتمام، بنظام الري، والعناية به عناية فائقة لا تقل عن عنايتهم بالتجارة" [2] فمعظم سلاطين بني أيوب ركزوا جهودهم واهتمامهم على الناحية الاقتصادية أولاً، ثم الناحية العسكرية ثانياً، فاحتياجات الجند من المأكل والملبس، يلزمها الاهتمام وتتطلب العناية بمصادر الدخل القومي، فالعمل الحربي والاقتصادي أمران متلازمان لتحقيق السيادة والنصر، ومن الثابت بأن صلاح الدين، كان يصرف بعض العساكر في مواسم الحصاد لجني المحاصيل، لما تحتاجه من جهود بشرية كبيرة وحتى لا يتعطل الاقتصاد في البلاد[3]. ومعظم المعلومات في هذا الفصل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمجملها، يمكن أن تنطبق على بانياس كونها كانت جزءاً من

---

[1]. زكار، سهيل؛ خربوطلي، شكران: الحضارة العربية الإسلامية، جامعة دمشق، 2005م، ص111.

[2]. بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أحمد سعيد صالح، بيروت، 1965م، ص 30.

[3]. ابن الأثير: الكامل، ج11، ص413.

السلطنة الأيوبية. وقد اعتُمد على كتاب وليم الصوري بشكل أساسي في الحصول على المعلومات التي أفادت هذا الفصل.

أ . ملكية الأراضي الزراعية:

جاءت الإشارات في المصادر العربية والأجنبية، إلى ملكية الأراضي إشارات مبعثرة، ومما قاله المقريزي: " وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب فإن أراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده" [1] . وبالمقارنة فإن أراضي بلاد الشام ومنها – بانياس– طبعاً ملكيتها إقطاعية عسكرية، لأنه من غير المعقول أن تكون البلاد موحدة في ظل حاكم واحد وتسري عليها قوانين مختلفة، أما النوع الثاني من الملكية فهو الوقف[2].

1. ملكية الإقطاع:

1 . الإقطاع المدني:

هو تقسيم الأراضي الزراعية أقساماً وإقطاعات يختص السلطان بنفسه بنسبة خاصة ويمنح البقية لأمرائه، والمقطع يستغله لفائدته[3]، ويكون إقطاع إقليم بكامله نظير ضريبة تدفع أو إقطاع جزء من الأرض لقاء العشر أو الخراج، أو توزيع دخل قطعة من الأرض كأجر أو معاش[4]، وقد عرف الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية، الإقطاع المدني بأن تكون لصاحبه ملكية تامة، وقد تكون وراثية أيضاً وعلى صاحبه دفع العشر ويعطي من الأرض الموات لإحيائها أو من أرض توفي صاحبها دون وارث[5].

2. الإقطاع العسكري:

هو مصدر دخل سنوي للأمير أو الجندي، بما يعادل رتبته العسكرية وحسن بلائه في الحرب، ولذلك فإن الخدمة في الجيش هي الأساس الأول في الحصول على الإقطاع[6]، ويدخل

---

[1]. المقريزي: الخطط، ص 68.

[2]. الوقف: هو حبس الأملاك الخاصة، وإنفاق ريعها على إنشاء المدارس والمساجد والزوايا، وإجراء الأرزاق على طلبة العلم، الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص443.

[3]. الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، بيروت، 1972م، ج5، ص5.

[4]. مجموعة من مؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص476.

[5]. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص330 . 333.

[6]. طرخان: النظم الإقطاعية، ص194.

في نطاقها حفظ الأمن في الداخل والخارج، ويُحصل على الإقطاع من السلطان وديوان الجيش[1].

لما تولى صلاح الدين الحكم، علم أن أمور دولته لا يستقر حالها إلا بتثبت دعائمها الثلاث الإدارية، والمالية والإقطاعية، حيث جاءت متلائمة مع الظروف الحياتية التي تعيشها الدولة الأيوبية، فقلّم صلاح الدين أظافر الإقطاعيين الذين كانوا يملكون مساحات واسعة من الأرض يستخدمون فيها كثيراً من العبيد والأجراء، مستنفذين جهودهم[2]، وعندما قام صلاح الدين بتوحيد بلاد الشام ومصر في سنة 570هـ/1174م، كان فرسانه ستة آلاف بما فيهم عسكر دمشق وخواصه من الصلاحية[3]، قام بتقسيمهم إلى قسمين، قسم أبقاه في الديار المصرية، وقسم في بلاد الشام، ولسد نفقات الجيش كان لزاماً على صلاح الدين، إتباع نظام الإقطاع العسكري الذي ورثه عن الزنكيين وقبلهم السلاجقة كذلك نهج أبناء البيت الأيوبي، نهج صلاح الدين فأقطعوا الإقطاعات لمماليكهم وخواصهم كما وزع بعضهم الإقطاعات في حياتهم، ومنهم المعظم عيسى الذي وزع البلاد الشامية على مماليكه[4].

أتى نظام وراثة الإقطاع أُكُلُهُ في بلاد الشام إذ جعل أصحاب الإقطاعات يهتمون بأراضيهم، وإنتاجهم، وتشدد صلاح الدين بالإشراف على المقطعين، فلم يمنحهم أي حقوق إدارية أو سياسية على الأراضي المقطعة، واحتفظ بهذا الحق بأيدي الدولة المركزية[5] وحماية الفلاحين من جور ساداتهم، ومنعهم من ترك أراضيهم، وأولوها عنايتهم[6] ، تلك الآثار الإيجابية للإقطاع.

أما آثاره السلبية، فتكمن في قيام الحروب الأهلية بين أفراد البيت الأيوبي من جهة، وسوء تصرف الجباة من جهة ثانية، مما أدى إلى نقص الإنتاج وإعراض المواطنين عن الزراعة وكان نظام الإقطاع زمن صلاح الدين يحول بين المقاتلين، وبين بقائهم تحت السلاح زمناً طويلاً،

---

[1]. عاشور: الأيوبيون في مصر والشام، ص 171.

[2]. الرمادي، جمال الدين: صلاح الدين الأيوبي، مطابع الشعب، القاهرة، 1958م، ص67.

[3]. الصلاحية: وهم مماليك صلاح الدين وأمراء دولته، وقد أخذ صلاح الدين بتشكيل فرقة خاصة به منذ أن حكم مصر، كان قوامها ثلاثة آلاف فارس، أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 17؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج3، ص711.

[4]. طرخان: النظم الإقطاعية، ص44.

[5]. سعد، أحمد صادق: تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي، بيروت، 1976م، ص112.

[6]. آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص233.

وبخاصة في مواسم فلاحة الأرض وجني المحاصيل الزراعية[1]. وبطبيعة الحال كانت بانياس قد مُنحت لأمير أو لقائد لكي يرعى شؤونها ويحافظ عليها، وتبين أن من تولاها كان من زمن الزنكيين وخلال العصر الأيوبي كان لهم مكانتهم السياسية والاجتماعية نظراً لأهمية بانياس الاستراتيجية.

2- ملكية الأوقاف:

هي نوع آخر من أنواع ملكية الأراضي، وقد ذكرت كتب الرحالة عن هذه الأوقاف في بلاد الشام عامة، حيث كانت توقف لأغراض دينية أو إنسانية، ومنها ما كان مخصصاً للمساجد، والبيمارستانات، والمدارس، والجسور والقنوات، والينابيع، والخانات، أوما كان مخصصاً لافتداء الأسرى، تحرير العبيد، وللمجاهدين، صيانة حدود الإسلام، أو للفقراء والمعوزين واليتامى، أو الخدمات العامة الأخرى[2].

ب . مشكلات الزراعة:

على الرغم من أن صلاح الدين، وغيره من سلاطين بني أيوب كانوا يصرفون قسم من الجند، لجني المحاصيل، حدثت في العصر الأيوبي هزات اقتصادية عنيفة منها من صنع البشر، ومنها من الطبيعة، وقد أودت بحياة الكثير من الناس كما انتشرت الأوبئة وتعطلت الزراعة، وانخفض الإنتاج وكانت هذه المعوقات على نوعين:

1 . المشكلات البشرية:

أ. **حروب الفرنجة(الصليبية):** وقد شغلت هذه الحروب كل من الدولتين الزنكية والأيوبية حيث تعرضت الأراضي للخراب والدمار من قبل الجيوش، والضرر الأكبر، كان يصيب الفلاحين الذين كانوا على الحدود بين الأراضي التي اغتصبها الفرنجة، والأراضي الباقية في أيدي العرب المسلمين، إذ اضطر أكثرهم لمغادرة أراضيهم والالتجاء إلى المدن[3]. حيث أشار ابن كثير في أحداث سنة 614هـ/1217م إلى ما كان يرتكبه الفرنجة فقال: " أما الفرنج، فإنهم قدموا بيسان، ونهبوا ما فيها من الغلال، والدواب، وقتلوا وسبوا، ثم عاثوا في الأرض فساداً

---

[1]. أبو شامة: الروضتين، ج2، ص228-229؛ ابن الأثير: الكامل، ج11، ص534-536.

[2]. ابن بطوطة: تحفة النظار، ص 73؛ ابن جبير: الرحلة، ص193.

[3]. ابن الأثير: الكامل، ج12، ص321.

يقتلون، ويأسرون وينهبون، ما بين بيسان و بانياس، وخربوا أرض الجولان إلى نوى وغيرها " [1]. وقد تمت الإشارة إلى الأحداث السياسية والعسكرية الخاصة بتاريخ بانياس في الصفحات السابقة من البحث.

ب **الحروب الأهلية:** أدى اندلاع الحروب الأهلية والصراعات الداخلية بين أبناء البيت الأيوبي على أراضي بلاد الشام وما جاورها إلى الإضرار بها اقتصادياً، فكانت المدن تحاصر والأشجار تقطع، بالإضافة إلى هذا و ذاك، أعمال البدو، وخاصة القبائل التي سكنت بلاد الشام، وسيطرت على طرق المواصلات الرئيسية، فقد قامت هذه القبائل بالنهب وقطع الطريق وتهديد القوافل التجارية، وفرض الأتاوات مقابل الحراسة والحماية، والدّلالة، وتقديم ما يحتاجه التجار والمسافرون[2]. بالإضافة إلى انتقال ملكية بانياس وفقاً لتبدُّل السلطان في كل مرحلة من مراحل تاريخ الدولتين الزنكية والأيوبية.

2 . المشكلات الطبيعية:

كان أهمها انحباس المطر والجراد والفئران، كذلك الزلازل وانتشار الأوبئة والأمراض لقد كانت لهذه المشكلات آثار سلبية بعيدة المدى، حدثت المجاعات ونقصت الأيدي العاملة في كافة بلاد الشام – بسبب الوفيات الزائدة – وغلت الأسعار. كان هناك بعض الأراضي في بلاد الشام، لم يتمكن الفرنجة من احتلالها بشكل دائم، وبقيت موضوع نزاع دائم بينهم وبين المسلمين، خاصة سواد حوران والجولان، وأديرت هذه الأراضي وفق أنظمة أبدعت خصيصاً، هي أنظمة المناصفات والمثالثات، فبانياس قد خضعت لهذا النظام واقتسم المسلمون والفرنجة مناصفة حاصلاتها الزراعية[3]، ويقوم نظام المناصفة على أن يقدم المالك البذار والأرض، ويقدم العامل الجهد والوسائل الزراعية ويتم تقاسم المحصول مناصفة بينهما[4].

إقليم الجولان غني بالغابات، والنباتات الطبيعية التي تضفي على الإقليم جمالاً، وتلطف المناخ، وهي بحد ذاتها مصدراً مهماً من مصادر الصناعات الخشبية والوقود، ومن هذه الأشجار الحور والسرو والبلوط، حيث تتواجد بكثرة إلى الجنوب من بانياس، كما تنبت فيها أنواع مختلفة

---

[1]. البداية والنهاية، ج13، ص67.

[2]. ابن العديم: زبدة الحلب، ج1، ص201؛ ابن الأثير: الكامل، ج10، ص27.

[3]. وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص844.

[4]. خلف: المرجع في الجولان، ص209.

من النباتات والأعشاب الطبية الطبيعية مثل البابونج . النعنع البري، الزعتر البري، وشقائق النعمان والزنبقيات بمختلف ألوانها وروائحها[1]، واشتهر الجولان بمراعيه الواسعة حيث احتلت المرتبة الثانية، بعد منطقة البادية من حيث سعة المراعي الصالحة لرعي المواشي[2]. ومازال حتى الأن هناك مساحات واسعة من الأراضي الرعوية تقدر 20000 دونم [3]، في مستوطنة سنير قرب بانياس لتربية المواشي[4].

ج . المحاصيل الزراعية:

يمتلك الجولان ثروة نباتية متمثلة في السهول الزراعية الخصبة من الحبوب والبقول والخضار والأشجار المثمرة من حمضيات وغيرها، وأهمها:

1. الأشجار المثمرة:

ذكر شيخ الربوة 654-727هـ/1256-1327م، الذي وصف مدينة بانياس وما اشتهرت به من زراعة الحمضيات فقال: "بانياس مدينة قديمة حصينة، كثيرة الحوامض[5]، ومن أهم الأشجار المثمرة فيها المشمش،

التفاح، اللوز، والتين والكرمة والزيتون ذات الأهمية الغذائية والاقتصادية، وهي من الأشجار المباركة التي وصفتها الكتب السماوية، وتنتشر زراعتها في كافة مناطق بلاد الشام، وهي من المزروعات القديمة، وقلما تخلو مدينة أو قرية من أشجار الزيتون، ويزيد إنتاج الزيتون والزيت عن حاجة الاستهلاك المحلي فيدخل في عدد الصادرات الشامية وقد ضرب المثل بالزيت الشامي في الجودة والنظافة [6].

---

[1]. عيد، محمد خير: دليل الجولان، دمشق، 2010م، ص 32 . 34.

[2]. زيود، محمد: حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العهد الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي، دمشق، 1987م؛ كرد علي: خطط الشام، ج4، ص 131 . 132.

[3] . الدونم: وحدة قياس لمساحة الأرض، استعملت لأول مرة في الإمبراطورية العثمانية . والدونم = 1000متر مربع، عامر: المكاييل والأوزان، ص119.

[4] . قهوجي، حبيب: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق،1978م، ص224.

[5]. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص200.

[6]. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: لطائف المعارف، تح: إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، 1960م، ص 13.

2. الحبوب والبقول:

تأتي على رأس الحاصلات الزراعية لأهميتها الغذائية للإنسان والحيوان، وهي من الزراعات القديمة، منها مايعتمد على ماء السماء (بعليّ)، ومنها يزرع سقياً بواسطة مياه العيون والينابيع والأنهار التي يزخر بها إقليم الجولان، وتزرع الحبوب في أطراف دمشق ومنطقة حوران[1]. أما البقول فتأتي أهميتها بالدرجة الثانية بعد الحبوب، ومنها ما هو صيفي، ومنها الشتوي، مثل الفول والحمص والجلبان والعدس[2]، وقد اشتهرت بانياس بزراعة الأرز[3]، والذي كان يصدر إلى دمشق[4]، وكذلك القطن[5].

3 . الخضار:

لها من الأهمية ما لغيرها من المواد الغذائية التي يتناولها الإنسان حيث يعتمد عليها في حياته اليومية باستمرار، منها البطيخ، الكوسا، البصل، الثوم، اللفت، الفجل، الخس، الكرنب، الفليفة، البامياء، الفاصولية والباذنجان[6].

د. الثروة الحيوانية:

هي الوسيلة الأساسية للنقل، وللاستثمار في الأعمال الزراعية والطعام، ومنها اللحوم والنقل كالجمال والأبقار، ومنها الألبان ومشتقاتها واللحوم أيضاً كالماعز والغنم وفي المقدمة تأتي:

الخيول: ذات الشهرة الواسعة فكثرة الحروب التي خاضها الزنكيون والأيوبيون في بلاد الشام تطلَّب الاعتناء بترتيبها، فكانت ترى في بانياس، بسبب المرعى الممتاز الموجود بها[7]، كما

---

(1). الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 463.

(2). ابن مماتي: قوانين الدواوين، 1943م، ص21.

(3). كان من أشهر تجار الأرز أبو محمد البانياسي، حيث كان يدخر الأرز ثم يقوم ببيعه، فكان التجار في الأرز يقولون: عليكم بالبانياسي. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج49، ص148.

(4). الظاهر: زبدة كشف الممالك ، ص 156؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص86- 87؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 180.

(5). المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 160.

(6). بيطار: العصر الأيوبي، ص219.

(7) . الصوري: الأعمال المنجزة، ص149.

استخدمت للتنقل وسباقات الخيل والاستعراضات التي كانت في المناسبات العامة، بالإضافة إلى تربية الطيور من الأوز والدجاج والبط، حتى أنه وضع رسم على الدجاج سمي رسم الفراريج[1].

2 . الصناعة:

لا تتوفر مصادر متخصصة بشكل كامل تتحدث عن التطور الصناعي الذي شهدته بلاد الشام عامة، وبانياس خاصة، إلا أنه هناك إشارات متفرقة في كتب المؤرخين والرحالة يمكن من خلالها رصد حالة بعض الصناعات التي كانت البلاد بحاجة إليها، وقد ساعد على نمو وتطور بعض الصناعات وخاصة الصناعات العسكرية ــ الأسلحة ــ ظروف الحرب التي كانت تشهدها البلاد مع الصليبيين ومن أشهر الصناعات:

أ . الصناعات النسيجية:

بما أن بانياس تشتهر بزراعة القطن، فقد نشأت فيها حرفة تصنيع القطن ، حيث احتاجت هذه الحرفة للإتقان، وعدم خلط القطن الجيد برديئه، ثم ندفه كثيراً لتطير القشرة السوداء، والشوائب الأخرى منه، ومن ثم تصنيعه[2]، أما صناعة الحرير فتعتمد على الحرير الطبيعي، الذي ينسج على أنوال يدوية تختلف بحسب الألوان الموجودة في القماش، وفي بعض الأحيان تزين وتطرز برموز مختلفة باليد والإبرة[3]. واهتمت بانياس بصناعة المنسوجات الصوفية، لكثرة ما يرعى فيها من قطعان الماشية بسبب المرعى الممتاز الموجود فيها، وشارك في عملية النسج الرجال والنساء، فالرجال غنيهم وفقيرهم يقومون بعملية الغزل والنساء ينسجن في البيوت[4]. وأهم الصناعات الصوفية العباءات، البسط والخيام ومختلف أنواع المفروشات التي اعتمد المسلمون فيها على تجهيز معسكرات قواتهم، وأشهرها الخيام السلطانية، فهي عظيمة الشأن، مختلفة المقادير والصنعة[5].

---

[1] . القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص88.

[2]. زاهد، سمر: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة البورية، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، 1990م، ص95 . 97.

[3]. كيال، منير: فنون وصناعات دمشق، 1993م، ص 103.

[4]. كردعلي: خطط الشام، ج4، ص203.

[5]. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص9.

ب . الصناعات المعدنية:

كانت من الصناعات الجيدة لوفرة المواد الأولية وتشتمل على صناعة الحديد والفولاذ التي هي من الصناعات المهمة، وذلك بسبب حاجة البلاد للأسلحة، إذ كان الجنود يعتمدون في قتالهم على الأقواس والسيوف والرماح والتروس[1]، من الأسباب التي أدت إلى تطور هذه الصناعة، الحروب المستمرة بين المسلمين والفرنجة.

برزت صناعة النحاس زمن الأيوبيين في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وامتزجت بأذواق أبناء البلاد الشامية، وأفكارهم وإدراكهم وقيمهم، فنتج عن ذلك أسلوباً جديداً وهكذا نمى فن استخدام النحاس[2]، حيث صنعت من الأدوات النحاسية: الأباريق والشمعدانات، والكؤوس، والكوسات[3]، ولم تذكر المصادر والمراجع التاريخية على وجود لهذه الصناعة في بانياس.

ج . الصناعات الخشبية:

تمتاز الصناعة الخشبية في العصر الأيوبي بدقة الإتقان والبعد عن تصوير الأحياء، بل كانت في معظمها أشكالاً نباتية ولا سيما ورق العنب، وقد يستعمل معه الصدف المخرم، حيث تملأ أرضية الفراغ به[4]، وقد انتشرت هذه الصناعة في بانياس بسبب غنى أراضيه، بأشجار السرو، والحَور، والجوز والبُطُم حيث عدت مصدراً من مصادر الصناعات الخشبية هناك. وأهم الصناعات الخشبية في بانياس الطواحين المائية كطاحونة بانياس على نهر بانياس لطحن الحبوب بشكل متواصل مع غزارة المياه الشتوية[5]. كذلك صناعة الأبراج الخشبية الكبيرة كوسائل للدفاع، كما حصل في حصار بانياس في سنة534هـ/1139م[6]، بالإضافة إلى صناعة الأثاث والأبوب والنوافذ.

---

[1]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص50.

[2]. كاهن، كلود، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج1، ص198.

[3]. الكوسات: آلة موسيقية تسمى الصنجات، تشبه الترس الصغير، يدق بإحداها على الآخر بإيقاع مخصوص، القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص9.

[4]. الريحاوي، عبد القادر: قلعة دمشق، هيئة تدريب القوات المسلحة في الجيش العربي السوري، دمشق، 1979، ص4.

[5] . النويري: نهاية الأرب،ج8،ص228.

[6] . وليم الصوري: الأعمال المنجزة،ج2،ص103.

5 . الصناعات الغذائية:

تعد الصناعات الغذائية من الصناعات الأساسية في حياة الإنسان لأنها تؤمن حاجته الضرورية للحياة، وبانياس من المناطق التي تتوفر فيها المادة الخام للصناعات الغذائية سواء الزراعية أو المنتجات الحيوانية ومنها صناعة طحن الحبوب، حيث اهتم الأيوبيون بمراقبة هذه الصناعة حيث أسند المحتسب مهمة مراقبة العاملين فيها، من الحبوبيين والدقاقين حيث ذكرت التعليمات الخاصة بهذه الصنعة، ومنها إلزامهم بتنظيف الحبوب وغربلتها من التراب، وتنظيفها من الشوائب قبل طحنها[1] .وهناك بقايا آثار للمطاحن المائية التي كانت منتشرة على الأودية والأقنية والأنهار، التي كانت تعمل في موسم جريان المياه . بالإضافة إلى صناعة الألبان والأجبان والأشربة والمربيات والدبس وتجفيف الفواكه، وقد زرع النخيل في بانياس[2]، كما انتشرت في بانياس معاصر الزيتون لاستخراج الزيت منه، بالقرب من مناطق زراعته[3].

3 . التجارة:

تشغل التجارة دوراً مهماً كمصدر من مصادر الاقتصاد، لدى الشعوب حيث أنها الوسيلة الوحيدة لتصريف الإنتاج الزراعي والصناعي، وهي عمليات البيع والشراء، وتخضع لأحكام المعاملات العامة بين المواطنين داخلياً. أما التجارة الخارجية، فلها أحكامها الخاصة، وقد أوضح الدمشقي ماهية التجارة فقال: " أصل التجارة في البيع والشراء أن يشتري من زاهد أو مضطر إلى أخذ الثمن، ويبيع من راغب أو محتاج إلى الشراء" [4].

لقد تمتعت بانياس بموقع جغرافي واستراتيجي مهم، فإن قربها من دمشق ووقوعها على طرق التجارة الرئيسية من مصر والحجاز[5]، التي تخرج القوافل التجارية منها وأهمها:

- من دمشق إلى بانياس ثم تبنين حيث تدفع المكوس فيها.

---

[1]. الشيزري، عبد الرحمن نصير: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1962م، ص 121.

[2]. بيطار: الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980م، ص333.

[3] . مقداد، خليل: حوران عبر التاريخ، دار حوران، 1996م، ص150.

[4]. الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي: الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1900م، ص45.

[5]. الحياري: حصن بيت الأحزان، ص42.

– من دمشق إلى طبرية وتنتهي إلى عكا وتستغرق أربعة أيام[1] .

كان من العوامل المهمة التي أدت إلى انتعاش التجارة فيها، بالإضافة إلى الإمكانيات الزراعية لهذه المنطقة، وكثرة إنتاجها من الغلال والزيتون والكروم والقطن والحمضيات، وحاجتها إلى بعض المصنوعات، أدت إلى تنشيط الحركة التجارية تصديراً أو استيراداً، فكان يتم التبادل التجاري بينها وبين دمشق، حيث حُمل إليها من بانياس الأرز ومن بصرى وصرخد المواد الغذائية والملبوسات[2]. كما كانت بانياس تؤمن وباستمرار القمح لدمشق[3]، الذي عد محصولاً نقدياً مربحاً في المواسم الجيدة لسهولة نقله ومحافظته على خصائصه وإمكانية خزنه في المخازن.

نشطت الحركة التجارية في الدولتين الزنكية والأيوبية بسبب انتشار الأمن، وسهولة الانتقال من مكان إلى آخر دون أي عائق، ومن ثم توفر الحماية للتجار وأموالهم من المصادر وغيرها وتوفر الأسواق[4]، كذلك أكثر الأيوبيون من عقد المعاهدات التجارية والاتفاقات الحربية وإطلاق سياسية التسامح للتجارة مع الفرنجة، وعدم القصاص منهم بسبب اشتراك حكوماتهم في الحرب[5].

كان للاتفاقات والمعاهدات الحربية أهمية فائقة في تأمين سلامة القوافل التجارية، وأمن التجار والطرقات التجارية، ومن المعروف أن السلاطين الأيوبيين لم يتوانوا، في عقد مثل هذه الاتفاقيات، إذا ما طلب منهم ذلك، لا خوفاً من الفرنجة، وإنما حقناً للدماء، ولتأمين الموارد الاقتصادية وحماية التجار.

أنواع التجارة:

في مختلف العصور والبلدان، التجارة على نوعان، ولم يتغير هذا النظام في العصر الزنكي والأيوبي حيث أن التجارة كانت عبارة عن:

---

[1]. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص469.

[2]. الحلاق، نويرة: حوران، والسواد منذ بداية الحروب الصليبية حتى حطين، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة دمشق، 2000م.ص113.

[7]. محمود وعبد العزيز، مصطفى وهشام: الموسوعة الحورانية قرى وأنساب حوران، سورية، 1996م، ص135.

[4]. ابن عبد الهادي: رسائل دمشقية، ص73.

[5]. رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 9.

– **التجارة الداخلية:** ازدهرت بسبب استتباب الأمن، وتوافر المنتجات المحلية وتنوعها، وحماية التجار واستخدام النقد الموحد، وتوج ذلك بتشجيع التجارة، وإسقاط الضرائب والمكوس عن كثير من السلع والمنتجات المحلية[1].

– **التجارة الخارجية:** بلغ النشاط التجاري شأناً كبيراً، على الرغم من حروب الفرنجة المستمرة والمخاطر البحرية، وضعف النقل البري والبحري، وبساطة وسائلهما.

العمائر التجارية:

1 . الفنادق:[2]

هي عبارة عن بناء ضخم مربع الشكل يشبه الصحن، ويتألف عادة من طوابق، ففي الدور الأرضي، المخازن والحوانيت التي تطل على فناء داخلي فسيح، يساعد على الحركة، في تعبئة البضائع وتفريغها، ويلحق به اصطبلات الدواب[3]، وخصصت الأدوار العليا للنوم والراحة، وكان المبنى يوصد بباب حديدي ويقفل بأقفال خاصة، عرفت بالأقفال الرومية[4]، وكانت هذه الفنادق مكتملة المرافق المعيشية، حيث يجد فيها التجار الطعام وماء الاستحمام ومكاناً لإيداع أموالهم وغيرها[5].

2 . القياسر:

تتكون القيسارية من مجموعة من المباني العامة، فيها حوانيت ومصانع ومخازن وأحياناً مساكن وفيها أروقة، أنشأها التجار وكبار رجال الدولة[6].

---

(1). البنداري: سنا البرق الشامي، ج5، ص116.

(2). فندق Fondica أطلق هذا التعبير في الأساس على بناء واسع، يتألف من عدة طبقات، كان ينزل فيه التجار الأوربيون في مدن الشرق مع تجارتهم، ثم إن هذا التعبير أطلق على النزل عموماً المعبر عنه باللغة الانكليزية بلفظ Hotel. حلاق، حسان؛ صباغ، عباس: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1999م، ص165.

(3). سعد، سامي: أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية، القاهرة، 1958م، ص 112.

(4). بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص 236 . 237.

(5). زيتون: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص244.

(6). بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص 238.

3 . الخانات:

هي عبارة عن مبنى ضخم يحتوي على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة ومستودعات وغرف لإقامة التجار، وكان الهدف من بناء الخانات على الطرق في المدن وأطرافها لخدمة قوافل التجار وحفظ وتأمين راحة المسافرين، وبنيت الأبراج لحماية طرق القوافل التجارية، وحفرت الآبار، وكذلك إزالة المكوس المفروضة على التجارة[1].

4 . الوكالات:[2]

هي منشآت تجارية تشبه الفنادق بنظامها ووظائفها ولكنها اختلفت عنها بأنها كانت مقتصرة على نزول التجار القادمين من بلاد الشرق الإسلامي[3].

5 . المتاجر:

وهي منشآت تجارية مخصصة للحكومة، حيث أن الحكومات كانت تشتري بعض السلع ثم تبيعها وتجني الأرباح الطائلة من فروق ثمن الشراء وثمن البيع[4]، حيث كان يتم شراء مختلف البضائع اللازمة للدولة الأيوبية والجيش الأيوبي من أخشاب، وأدوات حديدية، وأجواخ وأقمشة صوفية، مما يجلبه التجار الأجانب معهم[5]، وفي بعض الأحيان كانت الحكومة تحتكر بعض السلع، إلى التجار بأسعار مرتفعة فتحصل على الربح. لم يوجد في المصادر والمراجع التاريخية على أي نوع من العمائر التجارية في بانياس أو في المناطق المحيطة حولها.

النقود:

إن النشاط التجاري الذي عم المنطقة ، والذي تمثل بالحركة التجارية بين بلاد الشام والبلاد الإسلامية المجاورة، والجمهوريات الإيطالية التي تربعت على عرش ذلك النشاط التجاري الأوروبي، مع دول البحر المتوسط، دعا الحاجة إلى النقد، لذلك لجأت الدولة الأيوبية، إلى إصدار نقد خاص بها كالدينار الذهبي، كما كان لكل إمارة صليبية عملتها الفضية الخاصة

---

[1]. ابن جبير: الرحلة، ص46-49.

[2]. الوكالة: هي لفظ كان متداولاً عند أهل مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، يقصدون به الفندق أو الخان المعد لنزول التجار وبضائعهم، قد تشمل سوق مسقوفة، وهي كالقيسارية أ الخان في بلاد الشام، أو السمسرة عند أهل اليمن. الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص443.

[3]. سرور، محمد جمال: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر ،القاهرة، 1997م، ص156.

[4]. ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص 327.

[5]. الرفاعي، أنور: النظم المالية، ص 51.

للتعامل بها داخلياً، لكنها اضطرت إلى اتخاذ نوع من العملات الذهبية للتعامل الخارجي تعرف بالبيزانت وكان تقليداً للدنانير الإسلامية[1]، كما استعمل الدينار الصوري، وهو دينار إسلامي، استخدم للتداول بين المسلمين والفرنجة[2]، ضرب بمدينة صور في الشام، وهو أقل قيمة من الدينار المصري[3].

ب . الحياة الاجتماعية:

التاريخ هو تاريخ الشعوب لا تاريخ السلاطين والحكام، لأنه لولا الشعوب لما عرفت تواريخ الأمم الإنجازات الكبيرة، وقد حدد بعض الباحثين التاريخ الاجتماعي بأنه دراسة وتطور العلاقات، والنظم ومضمون المفاهيم والقيم الاجتماعية في حقبة اجتماعية محددة[4].

وغالباً ما امتزج التاريخ الاجتماعي بالتاريخ الاقتصادي، الثقافي، ورأى بعض علماء التاريخ بأن التاريخ الاجتماعي، والاقتصادي والثقافي في مجتمع ما، ما هو إلا رد فعل مباشر للتاريخ السياسي، وعلى الخصوص تاريخ الحكومات، والسياسيين الذين يتولون الحكم، إن البحث في التاريخ الاجتماعي، لأي حقبة من حقب التاريخ الإسلامي أمر بالغ الصعوبة، وخاصة في منطقة كبانياس، حيث نجد أن الأبحاث التي اهتمت بأحوال المجتمع هي سياسية أو عسكرية بالدرجة الأولى، واقتصادية اجتماعية، سياسية مجتمعية.

1 . فئات المجتمع:

تكونت فئات المجتمع بشكل أساسي من العنصر العربي(القبائل العربية) وأهالي الثغور، وقد دخلت الكثير من العناصر غير العربية(العنصرين التركماني والكردي) إلى المجتمع الإسلامي، بقصد الجهاد ضد الصليبيين بحثاً عن حياة اقتصادية أرفع شأناً من المناطق التي نزحت منها، فقد أشار ابن القلانسي إلى حضور تركماني، في بانياس، منذ أواسط القرن الثاني

---

[1]. متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1940م، ص 13.

[2]. سالم، عبد العزيز: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، 1968م، ص 205 . 206.

[3]. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 241؛ الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 47.

[4]. مدكور، إبراهيم: معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة، 1975م، ص 111-112.

عشر الميلادي فقال: " في سنة 543هـ/1148م قام فريق وافر كبير من التركمان على بانياس وانتصروا على واليه الفرنجي"[1].

- **العادات والتقاليد:**

لقد شارك السكان بمختلف فئاتهم في الأعياد الدينية، كالفطر والأضحى، واستقبال الحجاج، وعيد المولد النبوي، ويوم عاشوراء، والإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وكانوا في هذه المناسبات يعدون أنواعاً من الحلوى وأطعمة خاصة، حُضرت وفق طرائق معينة، وفي جميع المناسبات شغل رجال الدين من أتباع الطرق الصوفية، الدور الأعظم، وقد احتل شهر رمضان مكانة خاصة عند المسلمين، ومع اقتراب نهاية الشهر، كان المنشدون يكثرون من ترديد الأناشيد الخاصة في وداع الشهر المبارك، كما شارك سلاطين بني أيوب في هذه المناسبات[2].

وفي عيد الفطر يزداد النشاط في الأسواق، بشكل منقطع النظير، حيث كانت الحوانيت تفتح ليل نهار، ويعمد الناس إلى شراء اللحوم والحلوى والحبوب لإعداد الطعام وفي صبيحة العيد، يلبس الناس أحسن ثيابهم يتوجهون إلى الجامع لأداء صلاة العيد، وبعد الفراغ يتوجهون إلى المقابر لزيارة أمواتهم، ومن ثم الشروع بزيارة الأهل، ويبدؤون بزيارة أكبر أفراد العائلة[3].

ومن مظاهر الاحتفالات الدينية هو الاحتفال بوداع الحجاج واستقبالهم، ولم يتوقف هذا الاحتفال على عامة الناس، بل شاركهم في ذلك سلاطين بني أيوب وأمراؤها حيث يقول أبو شامة: " أن السلطان صلاح الدين قام في سنة 589هـ/ 1193م باستقبال الحجاج الشامي، وعمل على تنظيف طرقاتهم من المياه، لأن هذه السنة كانت كثيرة الأنداء والأمطار، وقد سالت المياه في الطرق كالأنهار" [4].

---

[1]. عبد، محمد خير: عيون الزمان لمن سكن الجولان من عساكر التركمان، د.م، 2004م، ص 73؛ السلوم، عبد الحكيم بن مشوح: درر البيان في تاريخ الجولان، دار الكتاب، دمشق، 2002م، ص 173.

[2]. بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص86.

[3]. زعرور، إبراهيم: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، دمشق، 1993م، ص 168.

[4]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص405-406؛ زكار: الموسوعة الشامية، ج19، ص210.

2 . المؤسسات الاجتماعية:

شغلت المؤسسات الاجتماعية دوراً اجتماعياً مهماً في الدولة الأيوبية حيث غطت معظم مرافق الحياة الاجتماعية ومن هذه المؤسسات:

أ . الأسرة:

يقوم بناء المجتمع بشكل عام على الأسرة، في كل مراحل التطور الإنساني، وتلتزم الأسرة بعادات وتقاليد في الحياة الاجتماعية داخل البيت، من مأكل وأثاث وملبس، وفي أيام المناسبات من أفراح وأتراح، وكذلك في علاقات الأسر بغيرها من الأسرة خلال حقبة ما.

كانت المرأة متى علمت بالحمل، تتحرز على نفسها وتعتني بصحتها، وتقوم باستحضار لوازم المولود، وعند الولادة إن كان صبي، صلت على النبي ﷺ. فعرف المولود ذكراً، وإن كانت أنثى ترضت عن فاطمة الزهراء، يحمل المولود بعدها إلى أحد أقربائه ليؤذن في أذنيه، وبعد عدة أيام من الولادة يُعق له[1]. وكانت أسرة الزوجة تقدم طعام ويأخذ الزوار بالقدوم للتهنئة، ويحمل المهنئون الهدايا، ويقدم لهم المغلي[2].

ما إن يشتد عود الصبي ويبلغ مبلغ الرجال حتى يشرع والده بتزويجه، فقد مال الناس إلى الزواج المبكر، والأم هي تختار الزوجة التي لا يراها إلا ليلة زفافه، وعمليات الخطبة، وعقد القران كانت عبارة عن احتفالاً تأتي في مقدمة للاحتفال الكبير بيوم العرس[3].

ب . الرباطات:

عبارة عن بيوت للعبادة، ينقطع فيها الزهاد لمباشرة حياتهم الخاصة وفق قواعد معينة خاصة بكل رباط، ولم يقتصر ذلك على الرجال وحدهم، بل كانت هناك رباطات خاصة بالنساء، التزمن من فيها حياة الزهد، وقد استخدمت الرباطات النسائية لغايات أخرى، منها أنها جُعلت ملاجئ للنساء المطلقات والأرامل صيانة لهن متى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن، فكانت هذه الرباطات تقوم بوظيفة اجتماعية مهمة إلى جانب وظيفتها الدينية[4]. ولم يكن في بانياس

---

[1] . العقيقة: هي الشاة التي تذبح عند ولادة مولود جديد في العائلة، وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال في العقيقة عن الغلام شاتان وعن الجارية شاه. ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص255.

[2] . زعرور: الحياة الاجتماعية ، ص 158.

[3] . زعرور: الحياة الاجتماعية، ص 159.

[4] . عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص 230 . 231.

رباطات، بل كانت أكواخ صغيرة، ضمت عشرات من المتصوفة وأسرهم، حيث كانوا يعيشون في حالة تكيف مع الطبيعة[1]. ومن فقهاء بانياس:

- أبو الحسين التنوخي البلوطي: هو زيد بن عبدالله محمد نزل في أكواخ بانياس ، له كتاب في الجوع تحدث فيه عن أستاذه وشيخه ابراهيم بن مهدي البلوطي[2].

- أبو بكر الرملي المعروف بابن النابلسي: محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، كان إمام في الحديث والفقه، وله مكانته عند الخاصة والعامة[3].

- أبو أحمد الطبراني: عبدالله بن بكر بن محمد، ولد في سنة 329هـ/940م، عني بالحديث وجمعه وتوفي في سنة 409هـ/1018م[4].

- وجميل بن يوسف المادرائي: الذي قدم من بغداد إلى دمشق في سنة465هـ/ 1072م، ثم نزل إلى بانياس وتوفي فيها في سنة 484هـ/1091م[5].

---

[1]. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص115.

[2]. الذهبي: تاريخ الإسلام، تح: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج28، ص100.

[3]. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج1، ص51.

[4]. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج27، ص373.

[5]. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص282.

ج . الأوقاف:

لقد كثرت الأوقاف بشكل واضح في هذه الآونة، حيث كانت تضمن مورداً ثابتاً للمنشآت، يضمن لها البقاء والاستمرار في أداء رسالتها، دون خشية العوز والإفلاس، وكان لهذه الأوقاف إدارة تشرف عليها يرأسها متولي الأوقاف، الذي يشرف على أوقاف المسلمين، سهر على إنفاق أموالها في الجهات المخصصة لها[1]، ومثال ذلك مسجد وقفه الملك السعيد بن عثمان في قرية الضرمان في بانياس، حيث كان للمؤذن في الشهر عشرون درهماً ، و هناك ستة عشر مقرئ لكل واحد منهم في الشهر 60 درهماً ، ويزاد كل واحد منهم عشرة دراهم، يشتري في كل شهر شمع وزيت، وللمدرس في الشهر 150 درهماً [2].

2 . السقايات:

وهو موضع السقي، أو ما يعرف باسم السبيل، وقد كثر هذا النوع من عمل الخير بوازع من شعور ديني عميق في كثير من المدن الإسلامية، وخاصة المدن الدينية كمكة وبيت المقدس، وفي الخانات والمحطات والنزل الواقعة على طريق المسافرين والتجار [3].

ه . الحمامات:

تميز العصرين الزنكي والأيوبي بكثرة الحمامات العامة، ذلك أن الحمامات الخاصة لم تكن موجودة إلا في قصور الحكام والعظماء، وكثرة الحمامات لها دلالتها الاجتماعية والصحية فالمريض يحتفل احتفالاً كبيراً بدخوله الحمام، إذ يأتي ذلك إعلاناً لشفائه.

والعروسان يدخل كل منهما الحمام قبل حفل الزفاف[4]، في حفل كبير يعتبر من الأعياد العائلية حيث يغادر الواحد منهما الحمام في موكب رائع يحضره الأهل والأحباب، مما زاد في مكانة الحمامات ورفع من أهمية دورها الاجتماعي.

---

[1]. بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص234؛ عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص 224.

[2] . اليونيني، موسى بن محمد: ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م، ج3، ص247-249.

[3]. عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص 225 . 227.

[4]. السبكي، تاج الدين أبو النصر: معيد النعم ومبيد النقم، الإصلاح السياسي والإداري في الدولة الإسلامية، دار الحداثة، 1983م، ص 134 . 135.

يعتبر الحمام بالنسبة للنساء مكان اجتماع عام يتناقلن أخبار الناس وأسرار المجتمع[1]، لقد اعتادت النساء من الأسر، أن يذهبن في موعد متفق عليه، يحملن الأطعمة والأشربة، كذلك آلات الطرب والغناء، فكانت ساحة الحمام تتحول إلى حلبة للرقص وعرض للجمال لذلك اعتاد الرجال الراغبون في الزواج على إرسال نساء تخصصن بأعمال الوصف والتعريف إلى الحمامات من أجل الخطبة، كما أن المرأة كانت تحتفل بعد ولادتها بأربعين يوماً بالذهاب إلى الحمام، وبذلك كان الحمام المكان الذي شهد أعظم النشاطات الاجتماعية السارة[2] وقد بنى الوزير الفاطمي المعلى بن حيدرة حماماً في بانياس عندما هرب من دمشق وأقام في بانياس أربع سنوات [3]. ولاتزال هناك حمامات موجودة حتى الآن منذ عصر الدولة الزنكية مثل حمام نور الدين الشهيد في دمشق.

و . البيمارستانات:

عمل الزنكيون والأيوبيون على تنشيط حركة البيمارستان، وذلك من خلال إيقافهم الأوقاف الوفيرة عليها بحيث تساعد على تأمين متطلباتها، كما اهتموا بالعاملين فيها، فخصصوا الجامكيات ـــ الرواتب ـــ الوفيرة للعاملين بها من الأطباء والصيادلة والخدم، وعدت البيمارستانات مكاناً لعلاج الفقراء دون مقابل، وقد شاركهم الأغنياء في ذلك وفي كثير من الحالات، أعفي هؤلاء من دفع نفقات العلاج، وقد أكد ذلك أبو شامة بقوله: " وأن ذلك جاء موافقاً لما جاء في كتاب الوقف للبيمارستان من جاء إليه مستوضعاً لمرضه أعفي" [4].

كان البيمارستان يتألف من قسمين: خصص إحدهما لمعالجة المرضى من الرجال والآخر للمرضى من النساء، وكان كل قسم مقسماً إلى قاعات مخصصة لنوع من الأمراض، كقاعة الأمراض الباطنية، الجراحة، والتجبير، وسوى ذلك[5]، وفيه ثلاث قاعات الأولى معدة لتركيب وتخزين الأدوية المفردة والمركبة وإعداد الشراب لمختلف الحالات المرضية، والثانية مخصصة لتوزيع الأدوية على المرضى الخارجين أو الموجودين في البيمارستان، أما الثالثة

---

[1]. بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص 236.

[2]. زعرور: الحياة الاجتماعية ، ص159.

[3] . ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص159.

[4]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 9.

[5]. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص256؛ عيسى، أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1982م، ص 18 . 19.

لإعداد طعام المرضى وبيتاً للبواب[1]. ذلك أن البيمارستان النوري لايزال حتى الآن في دمشق مثالاً على اهتمام الدولة الزنكية في بناء البيمارستانات.

حتى أن البيمارستان كان يحتوي بما يسمى بالعيادات الخارجية، حيث ذكر ابن أبي أصيبعة: " أن شيخ الأطباء بالشام، رضى الدين أبو العجاج، يوسف بن حيدره الرحبي، كان يجلس على دكة، ويكتب لمن يأتي إلى البيمارستان الأشربة، والأدوية التي وصفها" [2].

3 . مكانة المرأة ودورها الاجتماعي:

نالت المرأة حظاً وافراً في الحياة الاجتماعية، وشغلت دوراً كبيراً، كأم ومعلمة ومجاهدة، لم تكن ذلك الإنسان المتحجب السلبي الذي لا دور له في الحياة العامة، ولا دخل ولا عمل له إلا داخل جدران البيوت كما يخيل لبعضهم، وللدلالة على ذلك ،عبارة عن ابن عساكر الذي ذكر فيها شيوخه فقال: " بأن جملة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ونيف، وثمانون امرأة " [3].

كانت النساء العالمات اللواتي تصدرن للتدريس يلقين دروسهن، إما بالمسجد أو في البيوت، أو في أماكن مخصصة[4]، ويحبسن الأوقاف على دور العلم، وبعضهم سابق الرجال في هذه المآثر[5]، كما كانت عصمت الدين خاتون بنت معين الدين إنر صاحبة الفضل في بناء مدرسة معروفة باسمهاعلى نهر بانياس في دمشق ، وكان من النساء الكثيرات المتبحرات في العلم والدين، ومن هؤلاء شهيرة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الأبلي الدينوري، وتلقب بفخر النساء، إذ كانت عابدة، صالحة، وكانت تحفظ من الأحاديث حتى صارت حجة في الحديث[6]. وشاركت في غمار الحياة العامة، ومن ذلك ست الشام بنت أيوب، وأخت صلاح الدين التي صنعت الأشربة والأدوية والمعاجين والعقاقير، في كل سنة بألوف الدنانير، وفرقتها على الجرحى والمرضى من المدنيين والعسكريين[7].

---

[1]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص9؛ عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص 20.

[2]. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص371 . 372، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص369.

[3]. بدران، عبد القادر: تهديب تاريخ دمشق الكبير، بيروت، 1979م، ج1، ص7.

[4]. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج7، ص 127.

[5]. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج9، ص363.

[6]. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج7، ص 85.

[7]. النويري: نهاية الأرب، ج29، ص97؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص606.

4 . دور العلماء والأدباء:

نال العلماء والأدباء في العصرين الزنكي والأيوبي مكانة محترمة، وشغلوا دور كبير في أمور الدولة العامة، ووجهوا النقد للحكام في السياسة، وفي المجالس العلمية[1] ، وكان رأيهم مسموعاً، فقد زخر مجلس كلاً من نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي بالعلماء والأدباء، من المشرق والمغرب وتعهدوهم بالرعاية والتشجيع ومن هؤلاء العلماء برهان الدين البلخي[2]، وابن عساكر صاحب تاريخ دمشق[3].

كذلك قام الوعاظ والخطباء بدور مهم، في خدمة الجيوش الزنكية والأيوبية، حيث كانوا يلهبون حماسة الجند في المساجد أو ساحات القتال، وكان كل من نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي يقرب الخطباء إليه، ويغدق عليهم المنح والعطاء والهبات، وخاصة للذين يحثون الجند على المقاتلة، وخوض المعارك[4]، وكان من أشهر الوعاظ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أغلي الحنفي سبط ابن الجوزي الذي توفي في سنة 654هـ/ 1256م.

5 . الملابس:

تعد الملابس من المظهر العام للسكان، حيث لها دلالاتها الاجتماعية، فجودة الأقمشة والأبهة تدل على مكانة المرتدي لهذه الملابس، وبساطة الملبس تدل إما على الزهد، أو الفقر، أو متوسط الحال. كان لباس السلطان مميز عن سائر أفراد الرعية، كما تميز الجند بألبستهم عن المدنيين، وكان السلطان شعاره عمامة سوداء، وجبة سوداء، مع حزام مذهب يستخدم كحامل للسيف، وملابس العلماء والقضاة ثمينة جداً.

أما بالنسبة للمرأة فقد تلبس قميصاً من قماش رقيق، كشف ما تحته وفوق القميص رداء اسمه الفوقانية، وأولت نساء ذلك العصر اهتماماً كبيراً في صنع الألبسة لذلك أسرفن في الأقمشة وتوسيع أكمام الثياب[5]، كما اعتنت النساء في صنع السراويل، من حيث اللون والطول والقصر

---

[1]. الحموي: معجم الأدباء، تح: عمر فاروق الطباع، دار المعارف، بيروت، 1999م، ج4، ص 415؛ شلبي، أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م، ص 195-196.

[2]. السرطاوي، محمود فايز: نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، دار البشير، عمان، 1990م، ص22.

[3]. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج1، ص6.

[4]. الرمادي: صلاح الدين الأيوبي، ص 86.

[5]. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص267 . 268.

ونوعية الجواهر والحلي المستخدمة عناية كبيرة، ووضعت النساء بعض أقنعة مختلفة الألوان، والأحجام حول الوجه، لكن هذا لم يمنع أن بعض النساء كن يظهرن سافرات الوجوه في الشوارع، والأماكن العامة، وأثناء الاحتفالات والأعياد والمناسبات المختلفة[1].

ج . الحياة الثقافية والفكرية:

لم تنحصر شهرة الزنكيون والأيوبيون في الدفاع عن البلاد الإسلامية، وتوحيدها وتحرير ما اغتصب منها فقط، بل اهتموا بالعلم والعلماء، وما قدموه في هذا الجانب المهم من حياة دولتهم، حيث غدت الروح السائدة فيها، روح الثقافة والعلم ، وقد بذلوا للعلماء ثمن عملهم بكرم وسخاء، وشيدوا لهم المدارس، والمعاهد، فقدِمَ العلماء من كل قطر وناحية إلى هذه البلاد التي راجت فيها بضاعتهم[2].

كانت الحواضر العلمية منتشرة في جميع أنحاء الدولة الزنكية، وكان العلماء والأدباء يتنقلون من حاضرة إلى أخرى ينشرون العلم والأدب ويستزيدون منه بتشجيع من نور الدين زنكي ونوابه في هذه الحواضر. وترجع الروح العلمية ونشاطها وسيادتها في الدولة الأيوبية، إلى أن الأيوبيين هم أنفسهم كانوا علماء، وكان لديهم مؤلفات متنوعة في العلوم والفنون، وقل من الأيوبيين من لم يكن شاعراً أو لم يقل الشعر[3].

لقد عني صلاح الدين بأمر الثقافة، فكان يجمع حوله رجال العلم ويحضر مجالسهم ليستمع إليهم، ويشاركهم في أبحاثهم، كما أنه كان مولعاً بالأدب ومشجعاً للأدباء[4]، فقد استخدم العماد الأصفهاني في الكتابة، وقد كان القاضي الفاضل قد قدمه إليه على الرغم من تمسك صلاح الدين بالقاضي الفاضل في بداية الأمر، حيث خاطبة قائلاً: " أنت كاتبي ووزيري " كذلك كان ابنه العزيز عثمان من المهتمين بعلم الحديث واللغة وعلم النحو.

كان المعظم عيسى صاحب دمشق، عالم البيت الأيوبي من غير منازع، وحامل راية ثقافتهم وفخر السلطة الأيوبية على مر الزمان، حيث قال ابن الأثير: " نفق العلم في سوقه، وقصده العلماء في الآفاق، فأكرمهم، وأجرى عليهم الجرايات الوافرة، وقربهم وكان يجالسهم،

---

[1]. زعرور: الحياة الاجتماعية ، ص 205.

[2]. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، دار الآفاق، بيروت، 1906م، ج4، ص329.

[3]. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص315؛ ابن الأثير: الكامل، ج12، ص183.

[4]. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص 392؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص315.

ويستفيد منهم ويفيدهم، وكان يرجع إلى علم وصبر على سماع ما يكره، لم يسمع أحد ممن بصحبته منه كلمة سوء"[(1)]. والملك المعظم، العالم الفقيه، المجاهد في سبيل الله، النحوي، اللغوي[2]، لهذا اهتموا بإنشاء المدارس في مختلف مناطق السلطنة ودعموا المؤسسات العلمية.

1 . المؤسسات العلمية:

تنوعت أماكن التعليم في العصرين الزنكي والأيوبي، وتعددت كالمدارس، والمساجد، والخوانق والربط كلها أماكن لتلقي القرآن والعلوم الدينية وعلوم اللغة العربية وغيرها.

أ . المدارس:

اهتم الزنكيون والأيوبيون بالعلم والعلماء ونهضوا بفتح المدارس حتى زاد عددها في تلك الحقبة زيادة، تلفت النظر في بلاد الشام، لذا بدأ صلاح الدين خطته لإسقاط الخلافة الفاطمية، فأنشأ مدرسة لتدريس المذهب الشافعي، وعين صدر الدين بن درباس الشافعي قاضياً للقضاة، وأناب عنه قضاة شافعية في سائر الديار المصرية [(3)]، ويعلق ابن واصل على ذلك بقوله: " فانتشر مذهب الشافعية، واندثر مذهب الإسماعيلية بالكلية، وانمحى أثره، ولم يبق أحد من أهل البلاد يمكنه التظاهر به ".[(4)]

قام الأمراء والولاة بإنشاء المدارس ومن بينهم ولاة بانياس ففي سنة 590هـ/ 1193م أنشأ الأمير عز الدين جُرديك مدرسة وانتهت في سنة 591هـ/1194م[(5)] ، وفي سنة 608هـ/ 1221م كان فخر الدين جركس نائباً للملك العادل على بانياس، فبنى المدرسة الجركسية التي اعتنت بتدريس المذهبين الحنفي والشافعي[(6)]، وكانت الغاية من بناء المدارس وسيلة لتخريج موظفين وأساتذة متعمقين بالمذهب السني، كي يتولوا الوظائف الحكومية[(7)]، وكانت المدارس تدرس العلوم الدينية لذلك قصد السلاطين والأمراء والأغنياء من تأسيسها التقرب إلى الله وكسب

[(1)]. الكامل، ج12، ص183.

[(2)]. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص425.

[(3)]. غنيم، إسمت: الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص23.

[(4)]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص197-198؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج1، ص121.

[(2)]. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص275.

[(3)]. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص496-497.

[(7)]. الحموي: معجم الأدباء، ج5، ص415؛ شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص 195 - 196.

الثواب. ولكن لم تتوفر في المصادر التي أمكن الحصول عليها معلومات تفيد بأنهم أنشأوا مثل هذه المدارس في بانياس ذاتها.

ب . الكتاتيب:

هو نظام قديم في بلاد الشام، وكان الصبي يلتحق بإحدى هذه الكتاتيب، لتعلم القرآن، ويحفظ طرف من الحديث الشريف، كما كان يتعلم الخط العربي ويحاول أن يتقنه، ويتعلمون أيضاً أصول الحساب، ويحفظون بعض الشعر، والمأثور من الحكم والأمثال[1].

ج . المساجد:

شغلت المساجد دوراً بارزاً، في إحياء الحركة الثقافية، إضافة لكونها مكاناً للعبادة حيث كانت تعج بطلاب العلم بشتى أصنافهم، منهم الماهر في علم قراءات القرآن أو تفسيره، ومنهم النابغ في النحو والصرف والعروض أو أوزان الشعر، وقد تميز التعليم في المساجد بالحرية المطلقة بالنسبة للمدرسين والطلبة في اختيار المناهج. وكانت المساجد أيضاً مكاناً يجلس فيه القاضي للنظر في المظالم، ومن قضاة بانياس:

- أحمد بن ابراهيم بن فراس بن علي بن معروف، كان متولي النظر في المظالم.
- عماد الدين الشافعي، قاضي عجلون، ولي القضاء في بانياس[2].
- الأعز محمد بن هبة الله بن خلف التميمي، تولى القضاء في بانياس [3].

د . الأربطة والخوانق:

الخانقاه بيت الصوفية ومدرستهم، وكذلك الرباط إلا أنه بني أصلاً بغاية المرابطة للجهاد، كان تعليم الصوفية على قسمين قسم إجباري غالباً ما يتعلق بالأمور الدينية واللغة العربية، وهي العلوم التي يترتب على الصوفي الاشتغال بها، ويلزم بحضور دروسها، وآخر اختياري يختاره الصوفي بحسب قابلياته واستعداداه[4].

---

[1]. الرمادي: صلاح الدين الأيوبي، ص66.

[2]. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 344-449.

[3]. ابن العماد: شذرات الذهب، ج6، ص166.

[4]. بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص208 . 209.

2 . الهيئة التدريسية: وتتألف من:

أ . المدرسون:

يقف المدرس على رأس هيئة التدريس، ويشترط فيه العلم التام بمادته، وحسن الديانة، والورع والتقى، يتم تعيينه من قبل واقف المدرسة، ولا يمكن أن يحل فيها مدرس جديد عوضاً عنه، إلا إذا تنازل المدرس السابق له[1]، إما كلياً أو جزئياً، كأن يتنازل عن ثلث التدريس، أو نصفه مجاناً أو مقابل تعويض[2].

ب . المعيدون:

يعتبر المعيد من أعضاء الهيئة التدريسية، وهو المدرس الثاني للطالب يعيد الدرس على الطلاب، ويتوقف لشرح النقاط أو المشاكل التي يتم فهمها من الأستاذ ويكون اشتراك المعيد في التدريس مع أستاذه بداية لترقيته إلى رتبة مدّرس[3]، على أن يرحل في طلب العلم[4].

ج . الطلاب:

يطلق عليهم اسم فقهاء المدارس، ولم يكن يشترط سن معينة لقبول الطالب في المدرسة، ولكن بعض الواقفين وضعوا شروطاً، مضمونها أن تتوفر في طلبة مدارسهم، الرغبة والقابلية التعليم، واتصافهم بالفطنة والذكاء[5]، ويتدرج الطالب في مراحل تعلمه حتى يصبح فقيهاً، ويختص بعلم من العلوم التي يؤثرها.

لم يكن الرجال وحدهم الذين يتلقون التعليم، فقد نالت المرأة حظاً في المجال التعليمي، وإن لم تتعلم التدريس في المدارس، وشغلت بعض النساء دوراً لا يقل أهمية عما قام به الكثير من العلماء والفقهاء، وتتلمذ على أيديهم الكثير من الطلبة، فقد ذكر ابن عساكر، أن جملة شيوخه ألف وثلاثمائة ونيف وثمانون امرأة[6].

---

[1]. النعيمي: تاريخ الدارس في المدارس، ج1، ص 537.

[2]. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص395 . 396؛ بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص210.

[3]. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص464.

[4]. النعيمي: تاريخ الدارس في المدارس، ج1، ص203.

[5]. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ص 105 . 107.

[6]. ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص7؛ علي: خطط الشام، ج2، ص 75.

مما تقدم، كان من أبرز السمات العامة للثقافة في العصرين الزنكي والأيوبي، الاهتمام بالثقافة الدينية من علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف والفقه الإسلامي، وهنالك إلى جانب العلوم الدينية، العلوم اللغوية، والعلوم التاريخية والاجتماعية، وعلم الطب وعلوم أخرى متفرقة[1].

3 . العلوم الأدبية:

أ . الشعر:

تميز العصرين الزنكي والأيوبي بطابع خاص هو طابع الجهاد والكفاح ضد الفرنجة، ومن ثم كان من الطبيعي أن تنعكس تلك الصورة في نفس الشعراء والكتاب في جميع أنحاء المشرق العربي، فانطلقت ألسنتهم وأقلامهم تشير بالانتصارات، وأعمال البطولة، وتمدح أبطالها المدافعين عن الإسلام والعروبة، وتعبر عن أمانيها وآمالها بمستقبل أفضل[2].

لقد كان صلاح الدين أكثر تذوقاً للأدب، فقد روي عنه أنه كان يحفظ كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي، وكان يتذوق الشعر، ويردد بعضه في مجالسه، ويميز المجيد من الرديء منه[3]، ولم يكن صلاح الدين الوحيد من بني أيوب في تذوق الشعر والأدب، بل كان هناك العديد منهم، يتبارون مع الشعراء في مدارس الشعر والنثر ونقدهما، ولقد كان لبعضهم ميل فطري إلى الكتابة وقول الشعر، حتى أن بعضهم كان يجيد قرضه، وإنشاءه.

فالأفضل علي بن يوسف بن أيوب بن شاذي نور الدين أبو الحسن، أكبر أولاد صلاح الدين المعهود إليه بالسلطنة الذي كانت بانياس من أملاكه، كان فاضلاً، شاعراً، حسن الحظ[4] ومن شعره[5]:

أَمَا آنَ لِلسَّعْدِ الَّذِي أَنَا طَالِبٌ ... لِإِدْرَاكِهِ يَوْمَاً يَرَى وَهُوَ طَالِبِي؟

تُرَى هَلْ يُرِينِي الدَّهْرُ أَيْدِي شِيعَتِي ... تَمَكَّنَ يَوْمَاً مِنْ نَوَاحِي النَّوَاصِبِ

---

[1]. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص332.

[2]. العبادي، أحمد مختار: تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1995م، ص 94 . 95.

[3]. أبو شامة: الروضتين، ج1، ص 229؛ الحموي: معجم الأدباء، ج20، ص 180.

[4]. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص108؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص 256؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص 637.

[5]. الخضر، عبد الحنين: ديوان السلطان خليل الأيوبي (نجوم الفلك من نظم الملك)، دمشق، 1963م، ص 71.

منهم تاج الملوك بوري بن أيوب بن شاذي بن أصفر بن أيوب ومن شعره[1]:

يَا مَانِعِي، أَنِ أَجْتَنِي زَهْرَاً فِي رَوْضَتَيْ خَدَّيْهِ مُنْتَبِهِ
لَا تَبْخَلَنَّ عَلَى الْمُحِبِّ بِمَا يُبْلِي غَدَاً، وَتَزُولُ بَهْجَتُهُ

منهم المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي حيث قال سبط بن الجوزي : " أنه لا يقيم وزن الشعر في بعض الأوقات مع أنه له تصنيفاً في العروض وله ديوان شعر " [2].

منهم الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن شاذي، صاحب حماة ــ أبو الفدا ــ كان فيه مكارم وفضيلة من فقه وطب وعلم وهيئة وأدب، وكان محباً للعلماء مقرباً لهم، صنف تقويم البلدان فهذبه، وله المختصر في أخبار البشر ونظم الحاوي[3].

منهم العماد الكاتب الذي رثى صلاح الدين عند وفاته بقصيدة بلغت مئتين واثنين وثلاثين بيتاً فقال:

بِاللهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ، الَّذِي للهِ خَالِصَةً، صَفَتْ نِيَّاتِهِ
أَيْنَ الَّذِي شَرُفَ الزَّمَنُ بِفَضْلِهِ وَسَمَتْ عَلَى الْفُضَلَاءِ تَشْرِيفَاتِهِ
أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْفِرَنْجُ لِبَأْسِهِ ذُلَّاً؟ وَمِنْهَا أَدْرَكَتْ ثَارَاتِهِ[4]

ب . النثر:

اتصف النثر بإتقان الصناعة اللفظية، والتفنن في البديع والجناس، والسجع، والمبالغة في التنميق، كما يبدو ذلك في كتابات عماد الدين الأصفهاني، وخاصة كتاب الفتح القسي، الذي أرخ فيه، تحرير صلاح الدين لبيت المقدس، ومن أعلام النثر في ذلك العصر، القاضي الفاضل المتوفي في سنة 596هـ/ 1202م، كان وزير صلاح الدين وكتب عدداً ضخماً من الرسائل والكتب[5].

---

[1]. الخضر: ديوان السلطان خليل الأيوبي، ص62.

[2]. ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص218؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص276، المقريزي: السلوك، ج1، ص224.

[3]. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج1، ص 183؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص 458.

[4]. الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق، ص 130 . 131.

[5]. أبو شامة: الروضتين، ج2، ص 242.

من شعراء هذا العصر عرقلة الكلبي[1]، شاعر عربي أصيل كانت الفصاحة أبرز ظاهرة في حياته، كما كانت النكتة وخفة الدم، من ميزاته التي عرف بها[2]، وله في صلاح الدين مدائح وله منائح، فمن جملة قوله فيه حيث كان صلاح الدين، قد وعده أنه متى ملك مصر أن يعطيه ألف دينار فقال:

قُلْ لِلصَّلَاحِ مُعِينِي عِنْدَ إعْسَارِي ... يَا أَلْفَ مَوْلَايَ، أَيْنَ أَلْفُ دِينَارِ

أَخْشَى مِنَ الْأَثَرِ، إنْ حَاوَلْتُ أَرْضِكُمْ ... وَمَا تَفِي جَنَّةُ، الْفِرْدَوْسِ بِالنَّارِ

فَجَدْبُهَ كَاضْطِرَابَاتٍ مُسَطَّرَةٍ ... مِنْ بَعْضِ مَا خَلَّفَ الطَّاغِي أَبُو الْعَارِ

حُمْراً كَأَسْيَافِكُمْ،عَزاً عَتْقَاً ... ثِقَالاً، كَخَيْلِكُمْ كَأَعْدَائِي وَأَطْمَارِي[3]

منهم أيضاً، الأمير مؤيد الدولة، ولد في سنة 418هـ/1027م، ومن أشعاره التي أنشدها، وكان بجلسة صلاح الدين مع العماد الكاتب وكان يلعب الشطرنج:

انْظُرْ إلَى لَاعِبِ الشَّطْرَنْجِ يَجْمَعُهَا ... فَغَالِبَاً ثُمَّ بَعْدَ الْجَمْعِ يَرْمِيهَا

كَالْمَرْءِ يَكْدَحُ لِلدُّنْيَا وَيَجْمَعُهَا ... حَتَّى إذَا مَاتَ خِلَّاهَا وَمَا فِيهَا[4]

ج . التاريخ:

نشطت حركة التأريخ على نطاق واسع، بسبب الدعم الذي تلقاه من خلال طائفة من العلماء، ومن خلال عناية بعض السلاطين والأمراء والأشخاص الآخرين من ذوي السلطة.

اتخذ العمل التأريخي في هذا المنحى، منحيان: الأول التاريخ العام، كما في الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري[5]، والثاني التاريخ المحلي، وهو من النوع المفضل لدى مؤرخي هذه

---

[1]. عرقلة الكلبي: هو أبو الندى حسان بن نميره، شاعر عربي أصيل، عاش في دمشق، وهو بدوي الأصل من بادية بني كلب، وهي المنطقة التي تقع إلى الشرق بين دمشق وحمص وحماة وتمتد إلى تخوم العراق، وتسمى بادية السماوة، نشأ في هذه الصحراء على عادة أهلها، وكان يتردد إلى دمشق بين حين وآخر، استقر في هذه المنطقة التي تقرب منازل الأمراء من آل أيوب وعلى رأسهم صلاح الدين الذي سمع شعره، وأغدق عليه من أعطياته، العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم الشام، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1955م، ج1، ص 178.

[2] . ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص 220؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 94.

[3]. عرقلة الكلبي، حسان بن نمير: ديوان عرقلة الكلبي، تح: أحمد الجذري، دار صادر، بيروت، 1992م، ص 49؛ العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج1، ص178 . 179.

[4]. العماد الأصبهاني: خريدة القصر، ج2، ص 516.

[5]. ابن الأثير: الكامل، ج1، ص 16.

الحقبة وهذا النوع بدوره اتخذ أنماطاً عدة منها، ما رتب ترتيباً زمنياً مثل، الروضتين لأبي شامة ومنها أعمال تراجم مثل تاريخ دمشق لابن عساكر، وهناك أعمال جمعت بين التراجم، والتاريخ الحقيقي كالذيل على الروضتين، لأبي شامة، وكان منها التراجم لفئات معينة: كعيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، ومنها الكتابات التي تناولت سير الأفراد، كالنوادر السلطانية، أو ما عرف بسيرة صلاح الدين، وكان منها أعمال تراجم ذات صفة عامة، كما عمل ياقوت الحموي في كتابه إرشاد الأديب.

كما اهتم المؤرخين بالوثائق الرسمية في موادهم، فالعماد الأصفهاني المتوفى سنة 597هـ/1200م خدم في ديوان الإنشاء، حيث اقتبس الكثير من الوثائق التي أعدها بنفسه، وضمنها في كتابه البرق الشامي[1]، والفتح القسي في الفتح القدسي، حيث ذكر في الأول أخبار نور الدين وصلاح الدين يوسف بن أيوب، والفتوحات والحوادث التي جرت، في بلاد الشام في أيامه ودوره فيها شخصياً، وتأتي أهمية كتبه من وثائقيتها ومعاصرة مؤلفها للأحداث، مشاركته فيها، كما هذب الفتح بن علي البنداري، وأطلق عليه اسم سنا البرق الشامي.

أما كتابه الفتح القسي في الفتح القدسي، أوقف مواده على سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب، وفتوحاته، ورتب وقائعه حسب السنين وبدأ بسنة 583هـ/1187م، وهي السنة التي فتح فيها صلاح الدين بيت المقدس ونهاه بوفاة صلاح الدين في سنة 589هـ/1193م.

قد أرخ بعضهم لأنفسهم مثل أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار[2]، الذي توفي في سنة 554هـ/1189م، يتضمن كتابه سيرته، إضافة لحوادث عصره، ومن أعماله النيرين في سيرة العمرين، وهو تهذيب لكتاب عمر بن الخطاب وكتاب مناقب عمر بن عبد العزيز وكلاهما لابن الجوزي[3].

أيضاً المؤرخ القاضي الفاضل، وهو عبد الله بن علي البيساني، توفي في سنة 596هـ/1199م، كان محباً للعلم والعلماء، فجمع في مكتبه ما يزيد على ألف كتاب، وكان له نساخ ومجلدون، وبحكم مكانته الوظيفية في الدول اطلع على مجريات الأحداث، بأدق التفاصيل

---

[1] .حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، القاهرة، 1982م، ج1، ص 239.

[2]. تح: فيليب حتي، برنستون، 1930م.

[3]. الحموي: معجم الأدباء، ج5، ص158؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص331.

وقيل أن مصنفاته تزيد على مائة مجلد، وأغلبها رسائل عسكرية، سياسية واجتماعية، وغير ذلك وقد صنف للقاضي الفاضل، تاريخاً على الحوادث الجارية في كل يوم سمي بالمياومات[1].

حيث نهج القاضي في جميع رسائله وكتابه المياومات أسلوباً إخبارياً قصد من خلاله إظهار براعته الأدبية والبلاغية، وتأتي أهمية رسائله ومصنفه المياومات للمؤرخين، في موضوعية الأحداث التي احتوتها، بسبب معايشته لها، واطلاعه عليها عن كثب، وتخطيطه لدولة صلاح الدين من النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية وغير ذلك.

من مؤرخي هذه الحقبة، ابن حصري وهو الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن حصري الدمشقي أبو المواهب، تلميذ ابن عساكر توفي في سنة 586هـ/1190م، من مؤلفاته فضائل بيت المقدس، وفضائل الصحابة ومعجم الشيوخ[2].

منهم أيضاً المؤرخ المشهور، سبط ابن الجوزي، وهو يوسف بن قز أوغلي، وصل إلى دمشق بعد الستمائة بقليل، وعاش قرابة نصف قرن، واتصل بملوكها، توفي في سنة 654هـ/1256م من مؤلفاته كتاب مرآة الزمان، حيث جعله في أربعين مجلداً، بدأ من أول الزمان، حتى سنة وفاته، ورتب ما بعد الهجرة على السنين، يذكر الحوادث ثم الوفيات[3].

منهم ابن الحاجب[4]، وهو عمر بن محمد بن منصور الأجنبي الدمشقي، المعروف بابن الحاجب، محدث ثقة، مؤرخ وتوفي في دمشق في سنة 630هـ/1232م من مؤلفاته معجم شيوخه، ومعجم للبلدان والبقاع التي سمع بها، وذيّل لتاريخ ابن عساكر، ومنهم ابن الصلاح[5] وهو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن الصلاح الدمشقي، محدث كبير، ومفسر درس بمدارس دمشق، توفي في سنة 643هـ/1245م من مؤلفاته كتاب طبقات الشافعية، وكتاب المؤلف والمختلف في أسماء الرجال.

---

[1]. ابن الأثير: الكامل، ج12، ص159؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص 472؛ الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص527؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص158؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص24-26.

[2]. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الجيل، بيروت، م1992، ص 605.

[3]. ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص271؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 194.

[4]. ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص 138؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص 294.

[5]. السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص 602.

لم تتوقف شهرة كتاب العصرين الزنكي والأيوبي وعلمائه بالعلوم الأدبية، بل عملوا بشتى أنواع العلوم العقلية والعلمية، من هندسة وفلك وطب، ومما يميز هؤلاء، أنهم اشتغلوا بأكثر من علم واحد فمنهم من اشتغل بالعلوم الأدبية والعلمية معاً، أو العلوم الفقهية والعلمية أيضاً أي لم يظهر هناك تخصص بعلم واحد فقط إلا نادراً، وإن كان هناك براعة في علم أكثر من غيره.

4 . العلوم الطبية:

تطور الطب، وتعددت فروعه، وكان هناك أطباء للأمراض الباطنية، وأطباء الأمراض العيون، كان يسمى طبيب العيون كحالة كما كان هناك جراحون وأخصائيون في علاج العظام، وقد تأثر الطب بالثقافة اليونانية، تأثراً كبيراً، وكان لجالينوس ستة عشر كتاباً، تدرس في هذا الوقت، منها كتاب منافع الأعضاء، وكتاب النبض وكتاب المزاج.

كما ظهر الاهتمام بالطب البيطري، لكثرة استخدام الخيول، واستخدم كثيراً، من الآلات الطبية الدقيقة، وقد استخدم الأطباء أساليب معقدة ومتنوعة في علاج المرضى [1].

كما استخدم بعض الأطباء الشعر في الطب، فنظم بعض المنظمات الطبية، ومن ذلك الطبيب محمود بن عمر بن رقيقة، الذي كان ذو قدرة على نظم الكتب الطبية، وتجزئتها في سهولة ويسر، وسرعة وتدعو إلى الدهشة، ووضع أرجوزة في فسد الدم، ونظم كتاباً سماه لطف المسائل وتحف المسائل، توفي في سنة 635هـ/1237م ومن وصاياه الطبية:

تَوقَّ الْإِمْتِلَاءَ وَعَدِّ عَنْهُ وَإِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ
وَإِكْثَارُ الْجِمَاعِ فَإِنَّ فِيهِ عَدُوّاً، لَا دَاعِيَةَ السِّقَامِ
وَلَا تَشْرَبْ عُقَيْبَ الْأَكْلِ مَاءً فَتَسْلَمَ مِنْ مُضِرَّاتٍ عِظَامِ
وَقَلِّلْ مَا اسْتَطَعْتَ الْمَاءَ، بَعْدَ الرِّيَاضَةِ وَاجْتَنِبْ شُرْبَ الْمُدَامِ[2]

منهم موفق الدين عبد العزيز السلمي، كان فقهياً، ثم اشتغل في صناعة الطب وجعل دأبه علمها وعملها، ثم صار طبيب الملك العادل أبي بكر من أيوب وكان شديد الشفقة على الفقراء يعطيهم ما يحتاجون، من الأدوية والأغذية توفي في سنة 600هـ/1203م.

منهم موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة عاش في دمشق، توفي بصرخد، عرف بابن أبي أصيبعة الدمشقي، الطبيب الأديب، مؤلف كُتاب عيون الأنباء في طبقات لأطباء توفي في

---

[1]. الرمادي: صلاح الدين الأيوبي، ص 68.

[2]. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ص 320؛ الرمادي: صلاح الدين الأيوبي، ص 71.

سنة 668هـ/ 1269م[1].

منهم موسى بن ميمون الذي توفي في سنة 601هـ/1204م، وهو الطبيب الخاص لصلاح الدين وابنه الأفضل[2]، ومنهم علاء الدين بن أبي حزم القرشي الدمشقي المعروف بابن النفيس، وقد قيل فيه لم يوجد على وجه الأرض قاطبة نظير له، منذ ابن سينا لم يوجد أحد في عظمته. وقد توفي في سنة 687هـ/1288م[3].

منهم ضياء الدين ابن البيطار، وهو أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النباتي، ويعرف باسم ابن البيطار، من كتبه الإبانة والإعلام في المنهاج من الخلل والأوهام، وكتاب الجامع في الأدوية المفردة والمغني في الأدوية المفردة وهو مرتب بحسب مداواة الأعضاء المصابة، وكتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة[4].

منهم موفق الدين أبو نصر أسعد أبي الفتح الياس بن جرجس المطران كان سيد الحكماء، خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين، وكان له همة عالية في تحصيل الكتب، حتى أنه مات وفي خزانته من الكتب الطبيعية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف كتاب منها، المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية على مذهب دعوة الأطباء، وكتاب آداب طب الملوك[5].

منهم موفق عبد اللطيف البغدادي ويعرف بابن اللباد، كان مشهوراً بالعلوم، متميزاً في النحو واللغة العربية عارفاً بعلم الكلام، والطب، ولد سنة 557هـ/1161م، شرح أربعين حديثاً طبياً لجالينوس وشرح كتاب الأمراض الحادة لأبقراط، واختصار كتاب آلات التنفس مقالة تشتمل على أحد عشر باباً في حقيقة الهواء والغذاء، ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها، مقالة البادئ بصناعة الطب، كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء، كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي[6].

في الحقيقة على الرغم من أن هناك العديد من العلماء والفقهاء الذين نسبوا إلى بانياس، إلا أنه لم يكن هناك معلومات مفصلة عنهم، كان منهم أبو الفضل البانياسي[7]، أبو أحمد

---

[1]. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ص2.

[2]. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ص 582 . 583.

[3]. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص313.

[4]. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص220 . 221 . 222.

[5]. حاجي خليفة: كشف الظنون، ص 247؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص298 . 299.

[6]. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص 330– 349.

[7]. النعيمي: الدارس في المدارس، ج1، ص342.

الطبراني [1]، أبو الحسين التنوخي البلوطي[2].

[1]. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج27، ص372.

[2]. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج28، ص100.

الخاتمة:

تعد حروب الفرنجة التي دامت قرابة القرنين من الزمن، واحدة من أعظم ملاحم تاريخ العروبة والإسلام ومحَنَهُ، ولم تكن هذه المحنة من المحن العابرة، المحدودة الأثر والنتائج. بل هي لكبيرة وخطيرة، ملأى بالدروس والعِظات، مما يتطلب تأملها والبحث فيها في كل وقت – الآن وفي المستقبل– للإفادة من أخطاء الماضي ولتجنبها ولمواجهه مخاطر الحاضر والتغلب عليها.

كانت حروب الفرنجة من أهم خصائص القرون الوسطى، وهي في الواقع شغلت دوراً رئيسياً من أدوار الصراع العتيق بين الشرق والغرب، وقد تركزت معظم حملات الفرنجة ضد منطقة استراتيجية حساسة من الوطن العربي هي بلاد الشام. التي كانت في الماضي مسرحاً تلتقي فيه قوى العالم أجمع وتتصارع وتتمازج، لذلك امتازت بمزايا منفردة خاصة وعامة، وقامت على أرضه أكبر أحداث التاريخ الإنساني وأعظمها وقعاً واستمرارية من حيث النتائج.

الموقع الاستراتيجي المتميز للجولان – ومدنه ومنها بانياس– جعله نقطة تربط الطرق السورية التي تصل بين البلدان العربية المجاورة، وهي نقطة ازدحام القوافل التجارية القادمة من الحجاز واليمن والحيرة، ومن مرافئ البحر المتوسط، مما جعله مركز تفاعل حضاري وثقافي منذ أقدم العصور التاريخية، وتبرز أهمية موقعه من ناحية المواصلات والعبور بربطه أهم مركزين سكانين في بلاد الشام، وهما مدينتي دمشق والقدس. حيث أثر موقعه بشكلٍ واضحٍ كمفترق للطرق على تاريخه كساحة للحرب زمن الحرب، وطريقاً تجارياً في زمن السلم.

عدا عن غنى الجولان بثروته المائية والنباتية الكبيرة، من الينابيع والأنهار والأودية، بالإضافة إلى السهول الزراعية الخصبة والأشجار المثمرة، أما قلعته التي أصبحت تعرف بقلعة النمرود، فَقَدَتْ أهميتها وتداعت أركانها، ولم يبقَ منها سوى أطلال تدل على ماشهدته هذه القلعة من أمجاد دافعت عنها سيوف المسلمين.

ازدادت أهمية بانياس وقلعتها زمن الحروب الصليبية 488–690هـ/1095–1291م وأصبحت منطقة نزاع مستمر بين المسلمين والفرنجة وقاعدة متقدمة لقوات دمشق، وتناوب المسلمون والفرنجة السيطرة عليها مدة من الزمن نظراً لموقعها الاستراتيجي الذي يتحكم بطرق

المواصلات بين دمشق والجليل وساحل صور وصيدا والبقاع الغربي، ولأنها كانت تشكل مركز الدفاع الأول عن دمشق ضد مملكة بيت المقدس. فتاريخ قلعة بانياس(الصبيبة) مشترك مع تاريخ بانياس بأبعاده البشرية للإقامة فيها، والعسكرية للدفاع والهجوم والتحصن والحماية بالإضافة إلى البعد الديني، والاقتصادي حيث ربطت الطرق الرئيسية التي تصل البلدان العربية المجاورة، فشكلت هذه الأبعاد الأهمية الاستراتيجية لبانياس. ومع مرور الزمن فقدت المدينة وقلعتها أهميتها، فأهمل شأنها وتقلصت المدينة إلى حالها اليوم ولحق الخراب بالقلعة فغدت أطلالًا.

في ظل هذه الظروف التي كان يعيشها العالم الإسلامي، في صراعه مع الغزو الفرنجي الطامع سياسياً بتوسيع ممتلكاته في أراضي البلاد الإسلامية، واقتصادياً للسيطرة على أفضل الطرق التجارية في الشرق الإسلامي التي عبر بلاد الشام ومصر. فوقع عبء قتال الفرنجة في هذه الحقبة على الزنكيين والأيوبيين الذين تصدوا لهذه المهمة بجدارة، وقد استطاع كل من نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي بفضل عمق واتساع الأثر الديني في شخصيتها والتزامهما القوي بالسلوك القويم، الذي ساعدهما على القيام بواجباتهما على خير مايرام، ومكنهما من النجاح في بناء دولة متماسكة البنيان في مصر والشام والجزيرة، كانت القاعدة الصلبة التي حققت وحدة المسلمين تحت زعامتهما.

بعد وفاة صلاح الدين جرت خلافات شديدة ودائمة بين أفراد البيت الأيوبي وصراعات مستمرة فيما بينهم على السلطة، لاتوجد حرب حقيقية واحدة قامت بينهم، فأكثر ما في الأمر هو الحصار واستعراض للقوة، فإذا ظفر أحدهم بعدوه نادراً ما يقتله وإذا حدث ذلك فبعد مدة وبشكلٍ سري، إذ لم يكن لخلفاء صلاح الدين من قضية سوى مصالحهم الآنية.

لم تنحصر شهرة الزنكيون والأيوبيون في الدفاع عن البلاد الإسلامية وتوحيدها وتحرير ما اغتصب منها، بل اهتموا بالعلم والعلماء وعملوا على تنشيط العلم وتعزيز مكانته في البلاد قاطبة، فشيدوا المؤسسات العلمية من مدارس وكتاتيب ومعاهد واهتموا بالعلوم الأدبية والطبية.

شغلت بلاد الشام منذ فجر التاريخ أدواراً حاسمة في تاريخ المشرق العربي، وكانت محط أنظار الغزاة والطامعين، إذ أنها تمتلك موقعاً استراتيجياً مهماً ، يتحكم بطرق المواصلات التي

تربط العديد من بقاع المعمورة في الشرق والغرب، فكانت جسراً منيعاً تدفقت عبره باستمرار ثقافات المشرق إلى أوروبة خاصة في الآونة التي اجتاحت فيها أوروبة حضارات المشرق وثقافاته في مرحلة كان يخيم عليها ظلام القرون الوسطى ومخلفاتها.

جاءت حملة الفرنجة الجديدة تحت راية الصهيونية، وسارت على خطى الحملات التي تقدمتها وأمكن الاستيلاء على بانياس وقلعتها في التاسع من حزيران في سنة 1387هـ/1967م. وأسرع قادة الجيش الصهيوني لإجراء الحفريات تحت قلعة الصبيبة على أمل الوصول إلى ثروات يمكن نهبها، إضافة إلى ما يتم من نهب ثروات على أرض فلسطين.

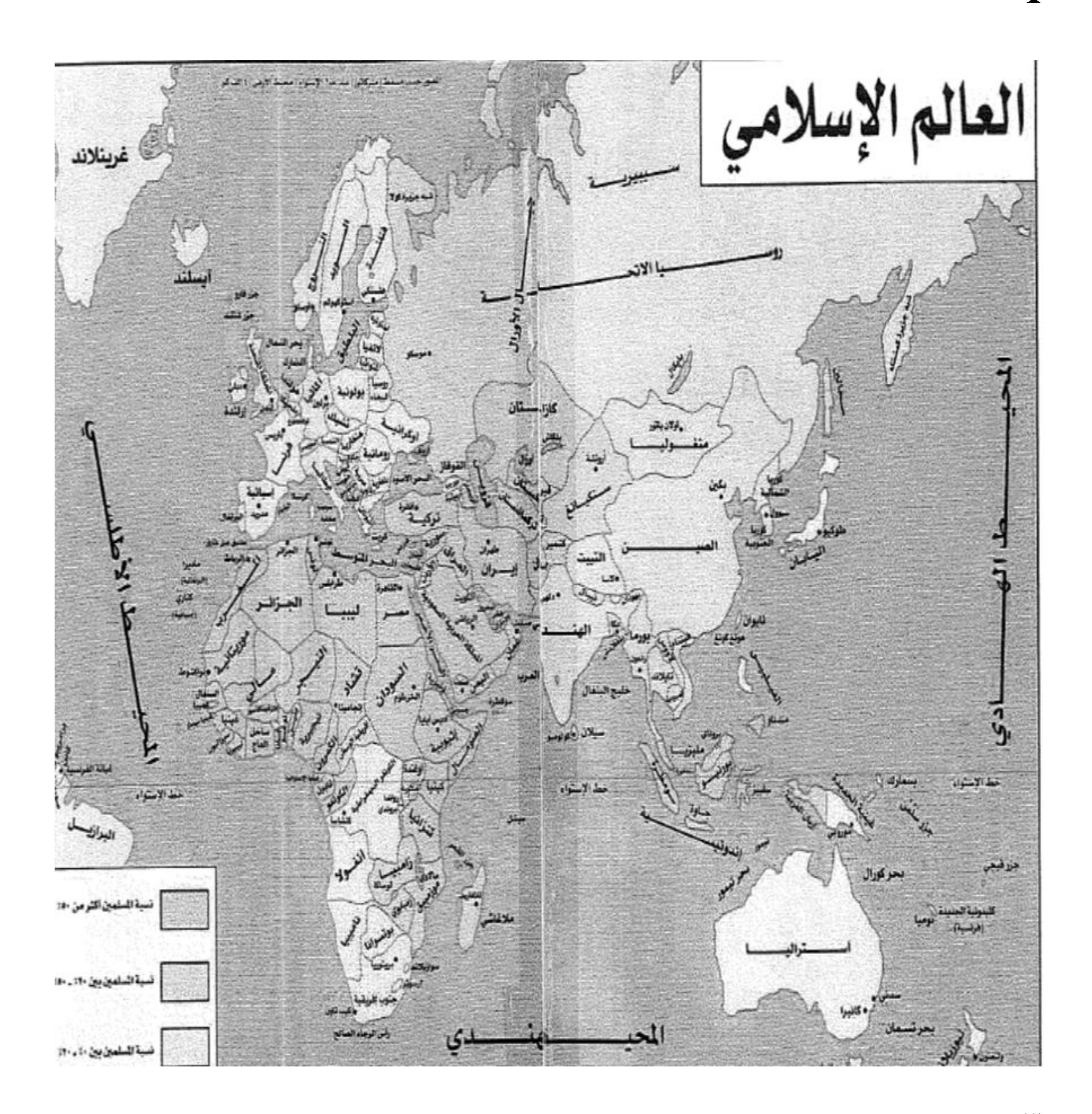
إن فقر المصادر والمراجع بالمعلومات عن بانياس ومعالمها الحضارية في مختلف أدوار تاريخها، خصوصاً في حقبة الدراسة كان من أكبر الصعوبات التي واجهت البحث. إذ أن المعلومات شحيحة ومتناثرة، مما عرقل عملية البحث وأطالها. ويبقى الأمل بظهور مصادر أخرى جديدة للمعلومات ليتم استدراك أي اختصار في جانب من جوانب البحث، ويبقى الكمال لله وحسبي أنني بذلت جهدي.

الملاحق

ملحق رقم (1)

العالم الإسلامي

1

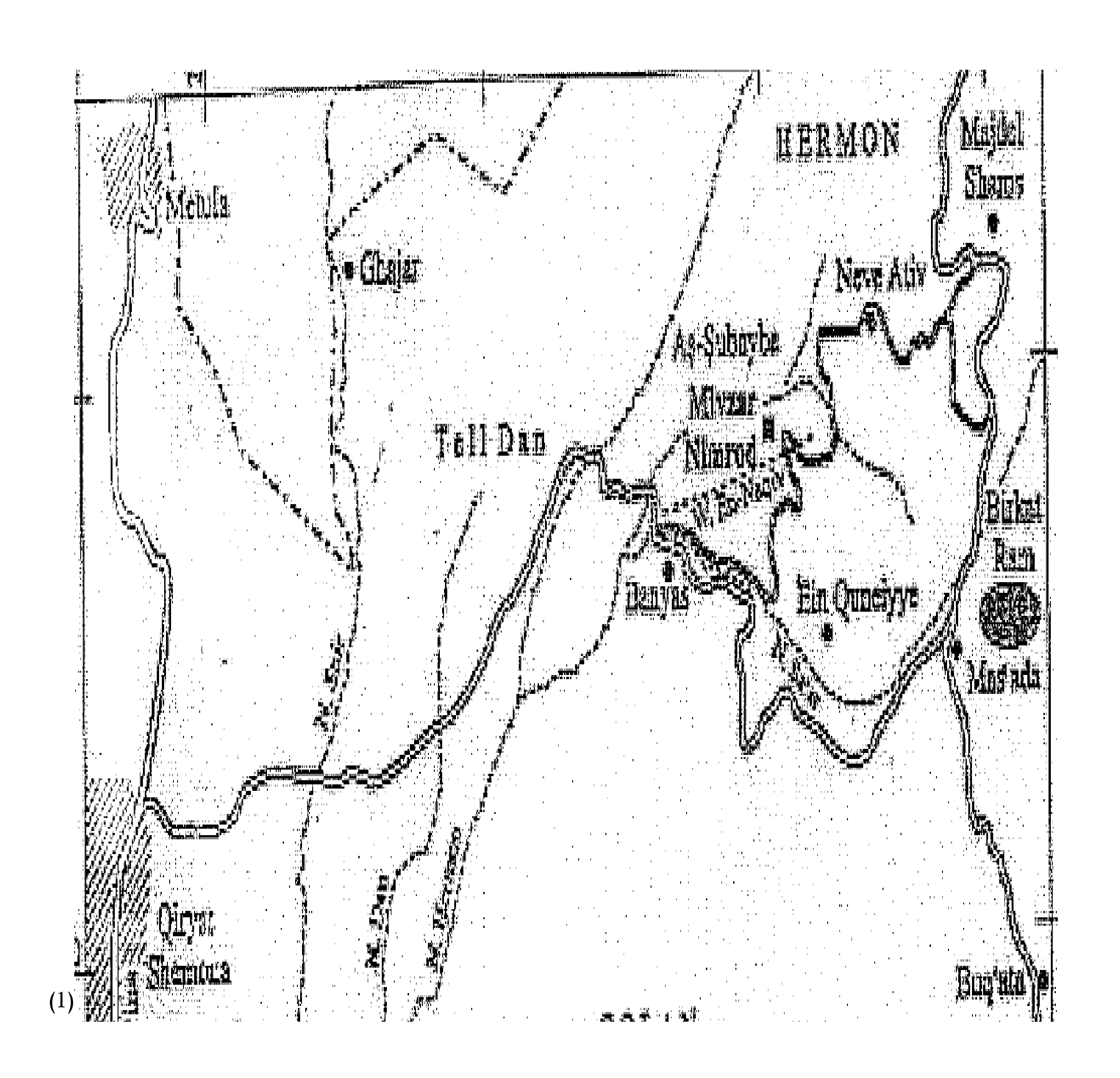


(1)

[1]. أبو خليل، شوقي: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الآفاق، بيروت، 1970م، ج10، ص144-145.

ملحق رقم (2)

الموقع العام لبانياس وقلعتها



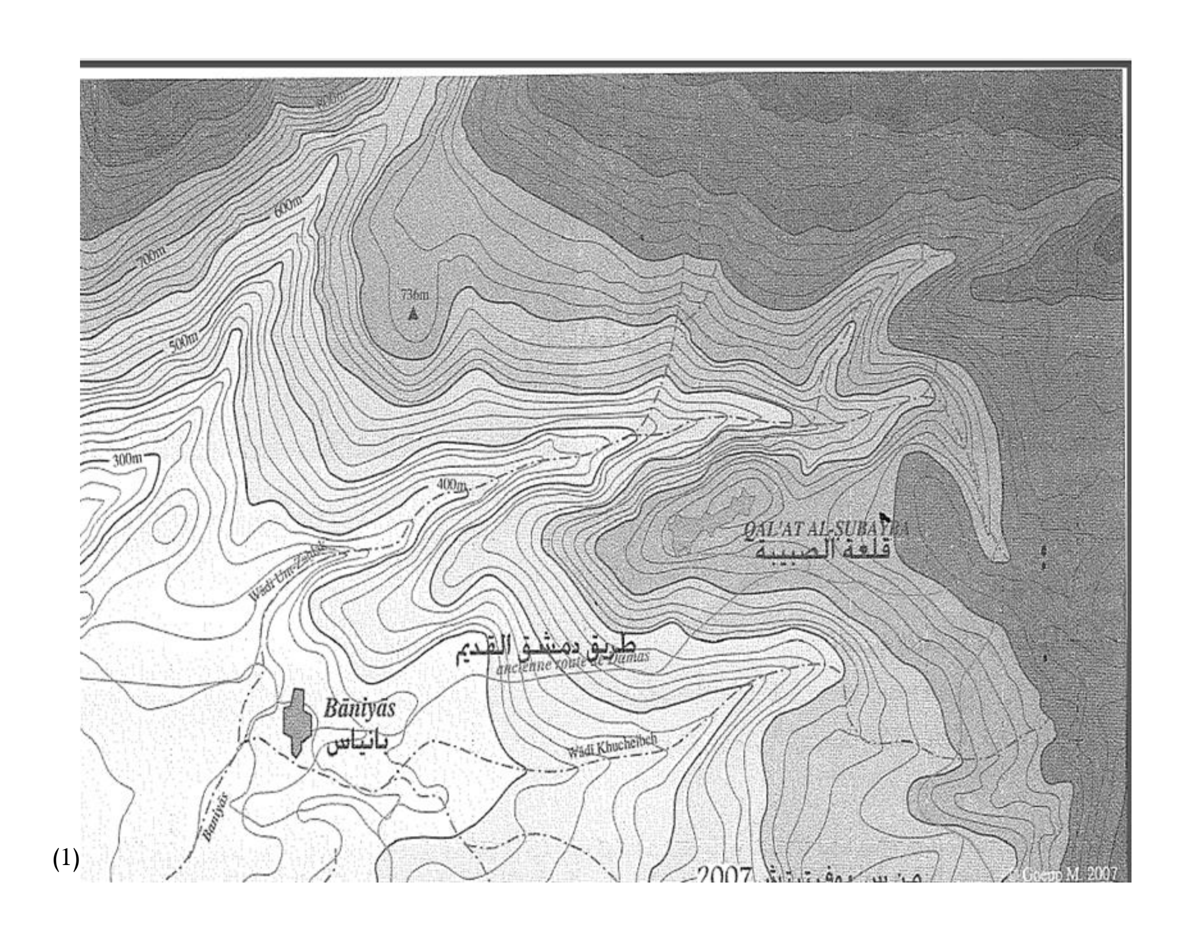
[1]

---

[1].Hartal, Moshe: The Al– Subayba (Nimrod) , Israel Antiquities Authority, Jerusalem, p3.

الملحق رقم (3)

الموقع الجغرافي لقلعة الصُّبيبة

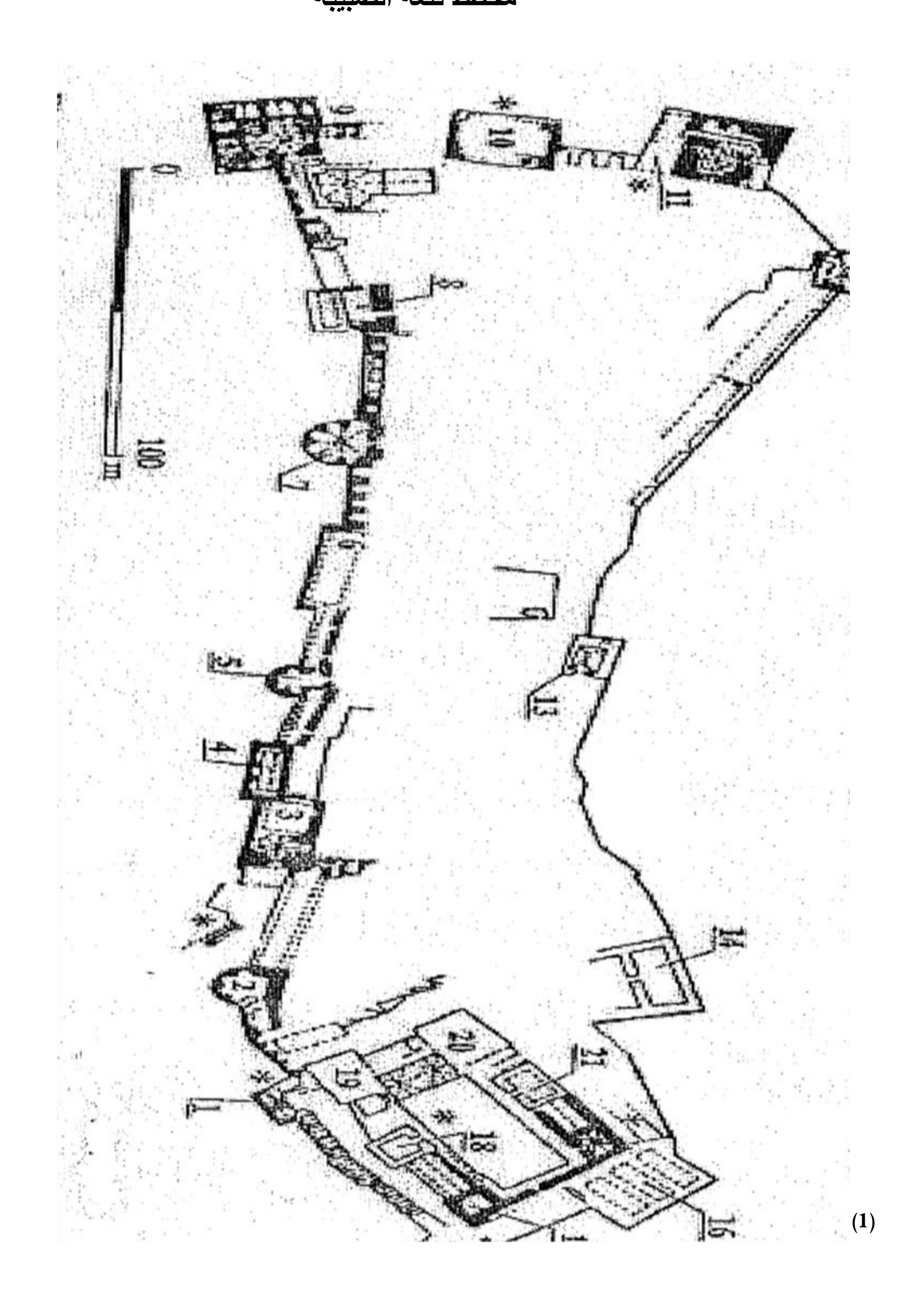
 [1]

---

[1] . حسن، هيثم: قلعة الصبيبة، تاريخ الجولان وآثاره، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 2008م، ص166.

ملحق رقم (4)

مخطط قلعة الصُّبيبة



[1]

[1]. Hartal: Al–subayba, p4

ملحق رقم (5)

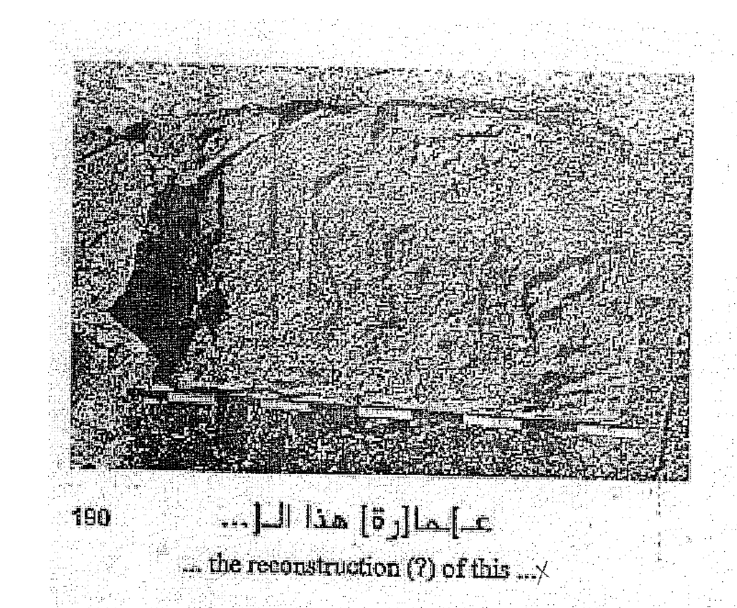
الكتابات العربية على جدران قلعة الصُّبيبة





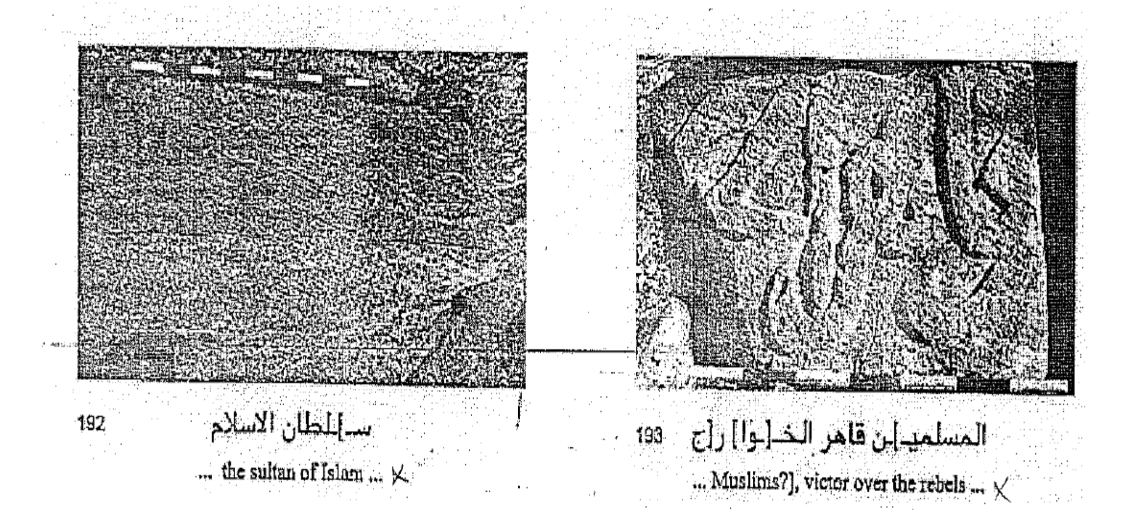
191 المنصوري

... the victorious ...



190 عـ[ـما]رة] هذا الـ[...

... the reconstruction (?) of this ...

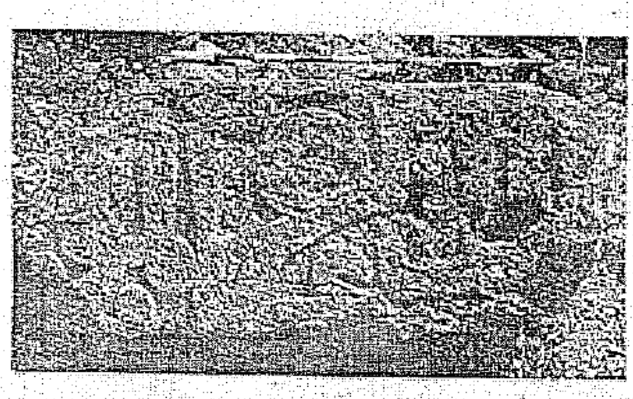


192 سـ]ـلطان الاسلام

... the sultan of Islam ...

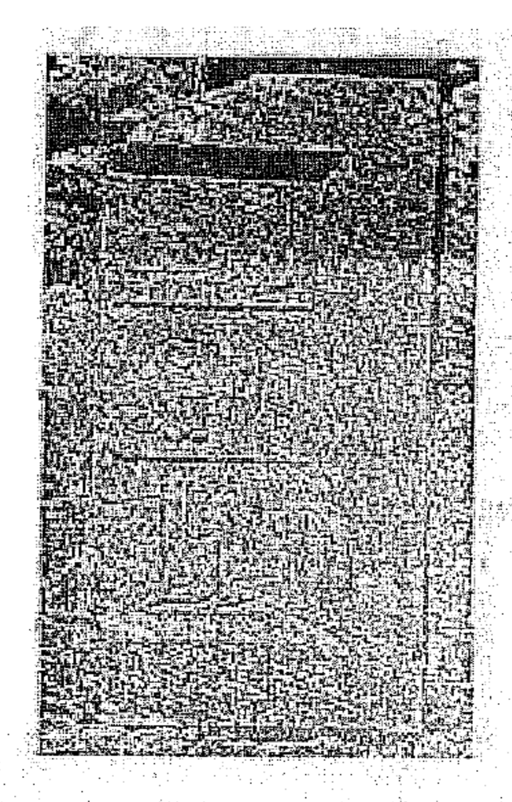
193 المسلمـ]ـين قاهر الخـ[ـوا] ر[ج

... Muslims?], victor over the rebels ...



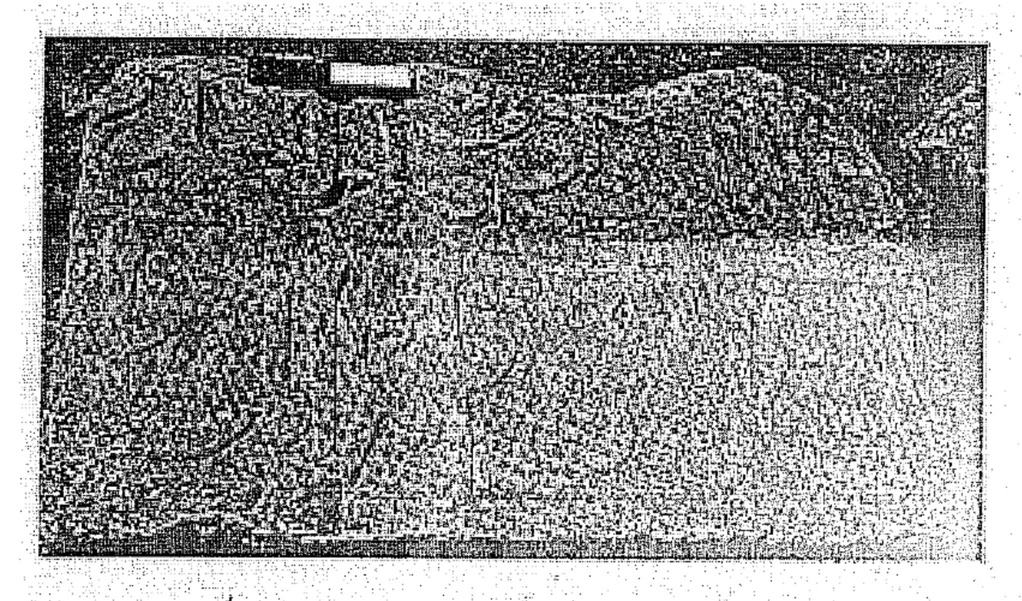
194 ر؟ ناصر؟ امير المؤمنين

... helper? of the commander of the faithful ...



1. بسم الله الـ[رحمن الرحيم ...
2. مما امر بعمـ[ـارة ... or بعمـ[ال ...
3. المخدومي البدري [بدر الدين بيليك

1. in the name of Allâh, the [Merciful, the Compassionat
2. From what had ordered the rebuilding...
3. The well-served al-Badrî [Badr al-Dîn Bilik ...



1. ... الـ]ـعالي المولوي السيدي ...

2. ... السلاطين امين امير المؤمنين الـ]...

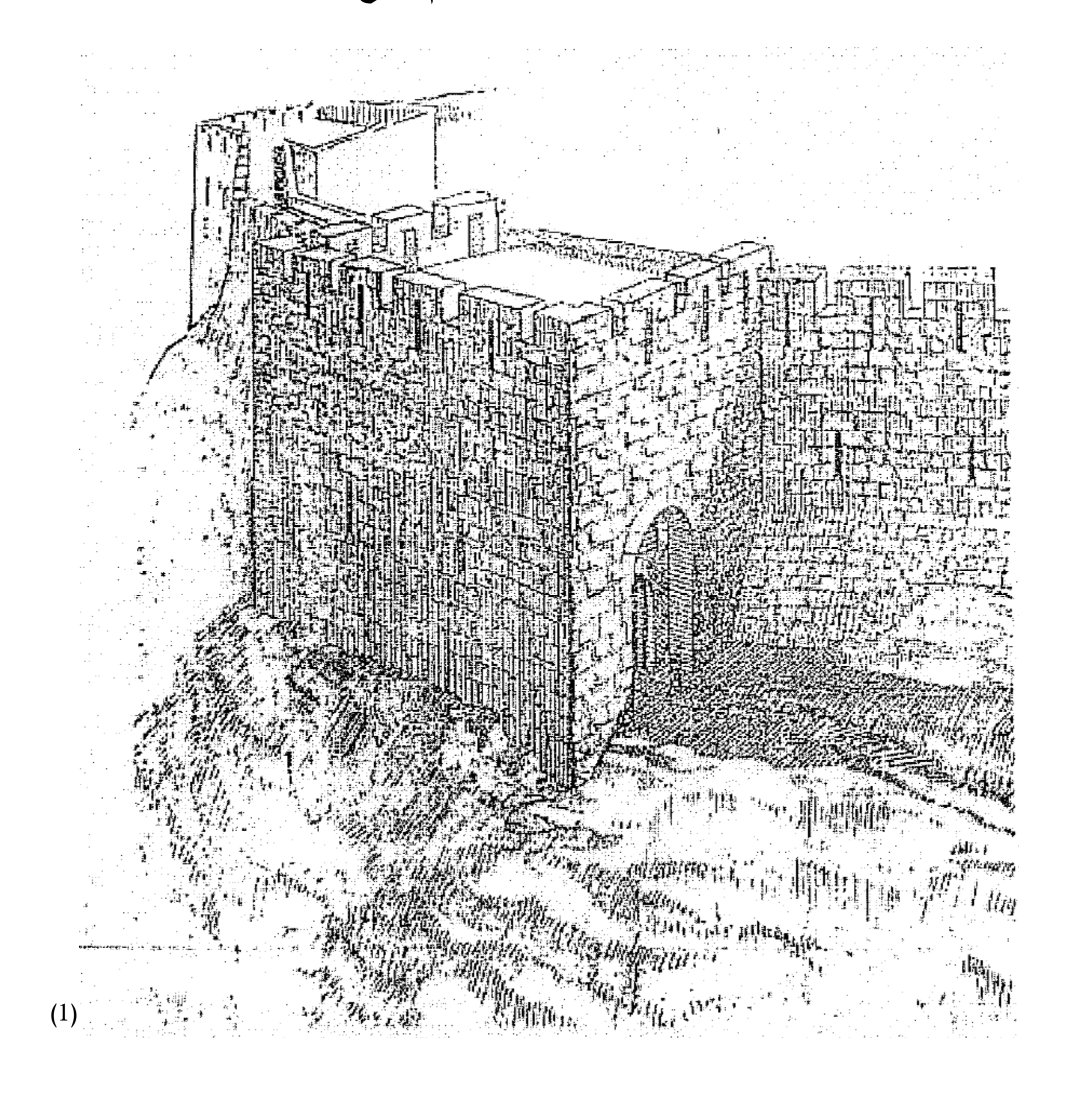
1. ...the lofty, the lord, the master...
2. ...of the sultans, loyal [supporter] of the commander of the faithful, the ...

[1]

[1] – Hartal: The Al-subayba, p118-119.

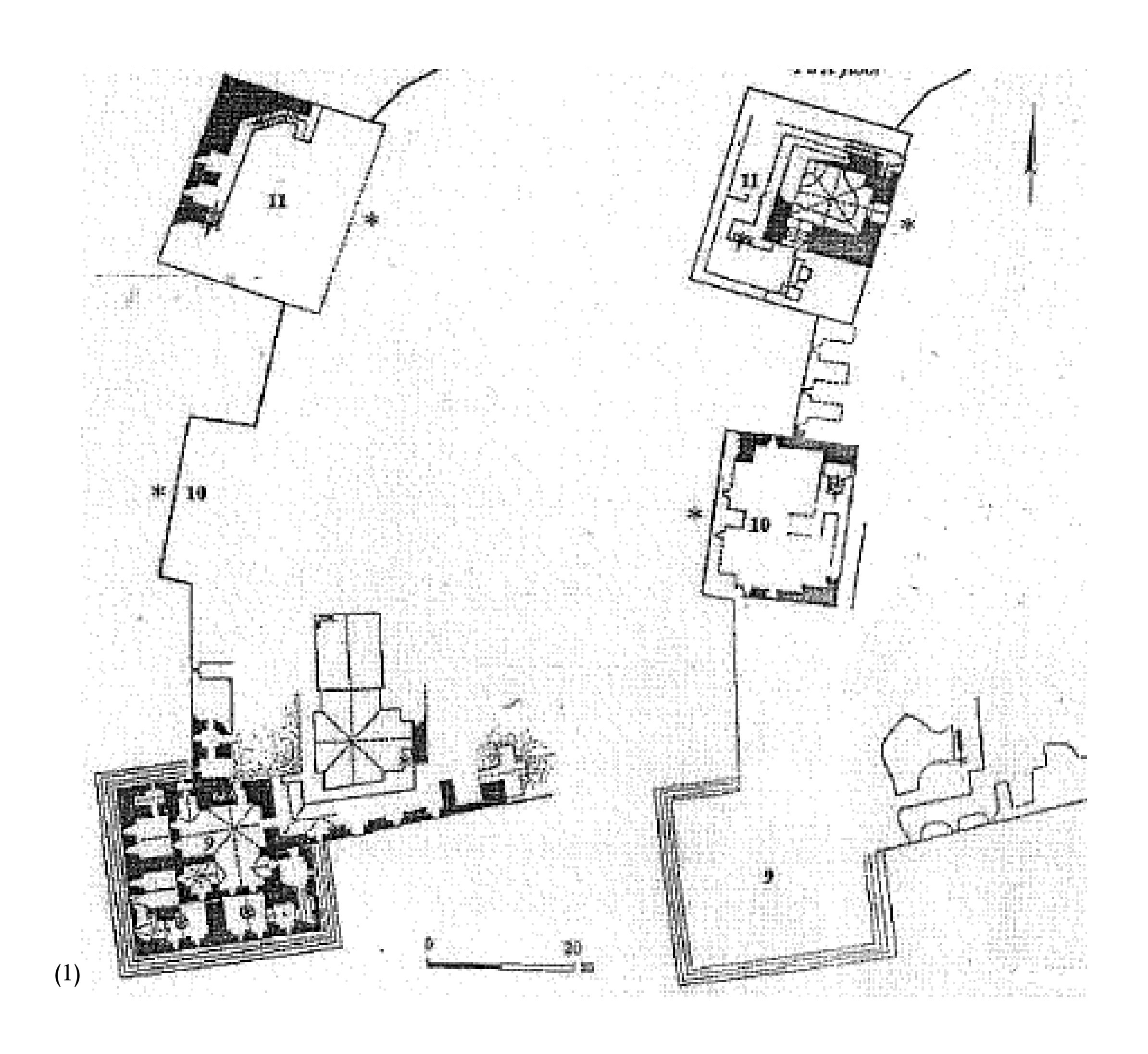
ملحق رقم (6)

المدخل العام للبرج


(1)

(1). Hartal: Al-subayba, p5.

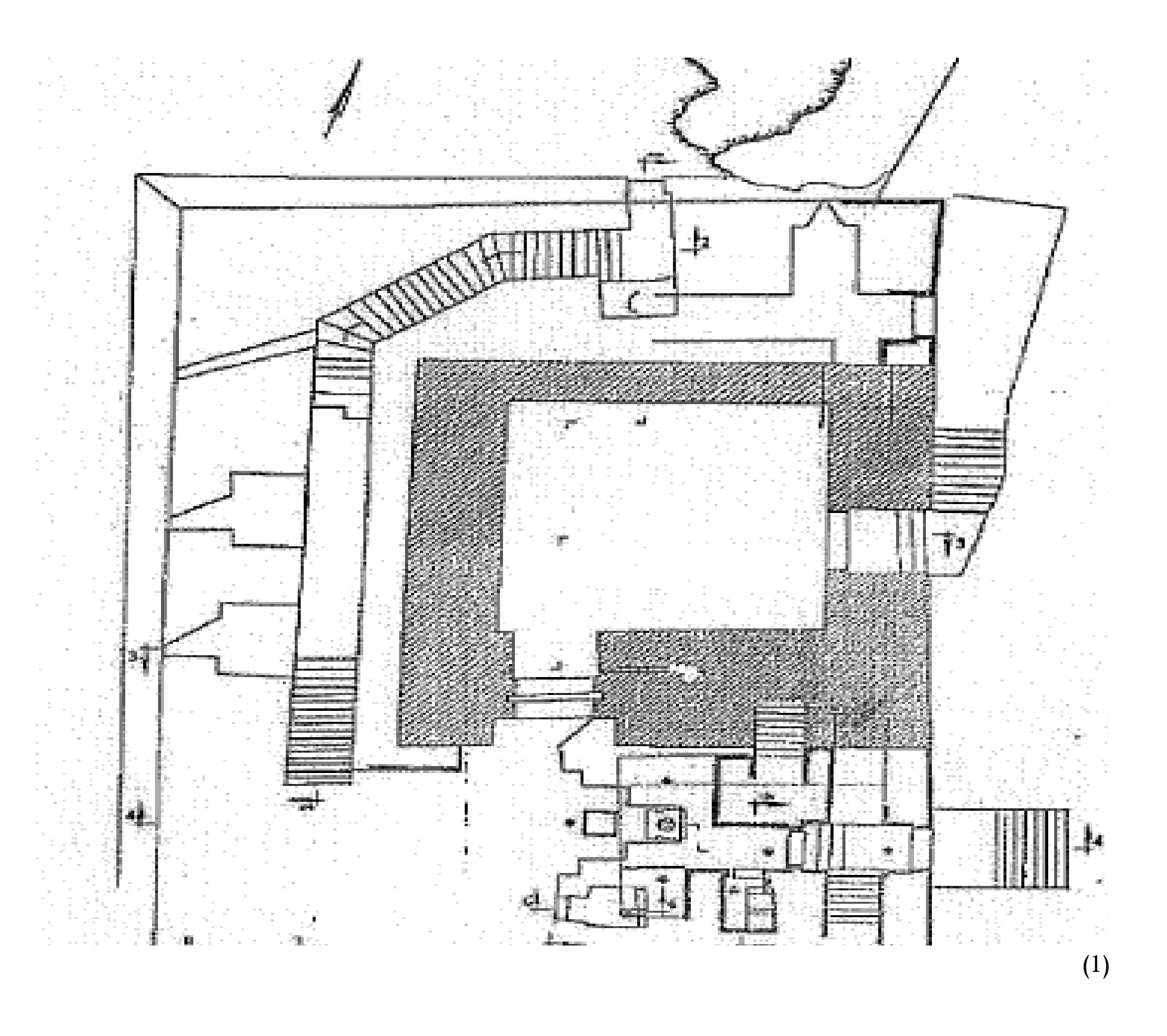
الطابق الأول للبرج التاسع والحادي عشر



(1)

[1]. Hartal: Al–subayba, p6.

المخطط العام للبرج

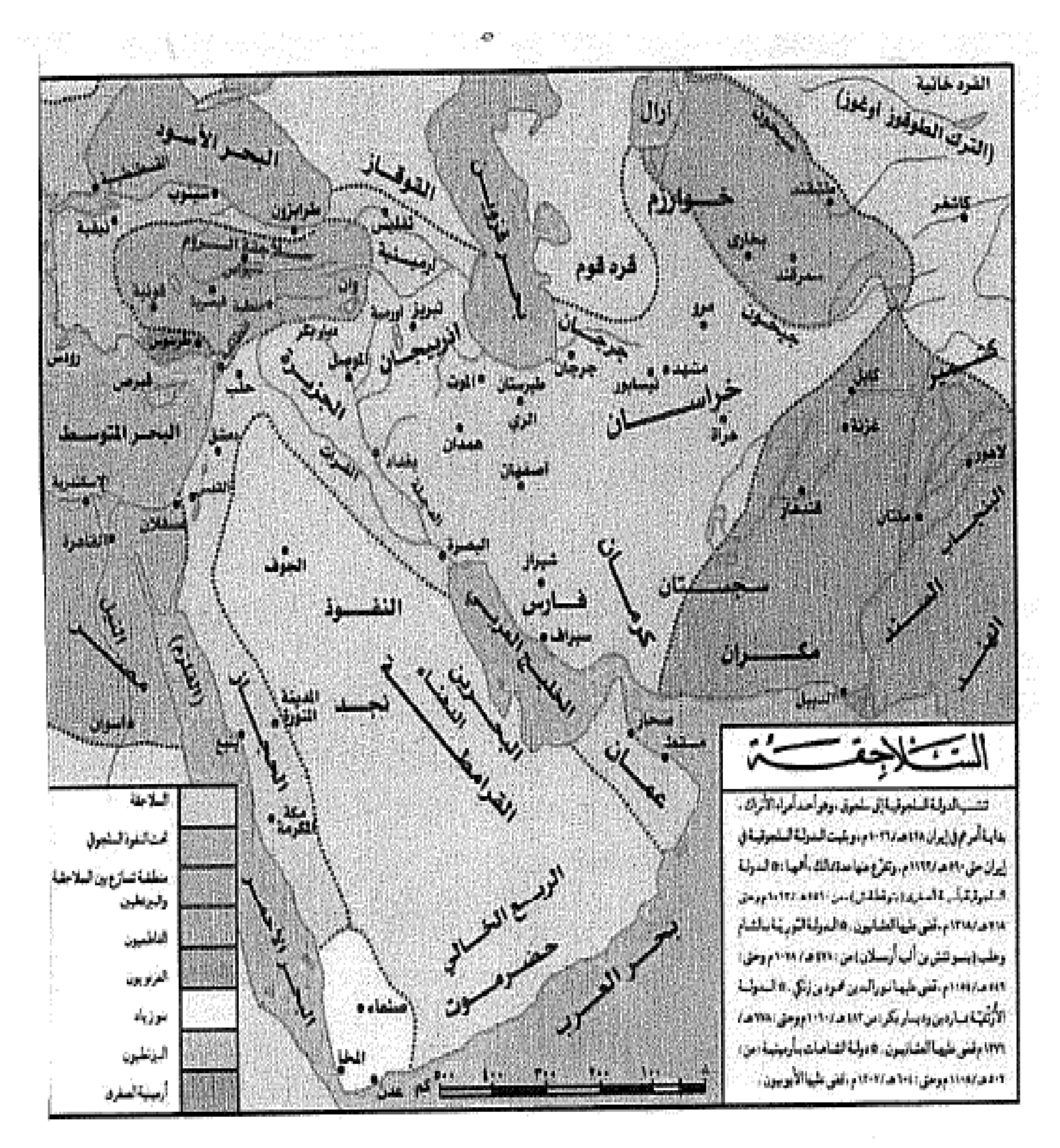


(1)

(1) – Hartal: The Al –Subayba,p5-10.

ملحق رقم(7)

دول السلاجقة



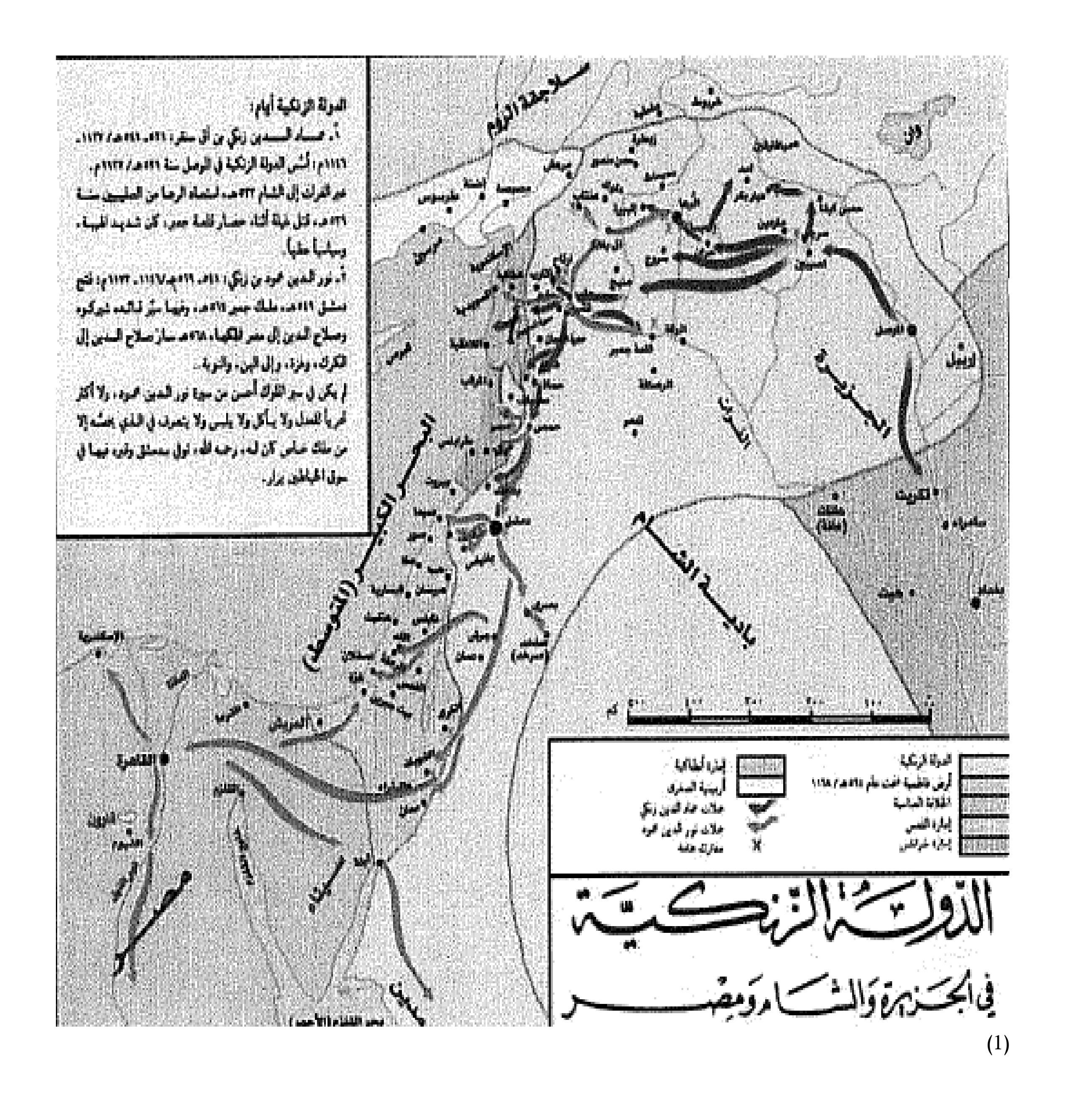
(1)

---

[1] . أبو خليل: أطلس، ج12، ص64.

ملحق رقم(8)

الدولة الزنكية

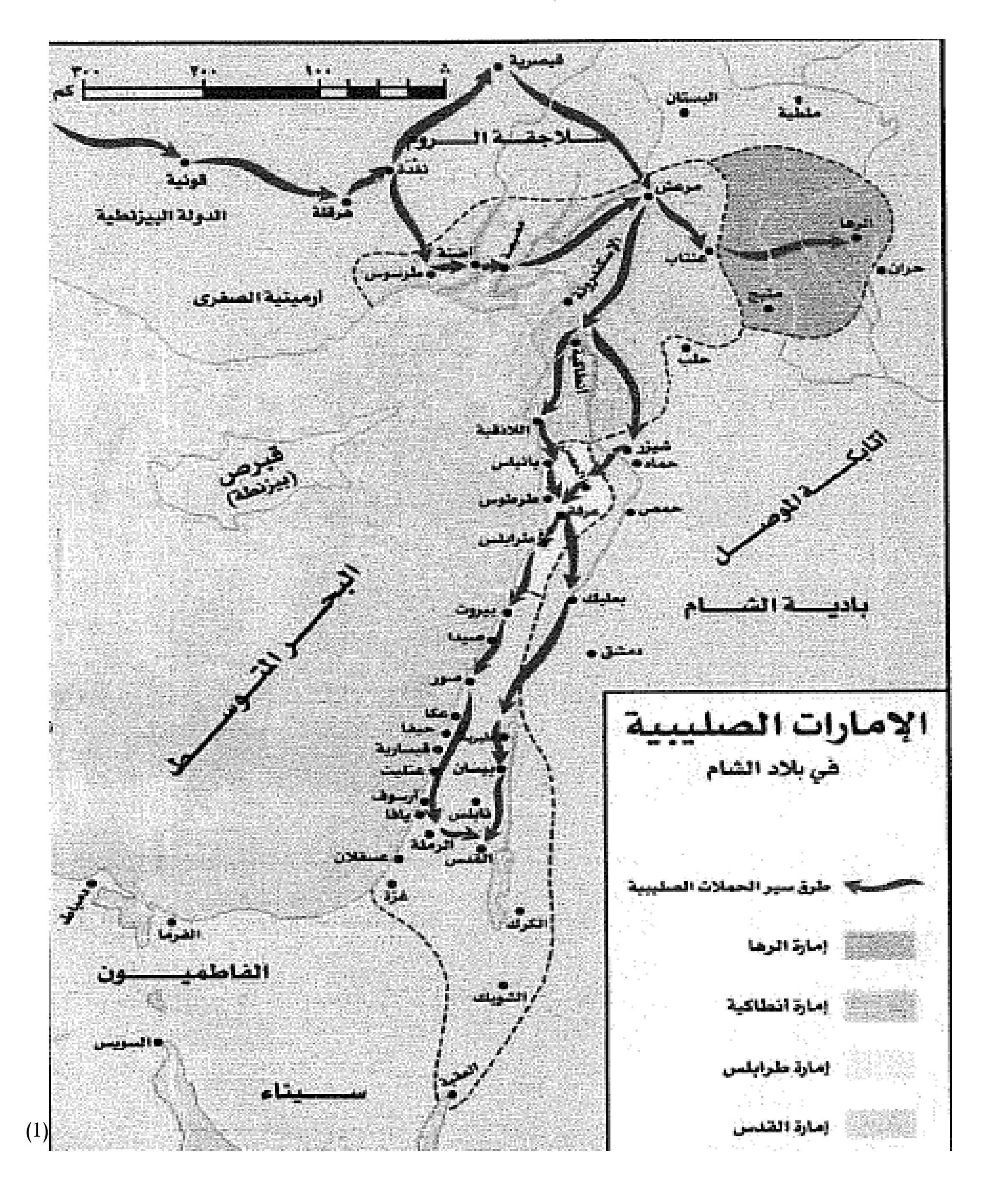


(1)

[1] أبو خليل: أطلس، ج11، ص88.

ملحق رقم(9)

الإمارات الصليبية



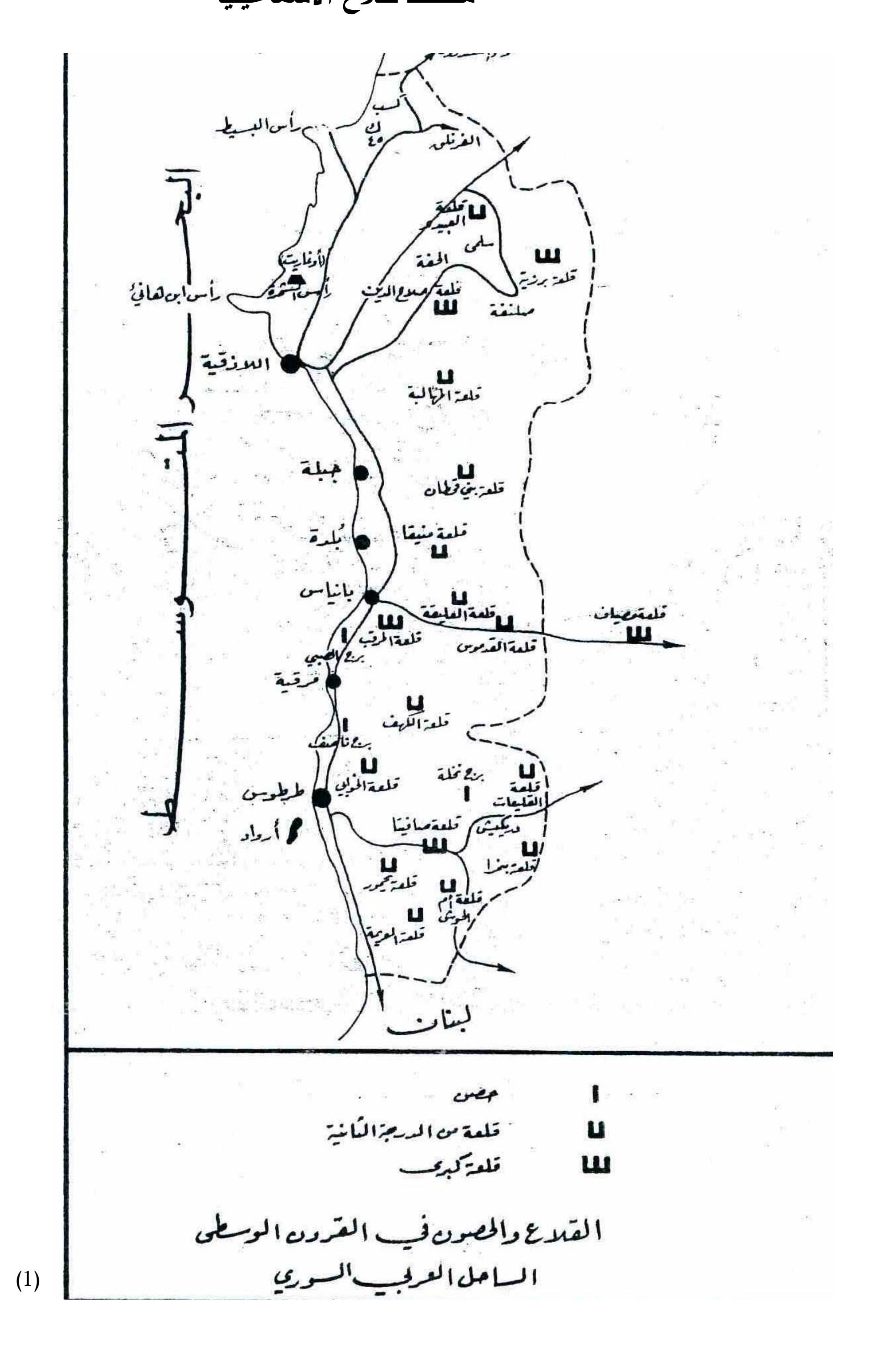
(1)

---

[1] . أبو خليل: أطلس ، ج13، ص86.

ملحق رقم (10)

مخطط لقلاع الاسماعيلية



(1)

---

(1) . ساطع، أكرم: القلاع والحصون في سورية، دمشق، 1975م، ص136.

ملحق رقم(11)

جدول بأسماء حكام السلاجقة

حسب سنوات حكمهم

الأراتقة

أ- فرع حصن كيفا وآمد

معين الدين سقمان أرتق	495هـ/1101م
إبراهيم بن سقمان	498هـ/1104م
ركن الدولة داوود بن سقمان	504هـ/1110م
فخر الدين قرا أرسلان بن داوود	543هـ/1148م
نور الدين محمد بن قرا أرسلان	570هـ/1174م
قطب الدين سقمان الثاني	581هـ/1185م
ناصر الدين محمود بن محمد	597هـ/1200م
ركن الدين مودود بن محمود	629هـ/1231م
الملك المسعود	629هـ/1231م

ب- فرع خرتبرت

عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان	581هـ/1185م
نظام الدين أبو بكر الثاني	600هـ/1203م
نظام الدين إبراهيم بن أبو بكر الأول	620هـ/1223م
عز الدين أحمد بن إبراهيم	631هـ/1233م
نور الدين أرتق المعز بن الخضر	660هـ/1261م

ج- ماردين وميافارقين

نجم الدين إيلغازي الأول بن أرتق	502هـ/1108م
حسام الدين تيمور تاش بن إيلغازي	516هـ/1122م

نجم الدين بن تيمور تاش	547هـ/1152م
قطب الدين إيلغازي الثاني بن ألبي	572هـ/1176م
حسام الدين يولق أرسلان بن إيلغازي	580هـ/1184م
ناصر الدين أرتق أرسلان المنصور	597هـ/1200م
السعيد نجم الدين	637هـ/1239م
المظفر قرا أرسلان	658هـ/1260م

أ- أتابكة دمشق (الدولة البورية)

ظهير الدين طغتكين	497هـ/1104م
تاج الدين بوري بن طغتكين	522هـ/1128م
إسماعيل بن طغتكين	526هـ/1131م
محمود بن طغتكين	529هـ/1134م
جمال الدين محمد بن طغتكين	533هـ/1138م
مجير الدين أبق بن محمد	534هـ/1139م

ب- سلاجقة بلاد الشام

تتش بن ألب أرسلان	487هـ/1094م
دقاق بن تتش (دمشق)	488هـ/1095م
رضوان بن تتش (حلب)	496هـ/1102م
ألب أرسلان بن رضوان (حلب)	506هـ/1112م
سلطان شاه بن رضوان (حلب)	510هـ/1116م[1]

ج- أتابكة الموصل(الزنكيون)

[1] - مصطفى، شاكر: موسوعة العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ج2، ص721-722.

عماد الدين زنكي	521هـ/1127م
سيف الدين غازي الأول	540هـ/1145م
قطب الدين مودود	544هـ/1149م
سيف الدين غازي الثاني	564هـ/1168م
عز الدين مسعود الأول	575هـ/1179م
نور الدين أرسلان شاه الأول	589هـ/1193م
عز الدين مسعود الثاني	606هـ/1209م
نور الدين أرسلان شاه الثاني	615هـ/1218م
ناصر الدين محمود	617هـ/1220م
بدر الدين لؤلؤ	657هـ/ 1258م

ج- أتابكة حلب

نور الدين محمود بن زنكي	541هـ/1146م
الصالح إسماعيل	569هـ/1173م

د- أتابكة سنجار

عماد الدين زنكي بن مودود	566هـ/1171م
قطب الدين محمد	594هـ/1197م
عماد الدين شاهنشاه	616هـ/1219م
جلال الدين محمود بن محمد	617هـ/1220م

هـ- أتابكة الجزيرة

معز الدين سنجر شاه بن غازي الثاني	576هـ/1180م
معز الدين محمود بن سنجر شاه	604هـ/1207م
قطب الدين محمود بن سنجر شاه	638هـ/1240م
مسعود بن محمود (السيادة الأيوبية)	648هـ/1250م

و- سلاجقة الروم

ملكشاه بن قلج أرسلان	500هـ/1106م
مسعود بن قلج أرسلان	509هـ/1115م
قلج أرسلان الثاني	551هـ/1156م
ملكشاه الثاني	584هـ/1188م
كيخسرو الأول	589هـ/1193م
سليمان الثاني بن قلج أرسلان	596هـ/1099م
قلج أرسلان الثالث بن سليمان شاه	599هـ/1202م
كيخسرو الأول (مرة ثانية)	600هـ/1203م
كيكاوس الأول بن كيخسرو الأول	606هـ/1209م
كيقباذ بن كيخسرو	616هـ/1219م
كيخسرو الثاني بن كيقباذ الأول	633هـ/1235م
كيكاوس الثاني بن كيخسرو الثاني	642هـ/1244م
قلج أرسلان الرابع بن كيخسرو الثاني	655هـ/1257م
كيخسرو الثالث قلج أرسلان	665هـ/1266م
مسعود الثاني بن كيكاوس الثاني	682هـ/1283م
كيقباذ الثالث	695هـ/1295م

الملحق رقم(12) جدول بأسماء الحكام الأيوبيين

أ- في مصر

الناصر صلاح الدين يوسف	567هـ/1171م
العزيز عثمان بن صلاح الدين	589هـ/1193م
العادل أحمد بن أيوب	597هـ/1200م
الكامل محمد بن أحمد	615هـ/1218م
العادل بن محمد	636هـ/1238م
الصالح نجم الدين أيوب بن محمد	638هـ/1240م
المعظم تورانشاه بن الصالح أيوب	647هـ/1249م
الأشرف موسى	650هـ/1252م

ب- في دمشق

الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين	589هـ/1193م
العادل أحمد بن أيوب	592هـ/1195م
المعظم عيسى	615هـ/1218م
الناصر داوود بن عيسى	624هـ/1226م
الأشرف موسى صاحب إقليم الجزيرة	625هـ/1227م
الصالح عماد الدين اسماعيل بن العادل	635هـ/1237م
الكامل محمد بن أحمد (سلطان مصر)	636هـ/1238م
العادل محمد بن محمد (سلطان مصر)	636هـ/1238م
الصالح نجم الدين أيوب	637هـ/1239م
الصالح نجم الدين أيوب بن محمد (سلطان مصر)	643هـ/1245م
المعظم تورانشاه (سلطان مصر)	647هـ/1249م

ج- في حلب

العادل أحمد بن أيوب بن صلاح الدين	582هـ/1186م

العزيز غياث الدين محمد	613هـ/1216م
الناصر الثاني يوسف بن محمد	658هـ/1259م

د- في حماة

المظفر تقي الدين عمر بن تورانشاه بن أيوب	574هـ/1178م
المنصور أحمد بن عمر	587هـ/1191م
الناصر قلج أرسلان بن سليمان	617هـ/1220م
المظفر محمود بن سليمان	627هـ/1229م
المنصور محمد بن محمود	642هـ/1244م
المظفر محمود بن محمد	698هـ/1298م

هـ- في حمص

المنصورأسد الدين شيركوه بن شاذي	564هـ/1168م
القاهر محمد بن شيركوه	574هـ/1178م
المجاهد شيركوه الثاني بن محمد	582هـ/1186م
الأشرف موسى بن إبراهيم	644-661هـ/1246-1262م

و- في حصن كيفا وآمد

الصالح نجم الدين أيوب	629هـ/1231م
المعظم تورانشاه بن أيوب بن الكامل	636هـ/1238م
الموحد تقي الدين عبد الله بن تورانشاه	647هـ/1249م

ي- في ميافارقين

الناصر صلاح الدين بن أيوب	581هـ/1185م
العادل أحمد بن أيوب	590هـ/1193م
الأوحد نجم الدين أيوب بن سيف الدين	595هـ/1198م
الأشرف موسى بن سيف الدين	606هـ/1209م
المظفر شهاب الدين غازي	617هـ/1220م

استيلاء المغول المؤقت	628هـ/1230
الكامل ناصر الدين محمد	642-658هـ/1244-1259م[1]

---

[1] . زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: زكي محمد حسن، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م، ص150-154.

ملحق رقم (13)

جدول بأسماء الملوك الصليبيين في بيت المقدس

غودفري	493هـ/1099م
بلدوين الأول	494هـ/1100م
بلدوين الثاني	512هـ/1118م
فولك دو ألينو	525هـ/1130م
بلدوين الثالث	537هـ/1142م
عموري الأول (أملريك)	558هـ/1162م
بلدوين الرابع (الأبرص، المجذوم)	570هـ/1174م
بلدوين الخامس	579هـ/1183م
غي دو لوزنجان	583هـ/1187م
كنراد مونتيفرات	588هـ/1192م
هنري شمبانيا	593هـ/1196م
أملريك لوزجنان (ملك قبرص)	601هـ/1204م
ماريا مونتيفرات (بيت المقدس)	609هـ/1212م
يوحنا ديبرين (زوج ماريا)	622هـ/1225م
فردريك الثاني (زوج يولندا دبرين)	648هـ/1250م
كنراد (ملك اسمي)	651هـ/1253م
هيو الأول (لوز جنان ملك قبرص)	652هـ/1254م
هيو الثاني	665هـ/1266م[1]

[1] . رنسيمان: الحروب الصليبية، ج3، ص841.

الملحق رقم (14)

ولاة وحكام بانياس منذ الدولة الأتابكية حتى عهد الظاهر بيبرس

المعلى بن حيدرة	467هـ/1074م
انتصار المصمودي	471هـ/1078م
ينال التاجي	500هـ/1106م
سيف الدين مسعود	505هـ/1111م
تاج الملوك بوري	520هـ/1126م
بهرام الأسد أباذي	520هـ/1126م
إسماعيل	522هـ/1128م
رينار بروس	523هـ/1128م
إبراهيم بن طغرت	530هـ/1135م
رينار بروس	542هـ/1147م
هنفري	552هـ/1157م
نور الدين الشهيد	568هـ/1172م
اسماعيل بن نور الدين	569هـ/1173م
الأفضل بن صلاح الدين	589هـ/1193م
عز الدين جرديك	589هـ/1193م
حسام الدين بشارة	596هـ/1099م
فخر الدين جركس	596هـ/1099م
ابن فخر الدين جركس	615هـ/1218م
العزيز عثمان بن العادل	615هـ/1218م
الظاهر بن عثمان	620هـ/1223م
السعيد بن عثمان	621هـ/1224م[1]

---

[1] . خلف: المرجع في الجولان، ص567.

الملحق (رقم 15)

جدول في المقاييس والأوزان والمكاييل

القدم	30,48سم
الفرسخ	يعادل 8كم تقريباً
المرحلة	المساحة التي يقطعها السائر في يوم
المثقال	4,25غ
غرارة القمح	204,5كغ
الدونم	1000م²
الميل البري	1609م
الميل البحري	1852م[1]

[1] . حميد: الأوزان والمقاييس والمكاييل عند العرب والمسلمين، ص108.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

ابن الأثير، عز الدين محمد بن عبد الكريم الشيباني:

1- الكامل في التاريخ، دار الفكر، ج8، ج10، ج11، بيروت، 1987م.

2- الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1995م.

3- **ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1978م.

4- **ابن منقذ، أسامة:** أبو المظفر بن مرشد بن مقلد بن نصر: كتاب الاعتبار، تح: فيليب حتي، برنستون، 1930م.

5- **ابن إياس، محمد بن أحمد:** بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، المصرية للكتاب، ج1، القاهرة، 1982م.

6- **ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد:** تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التحرير، القاهرة، 1966م.

7- **البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق:** مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل، ج1، ج2، ج3، بيروت، 1992م.

8- **البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي:** معجم ما استعجم من أسماء الأمكنة والبقاع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتاب، ج3، بيروت، 1995م.

البنداري، الفتح بن علي محمد:

9- تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978م.

10- سنا البرق الشامي، مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

ابن تغري بردي الأتابكي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف:

11- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ج5، ج6، القاهرة، 1971م.

12- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ج1، القاهرة، د. ت.

13- **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل:** لطائف المعارف، تح: إبراهيم الإبياري، دار إحياء الكتب العربية، 1960م.

14- **ابن جبير، محمد بن أحمد:** رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1959م.

15-**جوانفيل، جان سيردي**: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، تر: حسن حبشي، دار المعارف، مصر، 1968م.

16- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي:** المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر آباد، ج1، 1939م.

17- **الجويني، عطا ملك:** تاريخ فاتح العالم، تر: محمد ألتونجي، دار الملاح، حلب، ج2، 1985م.

18- **حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله:** كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر،ج1، القاهرة، 1982م.

19- **الحسيني، صدر الدين بن علي:** أخبار الدولة السلجوقية، دار اقرأ، بيروت، 1986م.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله:

20- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1979م،

21- معجم الأدباء، تح: عمر فاروق الطباع، دار المعارف، بيروت، 1999م.

22- **الحميري، عبد المنعم:** الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ناصر للثقافة، دمشق، 1975م.

23- **الحنبلي، أحمد بن إبراهيم:** شفاء القلوب في أخبار بني أيوب، تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1996م.

24- **ابن حوقل، أبو القاسم محمد:** صورة الأرض، ليدن، 1938م.

25- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:** المقدمة، دار الجيل، بيروت، د.ت.

26- **ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أبي بكر:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة،ج1، ج2، ج5، ج7، بيروت، 1968م.

27- **الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي:** الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1900م.

28- **الدواداري، أبو بكر بن عبد الله أيبك:** " كنز الدرر وجامع الغرر"، الدر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، ج6، ج7، القاهرة، 1977م.

29- **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد:** سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،ج12، ج22، 1982م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج27، ج28، ج49، 1993م

30- **الراوندي، أبو بكر محمد بن علي:** راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تر: محمد الشواربي، دار القلم، القاهرة، 1960م.

31- **سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر:** مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد، ج8، 1952م.

السبكي، تاج الدين أبو النصر:

32- معيد النعم ومبيد النقم، الإصلاح السياسي والإداري في، الدولة الإسلامية، دار الحداثة، بيروت، 1983م.

33- طبقات الشافعية الكبرى، دار الآفاق، بيروت، ج4، 1906م.

34- **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن:** الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ، دار الجيل، بيروت، 1992م.

35- **ابن سعيد، علي بن موسى:** كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970م.

36- **السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين:**

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج2، القاهرة، 1969م.

37- **أبو شامة، شهاب الدين بن اسماعيل المقدسي:** الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية، تح: أحمد البيسومي، وزارة الثقافة،ج1، ج2، دمشق، 1991م.

38- **ابن شداد، عز الدين بن علي:** الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ج2، ج3، 1962م.

39- **ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع:** النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، دار النهضة، القاهرة، 1964م.

40- **شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي:** نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،

مكتبة المثنى، بغداد، 1986م.

41- **الشيزري، عبد الرحمن نصر:** نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1962م.

الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله:

42- الوافي بالوفيات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م،

43- أمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح المنجد، منشورات المجمع العربي بدمشق، 1955م.

44- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، منشورات وزارة الثقافة،ج2، دمشق، 1992م.

45- **الصوري، وليم:** الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تر: حسن حبشي، دار الفكر، بيروت، ج2، 1990م.

46- **الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين:** زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تح: بول رافنسي، باريس، 1894م.

47- **ابن عبد الهادي، جمال الدين يوسف بن حسن:** رسائل دمشقية، تح: صلاح محمد الخيمي، دار ابن كثير، دمشق، 1988م.

48- **ابن ظافر الأزدي، جمال الدين:** أخبار الدول المنقطعة، تح: أندريه فرييه، القاهرة، 1971م.

49- **ابن العبري، غريغورس الملطي:** تاريخ مختصر الدول، دار الشرق، بيروت، 1986م.

50- **ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله:** زبدة الحلب في تاريخ حلب، المعهد الفرنسي للدراسات العربية،ج2، دمشق، 1954.

51- **عرقلة الكلبي، حسان بن نمير:** ديوان عرقلة الكلبي، تح: أحمد الجندري، دار صادر، بيروت، 1992م.

ابن عساكر، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن:

52- تاريخ مدينة دمشق(تاريخ ابن عساكر)، تح: علي شيري، دار الفكر، ج8، ج59، بيروت، 1997م.

العماد الأصفهاني، محمد بن حامد:

53- الفتح القسي في الفتح القدسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

54- البرق الشامي، مؤسسة شامان،ج3، الأردن، 1987م.

55- خريدة القصر وجريدة العصر، قسم الشام، المجمع العلمي العربي، ج1، دمشق، 1955م.

56- **ابن العماد، شهاب الدين بن محمد الدمشقي الحنبلي:** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ج3،ج4، ج6، دمشق، 1989م.

57- **ابن العميد، المكين جرجس:** أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

العيني، بدر الدين:

58- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: عبد الرزاق الطنطاوي، دار الإعلام العربي، القاهرة، 1989م.

59- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: مصطفى عبد اللطيف، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، 2016م.

60- **الفارقي، أحمد بن يوسف بن الأزرق:** تاريخ ميافارقين(تاريخ الفارقي)، بيروت، 1974م.

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل:

61- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

62- المختصر في تاريخ البشر، دار الكتب العلمية، ج3، بيروت، 1997م.

63- **ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم:** تاريخ ابن الفرات، ج1، العراق، 1967م.

64- **ابن قاضي شهبة، بدر الدين:** الكواكب الدرية في السيرة النبوية، تح: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.

65- القاسمي، محمد سعيد: قاموس الصناعات الشامية، تح: ظافر القاسمي، د.م، 1967م.

66- القاضي، عياض: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار التراث، بيروت، د.ت.

67- **القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف:** أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتاب، ج3، بيروت، د. ت.

68- **ابن القلانسي، حمزة بن أسد التميمي:** ذيل تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1983م.

69- **القلقشندي، أحمد بن علي:** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج4، ج6، 1913م.

70- **ابن كثير،إسماعيل بن عمر:** البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ج12، ج13، بيروت، 1983م.

71- **الماوردي، علي محمد بن حبيب:** الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية، بغداد، 1990م.

72- **المقدسي، أبو عبد الله محمد البشاري:** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م،

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي:

73- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت،1975م.

74- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج3، القاهرة، 1972م.

75- الخطط المقريزية، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ج2، بيروت، 1998م.

76- **ابن مماتي، الأسعد بن مهذب:** قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال، مصر، 1943م.

77- **المناوي، محمد عبد الرؤوف:** النقود والمكاييل والموازين، تح: رجاء محمود السامرائي، العراق، 1981م.

78- **ابن منظور، جمال الدين محمد:** لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1995م.

79- **ابن ميسر، محمد بن يوسف جلبي:** أخبار مصر، ج2، القاهرة، 1919م.

80- **النابلسي، عثمان بن إبراهيم:** لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

81- **النسوي، شهاب الدين بن محمد المنشىء:** سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1953م.

82- **النعيمي، عبد القادر بن محمد:** الدارس في تاريخ المدارس، تح: جعفر الحسني، ج1، دمشق، 1948م.

83- **ابن نظيف، أبو الفضائل محمد علي:** التاريخ المنصوري، مطبعة الحجاز، دمشق، 1981م.

84- **النويري، شهاب الدين بن عبد الوهاب:** نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: سعيد عاشور، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1953م.

85- **ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم:** مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح:

جمال الشيال، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، 1953م.

86- **ابن الوردي، سراج الدين:** تتمة المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

87- **اليونيني، موسى بن محمد:** ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج3، 1992م.

ثانياً: قائمة المراجع:

1- **أثناسيو، متري هاجي:** سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، 1997م.

2- **آشتور:** التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، 1985م.

3- **ألتونجي، محمد:** معجم المعربات الفارسية، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م.

4- **الأحمد، محمد:** فردريك الثاني، الموسوعة العربية، ج14، ص403-405، دمشق، 2001م.

5- **أمين، حسين:** العراق في العصر السلجوقي، بغداد، 1965م.

6- **الباشا، عفت القاضي:** معجم رموز ودلالات الأزهار والنباتات، مكتبة بيروت، 2005م.

7- **باغ، أديب:** الجولان دراسة في الجغرافيا الإقليمية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983م.

8- **أبو بدر، شاكر أحمد:** الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1972م.

9- **بدران، عبد القادر:** تهذيب تاريخ دمشق، ج1، بيروت، 1979م.

10- **برجاوي، سعيد أحمد:** الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1984م.

11- **بروكلمان، كارل:** تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أحمد سعيد صالح، بيروت، 1965م.

12- **بيطار، أمينة:** تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق، 1982م.

13- **بيومي، علي:** قيام الدولة الأيوبية، دار النهضة، القاهرة، 1952م.

14- **جب، هاملتون:** دراسات في حضارة الإسلام، تر: أحمد يوسف، دار العلم للملايين،

بيروت، 1979م.

15- **توفيق، عمر**: مملكة بيت المقدس اللاتينية، الاسكندرية، 1958م.

16- **الجلاد، محمد وليد**: آلموت، الموسوعة العربية، ج3، ص404- 408، دمشق،2001م.

17- **الجميلي، رشيد**: دولة الأتابكة في الموصل، مكتبة النهضة العربية، 1975م.

جوني، وفاء:

18- العقيليون، الموسوعة العربية، ج13، ص362، دمشق، 2001م.

19- دمشق والمملكة اللاتينية في القدس، دار الفكر، بيروت، 1997م.

20- **الحايك، منذر**: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، دار النفائس، دمشق،2001م.

21- **حبشي، حسن**: نور الدين والصليبيون، القاهرة، 1959م.

22- **حبيب، مالك**: دليل سورية السياحي، دار الجمهورية، دمشق، 2008م.

23- الحسكير، عبد المنعم: الجولان مفتاح السلام في الشرق الأوسط، دار بيسان، بيروت، 1999م.

24- **الحسن، أحمد محمود**: الجولان تاريخ وجذور، دار الأوائل، دمشق، 2006م.

25- **حسن، إبراهيم حسن**: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1964م.

26- **حسن، هيثم**: قلعة الصبيبة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 2008م.

27- **حسنين، عبد النعيم**: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة، القاهرة، 1959م.

28- **الحصني، محمد**: منتخبات التواريخ لدمشق، دار الفكر، بيروت، 1982.

29- **الحلاق، نويرة:** حوران منذ بداية الحروب الصليبية حتى حطين، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة دمشق، 2000م.

30- **حميد، رمضان:** الأوزان والمقاييس والمكاييل عند العرب والمسلمين، دار الملاح، بيروت، 2000م.

31- **حميدان: زهير:** جلال الدين منكبرتي، الموسوعة العربية، ج7، ص634-635، دمشق، 2001م.

حمدي، حافظ:

32- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، مكتبة بغداد، د.ت.

33- الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949م.

34- **حنون، نائل:** بختنصر، الموسوعة العربية، ج2، ص453، دمشق، 2001م.

35- **الحويري، محمود محمد:** بناء الجبهة الإسلامية وأثرها في التصدي للصليبيين، دار المعارف، القاهرة، 1992م.

36- **الحياري، مصطفى:** حصن بيت الأحزان، مجلة البحث العلمي، العدد الرابع، ص163-ص183، الجامعة الأردنية،1986م.

37- **الخال، سلامة:** جغرافية سورية ولبنان، بيروت، 1973.

38- **الخضر، عبد الحسنين:** ديوان السلطان خليل الأيوبي (نجوم الفلك من نظم الملك)، دمشق، 1963م.

39- **الخطيب، مصطفى عبد الكريم:** معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

خلف، تيسير:

40- قلعة الصبيبة، مجلة مهد الحضارات، العددان الثالث والرابع، ص71- ص75، المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م.

41- المرجع في الجولان، د.م، د.ت.

42- **أبو خليل، شوقي:** أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الآفاق، بيروت، 1970م.

43- **خليل، عماد الدين:** الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

خماش، نجدة:

44- البوريون، الموسوعة العربية، ج5، ص523-527، دمشق، 2001م.

45- عماد الدين زنكي، الموسوعة العربية، ج10، ص419-422.

46- **الدباغ، مصطفى مراد:** بلادنا فلسطين، ج5، بيروت، 1972م.

47- **دهمان، محمد أحمد:** معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، 1990م.

48- **أبو الذهب، لينا صلاح الدين:** تاريخ وحضارة العرب والإسلام، د.م، 2001م.

49- **رستم، أسد:** الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، منشورات المكتبة البوليسة، بيروت، 1988م.

50- **الرفاعي، أنور:** النظم المالية، دار الفكر، دمشق، 1973م.

51- **الرمادي، جمال الدين:** صلاح الدين الأيوبي، مطابع الشعب، القاهرة، 1958م.

رنسيمان، ستيفن:

52- تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، ج2، بيروت،1981م.

53- أوروبة في العصور الوسطى، مطبعة الأنجلو الأوروبية، ج2، القاهرة، 1980م.

54- **الريحاوي، عبد القادر** : قلعة دمشق، هيئة تدريب القوات المسلحة في الجيش العربي السوري، دمشق، 1979م.

55- **زابوروف، ميخائيل:** الصليبيون في الشرق، دار التقدم، موسكو، 1986م.

56- **زامباور:** معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: زكي حسن، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م.

57- **زاهد، سمر:** الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة البورية، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، 1990م.

58- الزين، علي: البحث في تاريخنا في لبنان، بيروت، 1973م.

59- **الزركلي، خير الدين محمود:** الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،1984م.

60- **زعرور، إبراهيم:** الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، دمشق، 1993م.

61- **زكار، بيطار، سهيل، أمينة:** تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد، دمشق، 1990م.

62- **زكار، سهيل؛ خربوطلي، شكران:** الحضارة العربية الإسلامية، جامعة دمشق، 2005م.

63- **زكار، سهيل وآخرون:** حروب الفرنجة، جامعة دمشق، 2005م.

64- **زكار، سهيل:** الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، 1993م.

زيتون، عادل:

65- تاريخ العصور الوسطى الأوربية، مطبعة الروضة، دمشق، 1982م.

66- العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دمشق، 1980م.

67- **زيود، محمد:** حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العهد الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي، دمشق، 1987م.

68- **الزين، محمد:** أفلافيوس، الموسوعة العربية، ج22، ص609- 613، دمشق، 2001م.

69- **زهدي، بشير:** تل العمارنة، الموسوعة العربية، ج13، ص455، دمشق، 2001م.

70- **الساحلي، نعيمة عبد السلام:** التوجهات السياسية للدولة الأيوبية، دار قتيبة، دمشق، 2009م.

71- **ساطع، أكرم:** القلاع والحصون في سورية، دمشق، 1975م.

72- **السرطاوي، محمود فايز:** نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، دار البشير، عمان، 1990م.

73- **سرور، محمد جمال الدين:** تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر، القاهرة، 1997م.

74- **سعد، أحمد صادق:** تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي، بيروت، 1976م.

75- **سعد، سامي:** أسس العلاقات بين الشرق والغرب في الشرق الأدنى والجمهوريات الايطالية، القاهرة، 1958م.

76- **السلوم، عبد الحكيم بن المشوح:** درر البيان في تاريخ الجولان، دار الكتاب، دمشق، 2002م.

77- **سالم، عبدالعزيز:** طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الاسكندرية، 1968م.

78- **سميل، ر.س:** فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثالث عشر، تر: محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1985م.

79- **السيد، عبد الله مرعي:** الآثار في الجولان، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م.

80- **الشامي، أحمد:** صلاح الدين والصليبيون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1991م.

81- **شبارو، عصام محمد:** السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة، بيروت، 1994م.

82- **شلبي، أحمد:** تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.

83- **شحادة، كمال:** البيمارستان الناصري، الموسوعة العربية، ج5، ص784-786، دمشق، 2001م.

84- **شهاب، مظهر:** السلاجقة، الموسوعة العربية، ج11، ص40-41، دمشق، 2001م.

85- **الشيخ، محمد:** الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين، دار المعرفة، الإسكندرية، 1980م.

86- **الشيشكلي، عصام:** الجولان، د.م، د.ت.

87- **صبرة، عفاف سيد:** التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1987م.

- الصلابي، علي: دولة السلاجقة، دار إقرأ، القاهرة، 2006م.

88- **طرخان، إبراهيم:** النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة، 1968م.

طقوش، محمد سهيل:

89- تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، 2001م.

90- تاريخ الأيوبيين في مصر والشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، دمشق، 1999م.

91- **طلاس، مصطفى:** المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، دار طلاس، دمشق، 1990م.

92- **العابد، مفيد:** الإسكندرية، الموسوعة العربية، ج2، ص331، دمشق، 2001م.

عاشور، محمد سعيد:

93- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.

94- أوروبا في العصور الوسطى، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986م.

95- الأيوبيون في مصر والشام، دار الآفاق، القاهرة، 1970م.

96- **عاشور، محمد فايد:** جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

97- **عامر، محمود علي:** المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام حتى العهد العثماني، ابن حيان، دمشق، 1979م.

98- **العبادي، أحمد مختار:** تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.

99- **عبد السلام، عادل:** جغرافية الجولان وآثار إعماره، مجلة مهد الحضارات، العددان الثالث والرابع، ص71-75، المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م.

100- **عبد الحميد، رأفت:** بيزنطة بين الدين والفكر والسياسة، القاهرة، 1979م.

101- **عبيد، اسحق:** روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، القاهرة، 1970م.

العريني، السيد الباز:

102- الشرق الأوسط والحروب الصليبية،ج1، القاهرة، 1963م.

103- مصر في عصر الأيوبيين، دار النهضة، القاهرة، 1960م.

104- **العسلي، بسام:** فن الحرب الإسلامي في أيام الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1988م.

105- **العش، أبو الفرج:** آثارنا في الإقليم السوري، دمشق، 1960م.

106- **عطا، زبيدة محمد:** الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الأمين، القاهرة، 1994م.

عوض، محمد مؤنس:

107- الحروب الصليبية (العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين، مكتبة الإسكندرية، لقاهرة، 1999م.

108- الصراع الإسلامي الصليبي، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، القاهرة، 1998م.

عيد، محمد خير:

109- دليل الجولان، دار الفكر، دمشق، 2010م.

110- عيون الزمان لمن سكن عشائر الجولان من عشائر التركمان، د.م، 2004م.

111- **عيسى، أحمد:** تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1982م.

112- **غالب، مصطفى:** تاريخ الدعوة الإسماعيلية، سورية، 1953م.

113- **الغامدي، سعد محمد بن حنيفة:** أوضاع الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي، الرياض،1981م.

114- **غربال، محمد شفيق:** الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، 1959م.

غانم، حامد زيان:

115- الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، 1983م.

116- الجبهة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية، ج2، القاهرة، 1972م.

117- **الغزي، كامل:** نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، ج1، حلب، 1962م.

118- **غوانمة، يوسف:** إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، 1982م.

119- **غنيم، إسمت:** الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.

120- **قاسم، قاسم عبده:** ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ت.

121- **قهوجي، حبيب:** استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، 1978م.

122- **كاهن، كلود:** تاريخ الشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، تر: بدر الدين القاسمي، بيروت، 1972م.

123- **كرد علي، محمد:** خطط الشام، مؤسسة الأعلمي، ج3، بيروت، 1983م.

124- **كيال، منير:** فنون وصناعات دمشق، دمشق، 1993م.

125- **ابن مارس، كمال:** العلاقة بين الموصل وحلب وأثرها على الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر، 1991م.

126- **متز، آدم:** الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1940م.

127- **مجموعة من المؤلفين:** دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

128- **مجموعة من المؤلفين:** المنجد في الإعلام، دار الشرق، بيروت، 1982م.

129- محمود وعبد العزيز، مصطفى وهشام: الموسوعة الحورانية(قرى وانساب حوران)، سورية، 1996م.

130- **المحيميد، علي:** الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، الاسكندرية، 1994م.

131- **مدكور، إبراهيم:** معجم العلوم الاجتماعية، دار الفكر، القاهرة، 1975م.

132- **المزيني، إبراهيم بن محمد:** التحصينات الحربية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1995م.

133- **مصطفى، شاكر:** موسوعة العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.

134- **مقداد، خليل:** حوران عبر التاريخ، دار حوران، 1996م.

135- **النبراوي، فتحية:** العلاقات السياسية والإسلامية وصراع القوى الدولية في العصر الوسيط، القاهرة، 1982م.

136- **ناجي، زهير محمد:** بدر الدين لؤلؤ، الموسوعة العربية، ج 7، ص214-215، دمشق، 2001م.

137- **النجار، رجب:** حكايات الشطار والعيارين، دار التراث العربي، الكويت، 1981م.

138- **النخيلي، درويش:** فتح الفاطميين للشام، الإسكندرية، 1979م.

139- **هلستر، س. ورن:** أوربة في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، دار الآفاق، القاهرة، 1998م.

140- **هنتس، فالتر:** المكاييل والأوزان العربية والإسلامية، تر: كامل العسلي، عمان، 1970م.

141- **وزارة الدولة لشؤون البيئة:** أطلس التنوع الحيوي في سورية، دمشق، 2002م.

142- **يوسف، جوزيف نسيم:** العدوان الصليبي على بلاد الشام، دار النهضة، بيروت، 1981م.

- المراجع الأجنبية:

1-Rice, Tamara,Talbot: The Seljukes in Asia Minor, London, 1963.

2- Moshe Hartal: The Al- Subayba (Nimrod) Fortress Israel Antiquities Authority, Jerasalem, 2001.

3- Setton, Kenneth: The History Of The Crusades, Wisconsin, 1969.

4- Stevenson, W.B: The Crsades in The East, Cambridge, 1979.

Abstract

Muslim world has witnessed political and economic historic events. It suffered from wars and calamities. It had to confront difficulties and crises which aroused the world attention in the East and the West during the Middle Ages. Crusader invasion from the West, followed by the Mughal coming from the east were some of these events.

During these wars, Arab Muslim Orient was suffering from political and ideological split, in sync with other wars in the West. Islamic Front in the Levant was going through serious division that was abbreviating the unresolved acute political crisis between Abbasid and Fatimid Khelvas. Levant and its cities played an essential role in leading Jihad against Crusaders in an era when Arab Muslim region was desperately in need for Islamic unity to face of Crusader invasion.

The prime location of Golan and its cities, including Banias, made it a connecting point of the main roads that link the neighboring Arab countries. It was a congestion point for trade caravans coming from the Hijaz, Yemen and Heerah, also from Mediterranean ports. This made it the center of civil and cultural interaction since ancient historical times. The importance of this location in terms of transportation and transit was significant since it was linking the most important civil cities of the Levant ; Damascus and Jerusalem, where the impact of its location was noticed clearly since it was a cross road through its history as a war arena in time of war and a trade route in peacetime.

The significance of Banias and its castle had increased during Crusades war time 488-690 AH/1095-1291AD. It became a conflict zone between Muslims and Crusaders and a superior base for the forces of Damascus. Crusaders and Muslims were shifting over its control for a period, due to its strategic location which controls the communication ways between Damascus, Galilee, Tyre Coast, Sida and the western Bekaa , because it was the first defense center for Damascus against the Jerusalem Kingdom.

Crusades which were carried out by Western Europe against the Levant in the fifth and sixth Higri centuries, eleventh and twelfth centuries AD are considered a serious reversal in Europe history during the Middle Ages. As they were apparently a salvation project for Jerusalem and Jesus Christ tomb peace, but they targeted grabbing the Holy land in the Levant. In these circumstances, which were experienced by the Muslim world in its struggle with the greedy political Crusader invasion which was aiming to expand its property in the Islamic territories, also economically by controlling the best trade routes in the Islamic orient that were passing through the Levant and Egypt.

Fighting crusaders burden during this era was Ayyubid's responsibility; Salah Alddeen was able to handle his duties well due to the wide and deep religious impact of his personality which helped him to succeeded in building a tight country in Egypt the Levant, and in the Arab peninsula that was a solid base led to the unity of Muslims under his leadership.

Notes on military relations in Ayyubid era that had a close association with political relations were directing the military ones. But after the end of a conflict, a military outcome was able to redirect the political move to change the nature of political relations. The military strategy of Ayyubid kingdom were generally based on avoiding war with the Crusaders and holding a series of peace treaties with them. The means of this policy were available; each of them had its expense and there was no absolute political response, nor a permanent political or military dependency, but only mutual interest and benefits

Defending and uniting the Islamic countries was not the only factor of Ayyubies' fame , they worked on the economical, social, intellectual and scientific aspects. They kept revitalizing science and enhancing its position in the whole country, they built a professional scientific institutions such as schools, institutes and they gave much care for literary and medical.

Levant is an ancient civilized land, played critical roles in the operated since the dawn of history, critical roles in the orient history since the beginning of history. It was since old times an attention point to greedy invaders; it is one of the worlds heavens. It has a remarkable, important and strategic location which controls transportation ways that were linking many parts of the globe in East and West.

Damascus Univercity

Faculty Arts And Humanity Sciences

History Department



Banias Algolan In The Tow Ages Zanki And Ayoubaian

In The Tow Centuries 6-7 AH/ 12- 13 AD

Thesis For Masters Degree In Arab And Islam History

Preparation By The Student:

Safaa Muree Alali

Supervision By The Doctor:

Noha Fadel Allah Homaid

1437 AH/ 2016 AD